892.18
V1128

892.78:B35maA V.1

البيهقي، ابراهيم بن محمد.

المحاسن والمساوئ.

DEC 15 F8 A130.J

892.78
B35maA
V.1

3 NOV 1986

FEB 1 61

30 APR 1986

J. Lib.
9 SEP 1984

JAFET LIB.
1 FEB 1992

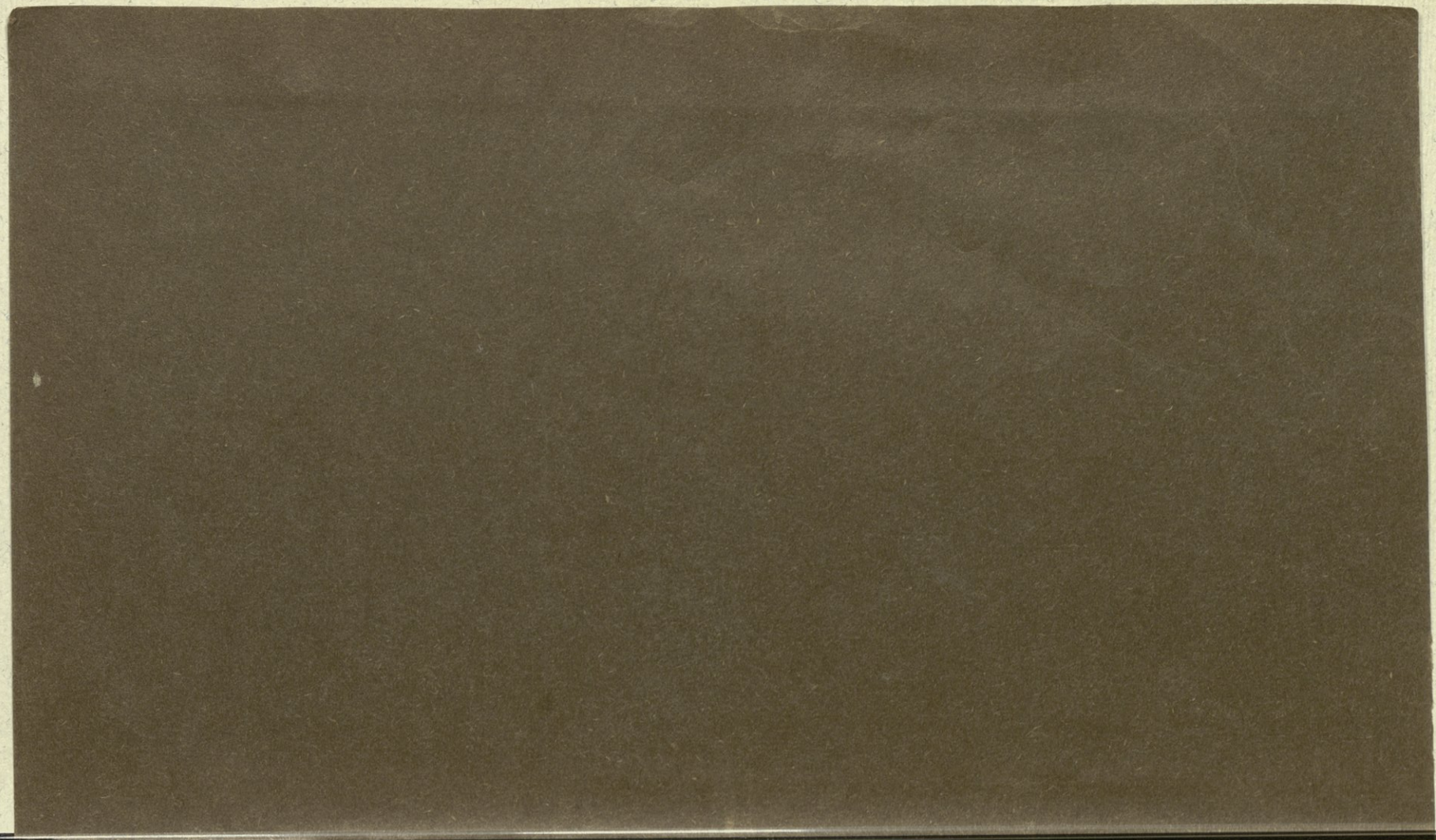

892.78
B35ma A
v.1
c.1

سليمانية أصه
ابو عز الدين
١

الجزء الاول من كتاب

المحاسن والمساوئ

تأليف

ابراهيم بن محمد البيهقي أحد اعلام القرن الخامس

١

طبع على نفقة السيد محمد كامل افندى النعسانى

(سنة ١٣٢٥ ١٩٠٦ م)

Cat. July 1934

(عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبي)

49616

(يباع بمحل السيد محمد امين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر)

(طبع بمطبعة السعاده بجوار محافظة مصر)
(لصاحبها محمد اسماعيل)

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب المحاسن والمساوى ﴾

صحيفة	
١	خطبة الكتاب
١	محاسن الكتب
١١	محاسن النبي عليه الصلاة والسلام
٢٢	مساوى من تنبأ
٢٤	محاسن أبى بكر رضي الله عنه
٢٧	محاسن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٢٨	محاسن عثمان بن عفان رضى الله عنه
٢٨	محاسن على بن أبى طالب رضى الله عنه
٣٤	محاسن من أمسك عن الوقوع فى الصحابة
٣٥	مساوي ماوقع بين الصحابة من الحروب ومن تنقص على بن أبى طالب رضى الله عنه
٣٦	مساوى من عادى على بن أبى طالب
٤٠	محاسن الحسن والحسين ابني على
٤١	مساوى قتلة الحسين بن على
٤٦	مساوى الحرة
٤٩	محاسن ماقيل فى الحسن والحسين من الاشعار
٥١	محاسن السبق الى الاسلام
٥٣	مساوى من ارتد عن الاسلام
٥٦	محاسن المفاخرة
٥٨	محاسن كلام الحسن بن علي في المفاخرة

صحيفة	
٦٦	محاسن كلام عبد الله بن عباس فى المفاخرة
٦٩	محاسن كلام فاطمة بنت غانم فى شرف بني هاشم وفخرهم
٧١	محاسن مجالس أبى العباس السفاح فى المفاخرة
٧٤	محاسن الافتخار بالنبي عليه السلام
٧٥	محاسن ماقيل من الاشعار في الفخر
٧٦	مساوى الافتخار
٧٧	مساوى أصحاب الصناعات
٧٨	محاسن النتاج
٨٠	مساوى النتاج
٨١	محاسن الوفاء
٩١	مساوى قلة الوفاء والسعاية
٩٢	محاسن الشكر
٩٥	مساوى الشكر
٩٦	محاسن الدهاء والحيل
١٠٨	مساوي العي وضعف العقل
١١٠	محاسن التيقظ
١٢٠	مساوى ترك التيقظ
١٢٠	محاسن الرسل
١٢١	مساوى الرسل
١٢٢	محاسن الحجاب

صحيفة		صحيفة	
١٢٥	مساوى الحجبة	٢١١	محاسن الشعر في هذا الفن
١٢٨	محاسن الولايات	٢١٢	محاسن الفقر
١٣٠	مساوى الولايات	٢١٣	مساوى الفقر
١٣١	محاسن بعد الهمة	٢٢٠	محاسن الثقة بالله عز وجل
١٣٤	مساوى سقوط الهمة	٢٢١	مساوى الثقة
١٣٦	محاسن كرم الصحبة	٢٢٢	محاسن طلب الرزق
١٤٣	مساوى الصحبة	٢٢٥	مساوى طلب الرزق
١٤٤	محاسن السخاء	٢٢٦	محاسن استصلاح المال
١٦٥	محاسن صلات الشعراء	٢٢٧	محاسن الدين
١٩٢	مساوى منع الشعراء والبخل	٢٢٨	مساوى الدين
٢٠٤	مساوى من استدعي الهجاء ومن هجي نفسه	٢٢٩	محاسن اصلاح البدن
		٢٣١	مساوي مايفسدالبدن
٢٠٥	محاسن الرجال	٢٣١	محاسن الندامة
٢٠٦	مساوى الرجال	٢٣٢	مساوى الندامة
٢١٠	محاسن ذكر التنعم	٢٣٤	محاسن الحنين الى الوطن

(تم فهرس الجزء الاول)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ الهاشميّ الأبطحيّ المكيّ المدنيّ الهادى المهدىّ السراج المضي والقمر المنير التقى النقيّ وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار السادة الأطهار المقسطين الأبرار الذين خلقوا من طينة واحدة وجُبلوا على فطرته ودرجوا على حوزته ومُيزوا بحكمته وعلى منهاجه وملته وفازوا بطاعته وسلم تسليما كثيراً دائماً .. قال الشيخ ابراهيم بن محمد البيهقيّ قال مصعب بن الزبير ان الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فانك لا تسمع منهم الا مختاراً .. وقال لقمان لابنه يا بنيّ تنافس فى طلب الأدب فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ فى الناس مطلوب .. وقال الزهرى الأدب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم .. وقيل اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو فى حائط .. قال وقال المنصور بن المهدى للمأمون أيحسن بمثلى طلب الأدب قال لأن تموت طالباً للأدب خير من أن تعيش قانعاً بالجهل قال فالى متى يحسن بي ذلك قال ماحسنت بك الحياة .. وقال الزهرى ما سمعت كلاماً أوجز من كلام عبد الملك بن مروان لولده حيث يقول اطلبوا معيشة لا يقدر عليها سلطان جائر قيل ماهى قال الأدب .. وقال بزرجمهر ياليت شعرى أىّ شئ أدرك من فاته الأدب أم أىّ شئ فات من أدرك الأدب ومادّته من الكتب .. وقد أهدى بعض الكُتاب الى صديق له دفتراً وكتب له هديتي هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس فى الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتمتع في الوحدة مسامر

مساعد ومحدث مطواع ونديم صديق .. وقال بعضهم الكتب بساتين العلماء وقال آخر الكتاب جليس لا مؤنة له .. وقال الفضل بن سهل للمأمون وهو بدمشق بدير مرّان مشرف على غوطتها يا أمير المؤمنين هل رأيت لحسنها شبيهاً في شئ من ملك العرب يعنى الغوطة قال بلى والله كتاب فيه أدب يجلو الافهام ويزكى القلوب ويؤنس الأنفس أحسن منها .. وقال الجاحظ الكتاب نعم الذخر والعقدة ونعم الجليس والقعدة ونعم النشر والنزهة ونعم المشتغل والحِرفة ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل الكتاب وعاء ملئ علماً وظرف حشىَ ظُرفاً ان شئت كان أعيا من باقل وان شئت كان أبلغ من سَحبان وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت بكيت من مواعظه ومن لك بواعظٍ مُلْهٍ وبناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابيّ ورومي وهندي وفارسى ويونانيّ ونديم مولد ووصيف ممتّع ومن لك بشئ يجمع الأول والآخر والناقص والوافي والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده وبعد فما رأيت بستاناً يُحمل في رِدن وروضة تُنقل في حُجْر ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء غيره . ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من في الأرض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً أبرّ ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية ولا عناية ولا أقل إملالا وإراما ولا أبعد عن مِراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بياناً ولا أحسن مؤاتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة أطول عمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب مجتنىً ولا أسرع ادراكاً ولا أوجد فى كل إبّان من كتاب ولا أعلم نتاجاً فى حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة ومن آثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة ومن الحِكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والامثال السائرة والأمم البائدة ما يجمع من كتاب ولولا الحكم المخطوطة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطانُ

النسيان سلطانَ الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ومن لك بمن لا يبتدئك فى حال شغلك ولا فى أوقات عدم نشاطك ولا يُحوجك الى التمحل والتذمم ومن لك بزائر ان شئت جعلت زيارته غباً وورده خمساً وان شئت لزمك لزوم ظلك .. والكتاب هو الجليس الذي لا يُطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذى لا يؤذيك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملَق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق والكتاب هو الذى ان نظرتَ فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك ونخم ألفاظك وعمر صدرك وحباك تعظيم الاقوام ومنحك صداقة الملوك يطيعك فى الليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم الذى ان افتقرت اليه لم يحقرك وان قطعتَ عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وان عُزِلت لم يدع طاعتك وان هبّت عليك ريحُ أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً به ومتصلا منه بأدنى حبل لم تَضْطرّك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء وانّ أمثلَ ما يقطع به الفُرّاغ نهارَهم وأصحابُ الكفايات ساعة ليلهم نظرة فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد أبداً فى تجربة وعقل ومروءة وصَون عِرض واصلاح دين ومال وربّ صنيعة وابتداء انعام ولو لم يكن من فضله عليك واحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك ونظرك الى المارة بك مع مافى ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صَغار الناس ومن خطور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأحوالهم الرديّة وطرائقهم المذمومة وأفعالهم الخبيثة القبيحة لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة وإخزان الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا انه يشغلك عن سخف المنى وعن اعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما أشبهه لقد كان فى ذلك على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنة وهو الذى يزيد فى العقل ويشحذه ويداويه ويهذّبه وينفى الخبث عنه ويفيد العلم ويصادق بينك وبين الحجة ويقودك للاخذ بالثقة ويُعمر الحال ويكسب المال وهو شبهة المورث وكنز عند الوارث غير انه كنز لازكاة فيه ولا حق للسلطان يخرج منه وهو كالضيعة التي لا تحتاج الى سقى ولا إسجال بايغار ولا الى شرط ولا اكثار وليس عليها عشرٌ للسلطان ولا خراجٌ ولولا

ما رسمتْ لنا الأوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حِكمها ودوّنت من أنواع سِيَرها حتى شاهَدْنا بها من غاب عنا وفتحنا بها كل منغلق علينا فجمعنا فى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم ندركه الا بهم لقد كان بُخِس حظا منه وأكثر من كتبهم نفعاً وأشرف منها حظاً وأحسن موقعاً كُتب الله عز وجل التى فيها الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئـة وحسنة وما زالت كتب الله جل وعلا فى الألواح والصحف والمصاحف فقال جل ذكره ﴿ أم لم يُنبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذي وَفّى ﴾ فذكر صحف موسى الموجودة وصحف ابراهيم البائدة .. وقال ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ وقال عز وجل ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ وقال ﴿ كراماً كاتبين ﴾ وقال ﴿ وأما من أوتىَ كتابَه وراء ظهرِه ﴾ وقال ﴿ اقرأ كتابكَ كفي بنفسك اليومَ عليكَ حسيباً ﴾ ولو لم تكن تكتب أعمالهم لكانت محفوظة لا يدخل ذلك الحفظ نسيان ولكنه تعالى جده علم ان نسخه أوكَد وأبلغ وأهيب فى الصدور فقال جل ذكره ﴿ إنا كنّا نَستنسِخُ ما كنتم تعملونَ ﴾ ولو شاء الله أن يجعـل البشارات بالمرسلين على الألسنة ولم يودعها الكتب لفـعل ولكنه تبارك وتعالى علم ان ذلك أتم وأبلغ وأكمل وأجمع وفي قول سليمان عليه السلام ﴿ إذهبْ بكتابي هذا فألقه اليهم ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها من عفريت وانسي وغيرهما فرأى الكتاب أبهى وأحسـن وأكرم وأفخم وأنبل من الرسالة ولوشاء النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يكتب الى قيصر وكسرى والنجاشي والمقوقس والى ابني الجُلَندى والي العباهِـلة من حِمير والى هَوْذة والملوك العظماء والسادة النجباء لفعل ولوجد المبلغ المعصومَ من الخطأ والزلل والتبديل ولكنه عليه الصلاة والسلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحالة وأليق بتلك المراتب وأبلغ فى تعظيم ما حواه الكتاب .. وحمله ان كثُرَ ورقُه فليس مما يُمل لانه وان كان كتاباً واحداً فانه كتب كثيرة فان أراد قراءة الجميع لم يصر على الباب الأول حتى يهجم على الثاني ولا الثالث حتى يهجم على الرابع فهو أبداً مستفيد ومستطرِف وبعضه يكون حاثا لبعض ولا يزال نشاطه زائداً متى خرج من أثر صار فى خبر حتى يخرج من خبر الى شعر ومن الشعر الى النوادر ومن النوادر الى نتف والى مواعظ حتى يفضى الى مزح

وفكاهة وملح ومضاحك وخرافة وكانوا يجعلون الكتاب نقراً فى الصخور ونقشاً فى الحجارة وحلقة مركبة فى البنيان وربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان الكتاب هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف ويريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غُمدانَ وعلى باب القَيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقّر وعلى الأبلق الفردِ من تَيماء وعلى باب الرُّها يعمدون الى المواضع الرفيعة المشهورة والاماكن المذكورة ويضعون الخطّ فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراها من مرّ ولا ينسى على مرور الدهور وعمدوا الى الرسوم ونقوش الخواتيم فجعلوها سبباً لحفظ الأموال والخزائن ولولاها لدَخل على الناس الضرر الكبير ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب أكثره ولبطلت معرفة التضاعيف ونفع الحساب معلوم والخلة فى موضع فقده معروفة قال الله عزوجل ﴿هو الذى جعلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّرهُ منازلَ لِتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ﴾ ولولا الكتب المدوّنة والأخبار المجلّدة والحكم المخطوطة التى تجمع الحساب وغير الحساب لَبطل أكثر العلم ولولا الكتاب لم يكن يعلم أهل الرقّة والمَوْصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء وذلك مشهور فى الحمام اذا أُرْسِلَتْ وكانت العرب تعقد في مآثرها على الشعر الموزون والكلام المُقفّى وكان ذلك ديوانها على ان الشعر بقيّة فضيلة البيان على الشاعر الراغب وفضيلة الأثر على السيد المرغوب اليه وكانت العجم تقيّد مآثرها بالبنيان فبنت مثل بناء أردَشير وبناء إصطخر وبيضاء المدائن وشيرين والمدن والحصون والقناطر والجسور ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفرّدت بالشعر فلها من البنيان غُمدانُ وكعبة نجران وقصر مأرب وقصر شَعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان وتصنيف الكتب أشدّ تقييداً للمآثر على مر الأيام والدهور من البنيان لان البنيان لامحالة يدرس وتعفو رسومه والكتاب باقٍ يقع من قرن الى قرن فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النّحل وورثة الأنبياء

وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظُرفاء والمُلحاء وكتب الملاهي والفكاهات وكتب أصحاب المِرَاء والخصومات وكتب أصحاب العَصبيّةِ وحَمِيّةِ الجاهليّة فمنهم من يفرط في العلم فى أيام جهله وخُمول ذكره وحداثة سنّه ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحرّكَتْ هِمَمُ هؤلاء لِطلب العلم ونازَعَتْ الى حب الأدب وأنِفَتْ من حال الجهل وأن تكون فى غمار الوحش ويدخل عليهم الضرَرُ والحقارة وسوء الحال بما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلاّ بالكلام الكثير ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا .. وقال بعض الحكماء ذهبت المكارم إلاّ من الكتب وقال الله عزوجل ﴿ إقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي عَلَّمَ بالقلمِ ﴾ فوصف نفسَه تعالى جدّه بانه علّم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم واعتد بذلك في نِعَمِهِ العظام وأياديه الجسام ووضع القلم فى المكان الرفيع ونوّه بذكره واقسم به كما أقسم بما يخط به فقال ﴿ ن والقلمِ وما يسطُرونَ ﴾ والقلم أرجح من اللسان لان كتابته تقرأ بكل مكان ويظهر مافيه على كل لسان ويوجد مع كل زمان ومناقلةُ اللسان وهدِيّتُه لايجاوزان مجلسَ صاحبه ومبلغَ صوته والكتاب يخاطبك من بعيد وقد قالوا القلم أحد اللسانين وقالوا كل من عرف النعمة فى بيان اللسان كان أعرف بفضل النعمة في بيان القلم وقد يعترى القلم ما يعترى المؤدّب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على عشرة أسواط فيضرب مائة لانه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب فى الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع الحرارة فيه وزاد فى غضبه فأراه الغضب ان الرأى في الاكثار وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرَين فيكتب عشرة وقد قيل القلم الشاهد والغائب يقرأ بكل لسان وفى كل زمان وقالوا ظاهر عقول الرجال في اختيارها ومدوّن فى أطراف أقلامها ومصباح الكلام حُسنُ الاختيار وقالوا القلم مجهِّز جيوش الكلام يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة ويسكت واقفاً وينطق سائراً على الأرض بياضه مظلم وسواده مضىء وقال الشاعر

قَوْمٌ اذا خافوا عداوةَ مَعشَرٍ ... سَفكُوا الدِّما بأسنّةِ الأقلامِ

ولَمَشْقَةٌ من كاتبٍ بِمدادِهِ ... أمضى وأقطعُ من صَنِيعِ حُسامِ

•• وقال آخر أيضاً

ماالسيفُ والسيفُ سيفُ الكَمِيِّ ... بأخوفَ من قلَمِ الكاتبِ
لهُ غايةٌ إن تأمَّلتها ... ظهرتَ على سَوْءةِ الغائبِ
أداةُ المَنيَّةِ في جانبَيْهِ ... فمِنْ مثلهِ رهبةُ الراهبِ
سِنانُ المَنيَّةِ في جانبٍ ... وسَيفُ المَنيَّةِ في جانبِ
ألم تر في صَدْرِهِ كالسِّنانِ ... وفي الرِّدْفِ كالمُرْهَفِ القاضبِ
فيجرى به الكفُّ في حالةٍ ... على هيئةِ الطاعنِ الضاربِ

•• وقال آخر أيضاً مُلْغزاً

وأعجبَ رجلاه في رأسهِ ... يَطيرُ حثيثاً على الأملسِ
مطاياه من تحتهِ الإصبَعا ... نِ ولولا مطاياه لم يُلمسِ

•• وقال آخر سامحه الله

وأعجبَ مُنشقِّ الشّباةِ مُقلَّمٍ ... مُوَشَّى القراطاوى الحشا أسودِ الفَمِ
اذا هو أضحى في الدواةِ فأعجمٌ ... ويُضحي فصيحاً في يدَيْ غيرِ أعجَمِ
يُناجي مناجاةَ أغرَّ مُرزَّأً ... متى أستمع معزوفَهُ يتبسَّمِ

•• وقال آخر رحمه الله

لكَ القلمُ الذى لم يَجْرِ يوماً ... بغايَةِ منطِقٍ فكبا بِسِيِّ
وَمبتسمٌ على القرطاس يأسو ... ويَجرحُ وهو ذو بالٍ رخيِّ
فما المقدادُ أعضَبُ من شَباهُ ... ولاالصمصامُ سَيفُ المَذحِجيِّ

•• وقال واجاد

أحسنُ من غفلة الرقيبِ ... ولحظةِ الوعدِ من حبيبِ
والنغمِ والنقرِ من كعابٍ ... مُصيبةِ العُودِ والقضيبِ
ومن بنات الكروم راحاً ... في راحتَيْ شادنٍ وبيبِ
كَتْبُ أديبٍ الى أديبٍ ... طالتْ به مدة المَغيبِ
فنمَّقتْ كفهُ سُطوراً ... تُمزقُ الصبرَ في القلوبِ

تتركُ من سُطِّرَت اليه أطرَب من عاشق طَرُوب

٠٠ وقال آخر

اذا آستمدَّت صرفتُ الطرفَ عن يدِها خوفاً عليها لما أخشى من التُّهَمِ
كأنما قابَلَ القرطاسَ إذ مَشقَتْ منها ثلاثةُ أقلامٍ على قلمِ

٠٠ وقال أشجع في جعفر البرمكي

اذا أخذتْ أنامِلهُ تبينَ فضلُهُ القلما
تطأطأ كل مرتفعٍ لفضلِ الكَتْبِ مذ نجما

يقدم ويؤخر أراد اذا أخذت أنامله القلم تبين فضله * وفي الخط ٠٠ قال نظر المأمون الى مؤامرة بخط حسن فقال لله در القلم كيف يَحوك وشيَ المملكة ٠٠ وقال يحيى بن خالد البرمكي الخط صورة روحُها البيانُ ويدُها السرعة وقدماها التسوية وجوارحها معرفة الفصول ٠٠ وقال في مثله رحمه الله تعالى

تقولُ وقد كتبتُ دقيق خطي فديتُكَ لمَ تجتنبُ الجليلا
فقلتُ لها نحلْتُ فصارَ خطي دقيقاً مثل صاحبهِ نحيلا

٠٠ وقال عليّ بن الجهم في صفة الكتب اذا غشيني النعاس في غير وقت النوم تناولت كتاباً فأجد اهتزازي فيه من الفوائد والأريحية التي تعتادني وتعتريني من سرور الاستبانة وعز التبين أشد ايقاظاً من نهيق الحمار وهدَّة الهدم واني اذا استحسنت كتاباً واستجدته رجوت فيه فائدة فلو تراني ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قِبله وان كان الكتاب عظيم الحجم وكان الورق كبير القدر ٠٠ وذكر له العتبيّ كتاباً لبعض القدماء وقال لولا طوله لنسخته فقال ما رغبتي الا فيما زهدتَ عنه وما قرأت كتاباً كبيراً فأخلاني من فائدة ولا أحصي كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت فيها ٠٠ قال ابن داحة كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يجالس الناس ونزل مقبرة من المقابر وكان لا يكاد يُرى الا وفي يده كتاب يقرأ فيه فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة فقال لم أرَ أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة وقيل لابن داحة وقد أُخرج

اليه كتاب ابن الشمقمق وهو فى جلود كوفية وورقتين طابقتين بخط عجيب فقال لقد ضيع درهمه صاحب هذا الكتاب وقال والله ان القلم ليعطيكم مثل ما تعطونه ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي وأجعله مخطوطاً على ناظري لفعلت .. وقال بعضهم كنت عند بعض العلماء وكنت أكتبُ عنه بعضاً وأدعُ بعضاً فقال لي اكتب كل ماتسمع فان أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض .. وقيل

أما لو أعي كلَّ ما أسمعُ وأحفظ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفد غيرَ ماقد جمعتُ لقيل هو العالمُ المُقنعُ
ولكنَّ نفسي الى كل نوعٍ من العلم تسمعهُ تنزعُ
فلا أنا أحفظ ماقد جمعتُ ولا أنا من جمعه أشبعُ
ومن يكُ فى علمه هكذا يكن دهرَهُ القهقرى يرجعُ
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعك للكتبِ لا ينفعُ

.. وقال بعضهم الحفظ مع الاقلال أمكن ومع الاكثار أبعد وهو للطبائع مع رطوبة القضيب أقبل .. ومنها قول الشاعر

أتانى هواها قبلَ أن أعرِف الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا

.. وقيل التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر عقلاً ولكنه أكثر شغلا .. وكما قال

وان من أدَّبتَهُ فى الصبا كالعودِ يُسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورِقاً ناضراً بعد الذى أبصرتَ من يُبسِهِ

والصبى على الصبا أفهمُ وله آلف واليه أنزع وكذلك العالم على العلم والجاهل على الجهل وقال الله تبارك وتعالى ﴿ولو جعلناه ملَكاً لجعلناهُ رجلاً﴾ لأن الانسان على الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس ومَن التقط كتاباً جامعاً كان له غنمه وعلى مؤلفه غرمه وكان له نفعه وعلى صاحبه كدّهُ ومتى ظفر بمثله صاحبُ علم فهو وادعٌ جامٌّ ومؤلفه متعوب مكدود وقد كفى مؤنة جمعه وتتبعه وأغناه عن طول التفكير واستنفاد العمر كان عليه أن يجعل ذلك من التوفيق والتسديد اذا بالغ صاحبه فى تصنيفه وأجاد في اختياره ..

قال أبو هفّان

اذا آنسَ الناسَ ما يَجمعونَ أنِستُ بما يجمعُ الدفترُ
له وطرى وبه لذّتي على الكأس والكأسُ لاتحضُرُ
تدور علي الشّرب محمودةً لها المَوْردُ الخِرقُ والمصدَرُ
يُغنيهمُ ساحرُ المقلتين كشمس الضحي طرفهُ أحورُ
وريحانهمْ طيبُ أخلاقِهمْ وعندهمُ الوردُ والعبهرُ
على أنّ همتنا في الحرو ب فتلك الصناعةُ والمتجرُ

.. قال لما قلتها عرضتُها على ابن دِهقان قال اذا سمع بها الخليفة استغنى بها عن الندماء وأنشدنا غيره

نعم المحدّثُ والرفيق كتابُ تلهو به ان خانك الأصحابُ
لا مفشياً سرًّا اذا استودَعتهُ وتُنال منه حِكمةٌ وصوابُ

.. وقال آخر

نعمَ الجليسُ بِعقبِ قَعْدةِ صخرةٍ للمَلْكِ والأدباءِ والكُتّابِ
ورَقٌ تضمّن من خطوط أناملٍ مَرعيّ من الأخبار والآداب
يَخلو به مَن مَلّ من أصحابهِ فيقالُ خِلوٌ وهو في الأصحابِ

.. قال وأنشدنا أبو الحسن علي بن يحيى النديم رحمه الله

اذا ما خلوتُ من المؤنسينَ جعلتُ المحدّثَ لي دفتري
فلم أخلُ من شاعرٍ محسنٍ ومن مضحكٍ طَيّبٍ مُندرِ
ومن حِكَمٍ بين أثنائها فوائدُ للناظر المفكرِ
وان ضاق صدري بأسرارهِ وأودَعتهُ السرَّ لم يُظهرِ
وان صرّحَ الشعر باسم الحبيبِ لما احتشمتُ ولم أُحضَرِ
وان عُذْتُ من ضُجرةٍ بالهجاء ولو في الخليفة لم أحذَرِ
فنادَمتُ منه كريمَ المَغيبِ لنَدْمانهِ طَيبَ المحضَرِ
فلستُ أرى مُؤثراً ماحييتُ عليه نديماً الى المحشَرِ

.. وقال فى الذهن

إذا ماغدَتْ طَلاّبةُ العلم ماالها من العلمِ الاما يُخلد فى الكتبِ
غدَوتُ بتشمير وجِدٍّ عليهمُ ومِحبرَتي سمعي ودفترها قلبي

.. وقال آخر

يا أيها الطالبُ الآدابَ مبتدراً لاتسْهُ عن حَملكَ الالواحَ للأدب
فحملُها أدبٌ تحوى به أدباً وسوفَ تنقلُ مافيها الى الكتُبِ
وليس في كل وقت ممكناً قلمٌ ودَفترٌ ياعديمَ المثل فى الحسَبِ

وكل ماتقدم ذكره من مناقب الكتب ووصف محاسنها فهو دون ما يستحقه كتابناهذا فقد اشتمل على محاسن الاخبار وظرائف الآثار وترجمناه بكتاب (المحاسن والمساوى) لأن المصلحة فى ابتداء أمر الدنيا الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضار بالنافع والمكروه بالمحبوب ولو كان الشر صرفاً محضاً لهلك الخلق ولو كان الخير محضاً لسقطت المحبة وتقطعت أسباب الفكرة ومتى بطل التخير وذهب التميز لم يكن صبر على مكروه ولا شكرٌ على محبوب ولا تعامل ولا تنافس في درجة وما توفيقنا الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل.. وافتتحنا كتابناهذا بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الأبرار الأخيار لما رجونا فيه من الفضل والبركة واليمن والتوفيق والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واخوته من النبيين وآله الطيبين أجمعين

محاسن النبي صلى الله عليه وسلم

اختاره الله من خير أرومات العرب عُنصراً ومن أعلى ذوائب قريش فرعاً ومن أكرم عيدانِ قصيّ مجداً ثم لم يزل بلطفه لنبيه صلى الله عليه وسلم وآله واختياره اياه بالآباء الاخيار والأمهات الطواهر حتى أخرجه فى خير زمان وأفضل أوان تفرّع من شجرة باسقة الندى شامخة العلى عربية الأصل قرشية الأهل منافيةِ الأعطان هاشمية

الأغصان ثمرتها القرآن تندى بماء ينابيع العلم فى رياض الحلم لا يذوى عودها ولا تجف ثمرتها ولا يضل أهلها أصلها ثابت وفرعها نابت فيالها من شجرة ناضرة خضراء ناعمة غرست فى جبل قفر وبلد وعر محل ضرع غير ذى زرع عند بيتك المحرم وبلدك المكرم فهو صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأخيار كما قال بعض الحكماء .. لئن كان سليمان عليه السلام أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر لقد أعطي نبينا صلى الله عليه وسلم البراق الذى هو أسرع من الريح .. ولئن كان موسى عليه السلام أعطي حجراً تتفجر منه اثنا عشر عيناً لقد وضع أصابعه عليه وعلى آله السلام في الإناء والماء ينبع من بين أصابعه حتى ارتوى أصحابه رضى الله عنهم وما لهم من الخيل .. ولقد كان رديف عمه أبي طالب بذى المجاز فقال يا ابن أخي قد عطشتُ فقال عطشتَ ياعم قال نعم فثنى وركه فنزل وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب فشرب حتى روى .. ولئن كان عيسى عليه السلام أحيا النفس باذن الله لقد رفع صلى الله عليه وسلم ذراعاً الى فيه فأخبرته أنها مسمومة وكان صلى الله عليه وسلم يخبر بما في الضمائر ومايأكلون وما يدخرون .. ثم دعاؤه المستجاب الذى لا تأخير فيه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لقى من قريش والعرب من شدة أذاهم له وتكذيبهم إياه واستعانتهم عليه بالأموال دعا أن تجدب بلادهم وان يدخل الفقر بيوتهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف اللهم اشدد وطأتك على مُضرَ فأمسك الله عز وجل عنهم القطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلّت المراعي فماتت المواشي حتى اشتوَوا القِدَّ وأكلوا العِلْهِز فعند ذلك وَفَدَ حاجب بن زُرارة الى كسرى يشكو اليه الجهد والأزْلَ ويستأذنه فى رعى السواد وهو حين ضمن عن قومه وأرهنه قوسه فلما أصاب مُضر خاصة الجهد ونهكهم الأزلُ وبلغت الحجة مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها دعا بفضله صلى الله عليه وسلم الذى كان بدأهم به فسأل ربه عز وجل الخِصب وإدرار الغيث فأتاهم منهم ماهدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه فى ذلك فقال اللهم حوالينا ولا علينا فأمطر الله ماحولهم .. ودعا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على المستهزئين بكتاب الله عز وجل وكانوا اثني عشر رجلاً فكفاه الله جل اسمه أمرَهم فقال (إنا كفيناك المستهزئين) وقصة عامر بن الطفيل ودعائه عليه وناطقه صلى الله

عليه وسلم ذئبٌ وأظلّته غمامة وحن اليه عود المنبر وأطعم عسكراً من ثريدة في حجم قطاة وسقى جيشاً ووضأهم من مِيضأة جسمَ صاع ورسوخ قوائم فرس سُراقة بن جُعْشم في الأرض واطلاقه له بعد إذ أخذ موثقه ومَرِيُه ضرعَ شاة حامل فعادت كالحائل والتزاق الصخرة بيد أربد وما أراه الله عزوجل أباجهلٍ حين أهوى بالصخرة نحو رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فظهر له فحلٌ ليلقم رأسه فرمى بالصخرة ورجع يشتد الى أصحابه قد انتُقِعَ لونه فقالوا له مابالك فقال رأيت فحلا لم أر مثله يريد هامتي ٠٠ وأما ماأراه الله أعداءهُ من الآيات فأكثر من أن يُحصى ٠٠ منها ما رواهُ وهبُ بن مُنبه عن الليث بن سعد قال أتى أربد بن ربيعة وعامر بن الطُفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا أشغله بالكلام حتى تقتله فوقف أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما طال عليه انصرف فقال لصاحبه ما صنعت شيئاً قال رأيت عنده شيئاً رجله في الأرض ورأسه في السماء لو دنوت منه أعلكني فأما أربد فأصابته صاعقة وأنزل الله تعالى ﴿ لهُ مُعقِّباتٌ من بين يديهِ ومن خلفهِ يحفظُونهُ من أمرِ الله ﴾ وأما عامر فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أهلُ الوَبر ولكم أهل المدر فقال صلى الله عليه وسلم لكم الأعنة فقال لأملأنها خيلا عليكم ورَجلا فلما ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه فأخذته غُدّة فقتلته * وعن محمد بن عبد الله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلّي إذ رآه أبو جهل فقال لنفر من قُريش لأذهبنّ فأقتلنّ محمداً فدنا منه قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلّي ويقرأ ﴿إقرأ باسمِ ربكَ الذى خلقَ خلقَ الانسانَ من علَقٍ ﴾ حتى بلغ آخرها فانصرف أبو جهل وهو يقول هذا وأبيكم وعيد شديد فلقي أصحابه فقالوا له مابالك لم تقتله قال والله ان بيني وبينه رَجلاً له كَتيت ككتيت الفحل يعدني يقولُ ادنُ ادنُ * وعن عبد الله أن أعرابياً جاء بعُكةٍ من سمن فاشتراها أبو جهل فأمسك العُكة وأمسك الثمن فشكاه الاعرابيّ الى قريش فكلموه فأبى عليهم فقال بعض المستهزئين ياأعرابي أتحب أن تأخذ عكّتك وثمنها قال بلى قال أترى هذا الرجل المارّ القه فكلمه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه الأعرابي وشكا اليه أمر العكة فخرج صلى الله عليه وسلم

حتى وقف بباب أبي جهل فناداه باسمه فخرج اليه ترعد فرائصه فقال له أدِّ هذا عُكّتَه وثمنها فدخل أبو جهل فدفع الى الرجل العكة فخرج الاعرابي الى قريش وأخبرهم بذلك ثم خرج أبو جهل فقالت له قريش كلّمناك أن تؤدّيَ الاعرابي حقه فأبيت ثم جاءك ابن عبد المطلب فدفعتَ اليه ذلك فقال ان معه لجملاً فاتحاً فاه ينتظر ماأقول فيلتقم رأسي فما وجدت بُدّا من اعطائه حقه * وأما أنس الوَحْشِ به فمما حدثنا به اسماعيل بن يحيى بن محمد عن سعيد بن سيف بن عمر عن أبي عمير عن الأسود عن هند بن أبي هالة أنه دخل على عائشة فقال حدثينا بأعجب مارأيت أو بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كل أمره كان عجباً وأعجب ما رأيت انه كان لي ربائب وحش كنت آنسُ بهنّ وآلفهنّ فاذا كان يومه الذى يكون فيه عندى لم يزلن قياماً صوافّ ينظرن اليه ولا يلهينّ عن النظر اليه شئ ولا ينظرن الى غيره فاذا شخص قائماً سمَوْنَ اليه بأبصارهنّ فاذا انطلق موليّاً لاحظنَهُ النظر فاذا غاب شخصهُ عنهنّ ضربن بأذنابهنّ وآذانهنّ وكان ذلك يُعجبُني * وعن عبد الملك بن عمير ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبية عند قانص فقالت يارسول الله ان ضرعى قد امتلأ وتركتُ خِشفَين جائعَين فخلّني حتى أذهبَ وأرويهما ثم أعود اليك فتربطني فقال صَيْدقوم وَرَبِيطَتُهم قالت يارسول الله فاني أعطيك عهد الله لأرجعنّ فأخذ عليها عهد الله ثم اطلقها وارسلها فما لبثت إلاّ يسيراً حتى جاءت وقد فرّغت مافى ضَرْعِها فقال صلى الله عليه وسلم لمن هذه الظبية قالوا لفلانٍ فاستوهبها منه ثم خلّى سبيلها وقال لو ان البهائم تعلم ماتعلمون من الموت ماأكلتم سميناً * وأما محاسن شهادات السباع له بالنبوّة فمن ذلك ما روى ان أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أُمية خرجا من مكة فاذا هما بذئب يكد ظبية حتى ان نفَسه كاد ان يبلغ ظهرَ الظبية أو شبيهاً بذلك إذ دخل الظبي الحرمَ فرجع الذئب فقال أبو سفيان ما أرضٌ سكنها قوم أفضل من أرض أسكنها الله إيانا أما رأيت ماصنع الذئب أعجب منه حين رجع فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت ذلك بمكة لتتركها خِلواً * وذكروا ان رافع بن عُميرة بن جابر كان يرعى غنماً إذ غار

الذئب عليها فاحتمل أعظم شاة منها فشد عليه رافع ليأخذها منه وقال عجباً للذئب يحتمل ماحمل قال فأقعي الذئب غير بعيد وقال أعجب منه أنت أخذت مني رزقاً رزقنيه الله تعالى فقال رافع ياعجبا للذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من ذلك الخارج من تهامة يدعوكم الي الجنة وتأبون إلاّ دخول النار فأقبل الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاءه جبريل عليه السلام فأنبأه بما كان فقص النبي صلي الله عليه وسلم ما كان فآمن وصدق وقال

رَعَيتُ الضأنَ أحميها بنفسي ... من اللِّصِّ الخفيِّ وكلِّ ذيبِ
فلما أن رأيتُ الذئبَ يعوى ... وبشّرني بأحمدَ من قريب
يُبشرُني بدينِ الحقِّ حتي ... تبيَّنَتِ الشريعةُ للمُنيبِ
رَجَعْتُ لهُ وقد شمَّرْتُ ثوْبي ... عن الكعبين مغتمِداً ركوبي
فألْفَيتُ النبيَّ يقولُ قَوْلاً ... صواباً ليس بالهزلِ الكذُوبِ
ألا بلِّغْ بني عمرو بن عَوْفٍ ... وأُختَهُمُ جَدِيلةَ أنْ أجيبي
دُعاء المصطفى لاشكَّ فيهِ ... فإنكِ إنْ تُجيبي لاتَخيبي

ومن محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركته مارواه محمد بن اسحاق عن سعيد ابن ميثا عن جابر بن عبد الله قال عمانا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق وكانت عندى شُوَيهةٌ غير سمينة فقلت والله لو صنعت هذه الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأمرت امرأتي فطحنت شيئاً من شعير فصنعت له منه خبزاً وذبحتُ الشاة فشويتُها فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف قلت يارسول الله إني صنعت لك شُوَيهةً وشيئاً من خبز الشعير وأحب ان تنصرفَ معي الى منزلي وانما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدَهُ فلما قلت له ذلك قال نعم ثم أمر بصارخ فصرخ انصرفوا الي بيت جابر فقلت إنا لله وإنا اليه راجعون وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه فأخرجتها اليه فسمَّى ثم أكل وتواردَها الناسُ كلما فرغ قوم قاموا وجاء قوم حتى صدر أهل الخندق عنها * وروى عن محمد بن اسحاق أن ابنة لبشير بن سعد قالت دعتني ابنة رواحة فاعطتني حفنة تمر في ثوبي وقالت يابنية اذهبي الى أبيك بهذا قالت فأخذتها وانطلقت بها فمررت برسول الله صلي

الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي فقال عليه الصلاة والسلام تعالي يابنية ماهـذا معك قلت تمر بعثت به أمي الى أبي بشير بن سعد فقال هاتي به فصببتُه في كفي رسول الله صلي الله عليه وسلم فما ملأتهما ثم أمر بثوب فبُسط ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ثم قال لانسان عنده ناد في أهل الخندق أن هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق فجعلوا يأكلون منه وجعل هو يزداد حتي صدر أهل الخندق عنـه وهو يسقط من أطراف الثوب .. ومن آياته صلى الله عليه وسلم مالا يعرفها الا الخاصة وهي محاسن أخلاقه وأفعاله التي لم تجتمع لبشر من قبله ولا تجتمع لأحد من بعده وذلك انا لم نرَ ولم نسمع لأحد قط صبره وحلمه ووفاءه وزهده وجوده ونجدته وصدق لهجته وكرم عشيرته وتواضعه وعلمه وحفظه وصمته اذا صمت ونطقه اذا نطق ولا كعفوه وقلة امتنانه ولم نجد شجاعاً قط الا وقد فرّ مثل عامر فرّ عن أخيه الحكم يوم الرَّقَم وعُيينة فرّ عن أبيه يوم نسار وبسطام عن قومه يوم العُظالى .. وكان له صلى الله عليه وسلم وقائع مثل أُحد وحُنين وغيرهما فلا يستطيع منافق أن يقول هاب حرباً أو خاف .. وأما زهده صلى الله عليه وسلم فانه ملك من أقصى اليمن الى شِحر عمان الى أقصى الحجاز الى عذار العراق ثم توفى صلى الله عليه وسلم وعليه دين ودرعه مرهون فى ثمن طعام أهله لم يبن داراً ولا شيد قصراً ولا غرس نخلا ولا شق نهرا ولا استنبط عيناً ولم يترك غير برديه الذين كان يلبسهما وخاتمه وكان صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض ويلبس العباءة ويجالس الفقراء ويمشي فى الأسواق ويتوسد يده ولا يأكل متكئاً ويقتص من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب ولو دُعيت الى ذراع لأجبت ولو أُهدي الىَّ كُراع لقبلت ولم يأكل قط وحده ولا ضرب عبـده ولم يُر عليه الصلاة والسلام أدار رجله بين يدى أحد ولا أخذ بيده أحد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسلها .. وأما كرمه صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وقد قتلوا أعمامه ورجاله وأولياءه وأنصاره وآذوه وأرادوا نفسه فكان يتلقى السفه بالحلم والأذى بالاحتمال وكان متى كان أكرم وعنهم أصفح كانوا ألأم وعليه ألح والعجب انهم كانوا أحلم جيل إلا فيما بينهم وبينه فانهم كانوا اذا ساروا اليه أخشوا عليه وأفرطوا في السفه ورموه بالفرث

والدماء وألقوا على طريقه الشوك وحثوْ في وجهه التراب وكان لا يتولى هذا منه الا العظماء والأخوال والأعمام والأقرب فالأقرب فاذا كانوا كذلك كان أشدّ للغيظ وأثبت للحقد فلما دخل عليه الصلاة والسلام مكة قام فيهم خطيباً فحمد الله عز وجل وأثني عليه ثم قال أقول كما قال أخي يوسف ﴿لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين﴾* وأما محاسن قوله الحق فانه ذكر زيد بن صوحان فقال زيد وما زيد يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوَند في سبيل الله ووعد أصحابه بيضاء إصطخر وبيضاء المدائن وقال لعدىّ بن حاتم لا يمنعك ما ترى يعنى ضعف أصحابه وجَهدهم فكأنهم ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم وكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتى مكة بغير خفير فأبصر ذلك كله عديّ وقال لعمار بن ياسر تقتلك الفئة الباغية فكان كما قال حتى قال معاوية انما قتله من أخرجه وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فأقبل يسأل عنها فقال المنافقون هذا محمد يخبرنا عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فصعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال ان رجلا يقول في بيته ان محمداً يخبرنا عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ألا وانى لا أعلم الا ما علمنى ربى عز وجل وقد أخبرنى انها فى وادى كذا وكذا تعلق زمامها بشجرة فبادر الناس اليها وفيهم زيد بن أرقم وزيد بن اللُّصَيت فاذا هى كذلك .. ولما استأمن أبو سفيان بن حرب اليه عليه الصلاة والسلام أمر عمه العباس أن يأخذه الى خيمته حتى يصبح فلما صار في قبة العباس ندم على ما كان منه وقال فى نفسه ما صنعت دفعت بيدى هكذا ألا كنت أجمع جمعاً من الأحابيش وكنانة وألقاه بهم فلعلى كنت أهزمه فناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيمته اذاً كان الله يخزيك يا أبا سفيان فقال أبو سفيان يا عباس أدخلني على ابن أخيك فقال له العباس ويلك يا أبا سفيان ما آن لك ذلك فأدخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد كان فى النفس شئ وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقاً .. وقوله صلى الله عليه وسلم لما يكون من بعده مما حدث به محمد بن عبد الرحمن بن أذينة عن سَلمان بن قيس عن سلمان بن عامر عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت على منبرى هذا اثني عشر رجلا من قريش يخطب كلهم

رجلان من ولد حرب بن أمية وعشرة من ولد أبي العاص بن أمية ثم التفت الى العباس وقال هلاكهم على يدَى ولدك .. وأما جماله وبهاؤه ومحاسن ولادته صلى الله عليه وسلم فما روى عن عثمان بن أبي العاص قال أخبرتني أمي انها حضرت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لما ضربها المخاض قالت جعلت أنظر الى النجوم تتدلى حتى قلت لتقعن علىَّ فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى صرت لا أري الا نوراً قال وسمعت آمنة تقول لقد رأيت وهو فى بطني انه خرج منى نور أضاءت له قصور الشام ثم ولد صلى الله عليه وسلم فخرج معتمداً على يديه رافعاً رأسه الى السماء كأنه يخطب أو يخاطب .. وروى عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس ما مسست بيدى ديباجاً ولا حريراً ولا خزاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعن جابر بن سَمُرة قال رأيت رسول الله صلى عليه وسلم فى ليلة البدر وعليه حُلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو أحسن من فى عيني من القمر .. وعن جابر بن زيد عن أبيه قال أتيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد الخيف فناولني يده فاذا هي أطيب من المسك وأبرد من الثلج .. ومن فضله الذى أبرَّ على جميع الخلائق ومحاسنه ما روى عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله عز وجل الأرض ارتجت واضطربت فكتب في أطرافها محمد رسول الله فسكنت .. وأما عقله عليه الصلاة والسلام فقد روى ان عقول جميع الخلائق من الأولين والآخرين فى جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كرملةٍ من بين جميع رمال الدنيا .. ومن محاسنه صلى الله عليه وسلم الاسراء وهو ما روى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى رحمه الله يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لنائم فى الحجر اذ جاء جبريل عليه السلام فغمزنى برجله فجلست فلم أر شيئاً ثم عدت لمضجعي فجاءنى الثانية فغمزنى فجلست وأخذ بعضدى فخرج بي الى باب الصفا واذا أنا بدابة أبيض بين الحمار والبغل له جناحان في فخذيه يضع حافره منتهى طرفه فقال لى جبريل إركب يا محمد فدنوت اليه لأركب فتنحى عنى فقال له جبريل عليه السلام يا براق مالك فوالله ماركبك خير منه قط فركبت وخرجت ومعي صاحبي لا أفوته ولا يفوتني حتى انتهى بي الى بيت المقدس

فوجدت فيه نفراً من الأنبياء قد جمعوا لي فأممتهم ثم أُتيت بإناءين من خمر ولبن فتناولت اللبن وشربت منه وتركت الخمر فقال جبريل عليه السلام هُدِيتَ وهُدِيَتْ أمتك وحرمت عليهم الخمر ثم أصبحت بمكة فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ارتد كثير ممن كان آمن به وقالوا سبحان الله أذهب محمد الى الشام فى ساعة من الليل ثم رجع والعير تطرد شهراً مدبرة وشهراً مقبلة فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فأقبل حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يقول هؤلاء يزعمون أنك حدثتهم بأنك قد أتيت الشام هـذه الليلة ورجعت من ليلتك قال قد كان ذلك قال يا رسول الله فصف لى المسجد فجعلت أصفه لأبي بكر رحمه الله وأنا أنظر اليه فكلما حدثته عن شئ قال صدقت أشهد أنك رسول الله حتى فرغت من صفته فقال رسول الله صل الله عليه وسلم يومئذ فأنت الصديق يا أبا بكر ..ومن محاسنه صلى الله عليه وسلم المعراج وذلك ماحدثنا به عبدة بن أبى سلمان عن سعيد بن عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال أخبرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا بين اليقظان والنائم عند البيت اذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فانطلق بي فشرح صدرى واستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب فيه من ماء زمزم فغسل به ثم أعيد مكانه وحشى ايمانا وحكمة ثم أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عنـد أقصى طرفه فحملت عليه فانطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا قالوا مرحبا به ولنعم المجيء جاء فأتيت على آدم فقلت له ياجبريل من هذا قال هذا أبوك آدم فسلمت عليه فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح وانطلقنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا وقالوا مرحباً به ولنعم المجيء جاء فأتيت على يحي وعيسى فقلت ياجبريل من هـذان قال عيسى ويحي قال فسلمت عليهما فقالا مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثـة فكان مثل قولهم الأول فأتيت على يوسف فسلمت عليه فقال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة فأتينا على إدريس عليه السلام فسلمت عليه فقال مرحباً

بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم أتينا السماء الخامسة فأتيت على هارون فسلمت عليه فقال مثل ذلك ثم أتينا السماء السادسة فأتيت على موسى عليه السلام فقال مثل ذلك ثم أتينا السماء السابعة فأتيت على ابراهيم عليه وعلى آله السلام فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفع لنا البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لا يعودون فيه ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار يخرجن من أسفلها فقلت ياجبريل ما هذه الأنهار قال أما النهران الظاهران فالنيل والفرات وأما الباطنان فنهران فى الجنة ثم أتيت باناءين من خمر ولبن فاخترت اللبن فقيل لى أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة وفرضت علىّ خمسون صلاة فأقبلت بها حتى أتيت على موسي عليه السلام فقال بم أمرت قلت بخمسين صلاة كل يوم قال أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك عز وجل فاسأله التخفيف قال فرجعت الى ربى فحط عنى خمساً فأتيت على موسى عليه السلام فقال بم أمرت فأنبأته بما حط عنى فقال مثل مقالته الأولى فما زلت بين يدى ربي جل وعز أستحط حتى رجعت الى خمس صلوات فأتيت على موسى عليه السلام فقال بم أمرت فقلت بخمس صلوات كل يوم قال أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك جل ذكره واسأله التخفيف فقلت لقد رجعت الى ربى تبارك وتعالى حتى استحييت لا ولكني أرضى وأسلم فلما جاوزت نوديت انى قد خففت عن عبادى وأمضيت فريضتي وجعلت بكل حسنة عشراً أمثالها .. وانظر الى رونق ألفاظه عليه الصلاة والسلام وصحة معانيه وموضع ذلك من القلوب مع قلة تعمقه وبعده من التكلف كقوله صلى الله عليه وسلم زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها قوله ـ زويت ـ جمعت ومثله ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة فى النار ولا يكون الانزواء الا بانحراف مع تقبض .. وقال ان منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة وهي الروضة تكون في المكان المرتفع .. وقال ان قريشاً قالت انى صنبور وهى النخلة تبقى منفردة ويدق أصلها تقول انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره .. وقال في أبي بكر رضي الله عنه ما أحد من الناس عرضت عليه الاسلام الا

كانت له كبوة غير أبي بكر فانه لم يتلعثم أى لم ينتظر ولم يمكث ـ والكبوة ـ مثل الوقعة .. وقال فى عمر رحمه الله لم أر عبقرياً يفرى فريه أى يعمل عمله .. وقال فى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ان لك بيتاً فى الجنة وانك ذو قرنيها يريد انه ذو طرفيها .. وقال فى الحسين بن على رحمهما الله حين بال عليه وهو طفل فأخذ من حجره لا تزرموا ابني ـ الازرام ـ القطع يقال للرجل يقطع بوله ازرم .. وقال فى الانصار انهم كرشى وعيبتى ولولا الهجرة لكنت امرءً منهم أى من الأنصار ـ الكرش ـ الجماعة ـ والعيبة ـ أى هم موضع سرى ومنه أخذت العيبة .. وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله النامصة والمتنمصة والواشرة والموتشرة والواصلة والموتصلة والواشمة والموتشمة ـ فالنامصة ـ التى تنتف الشعر من الوجه ومنه قيل للمنقاش المنماص والمتنمصة التى تفعل بها ذلك ـ والواشرة ـ التى تشر أسنانها وذلك انها تفلجها وتحددها حتى يكون لها أشر ـ والأشر ـ تحدد ورقة فى أطراف الاسنان ـ والواصلة والموتصلة ـ التي تصل شعرها بشعر غيرها ـ والواشمة ـ المرأة تغرز ظهر كفها ومعصمها بابرة حتى تؤثر فيه وتحشوه بالكحل .. وذكر أيام التشريق فقال هي أيام أكل وشرب وبعال يعني النكاح وقال يحشر الناس يوم القيامة حُفاة بُهما وهو البهيم الذى لا يخلط لونه لون سواه من سواد كان أو غيره يقول ليس فيهم شئ من الأمراض والعاهات التى تكون فى الدنيا .. وقال فى صلح الحديبية لا إغلال ولا إسلال ـ الاسلال ـ السرقة والاغلال الخيانة .. وقال اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكَوْر .. الحوب اذا كان بالباء والكون اذا كان بالنون تقول يكون فى حالة جميلة فيرجع عنها واذا كانا جميعاً بالراء فهو النقصان بعد الزيادة .. وقال عليه الصلاة والسلام خمروا آنيتكم وأوكوا أسقيتكم وأجيفوا الأبواب واطفؤا المصابيح وأكفتوا صبيانكم فان للشيطان انتشاراً وخطفة يعني بالليل ـ التخمير ـ التغطية ـ والايكاء ـ الشدّ واسم الخيط الذى يشدّ به السقاء الوكاء ـ واكفتوا ـ يعنى ضموهم اليكم .. وقال فى دعائه لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ .. الجد بفتح الجيم الغنى والحظ في الرزق ومنه قيل لفلان فى هذا الأمر جدّ اذا كان مرزوقا .. وقال ان روح القدس نفث فى رُوعي ان نفسا لا تموت حتى تستوفى أو تستكمل رزقها فاتقوا الله

واجملوا فى الطلب قوله ـ نفث فى روعي ـ بضم الراء النفث شبيه بالنفخ ـ وروعي ـ يقول في خَلَدِى .. وقل عليه الصلاة والسلام صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان حال بينكم وبينه سحاب أوظلمة أو هبوة فاكملوا العدة ـ هبوة ـ يعنى غبرة .. وقال عليه الصلاة والسلام ان العرش على منكب اسرافيل وانه ليتواضع لله جلّ وعزّ حتى يصير مثل الوَصع ـ الوصع ـ ولد العصافير .. وقل عليه الصلاة والسلام حين سئل أين كان ربنا جلّ جلاله قبل ان يخلق السموات والارضين فقال كان فى عماء تحته هواء ـ العماء ـ السحاب .. وقال عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه يعنى ان أصلهما واحد وأصل الصنو انما هو فى النخل .. قال الله عز وجل ﴿صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوانٍ﴾ الصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرّق .. وقال من تعلّم القرآن ثم نسيه لقى الله عزّ وجلّ وهو أجذم أي مقطوع اليد .. وقال لرجل أتاه وقال يارسول الله أُيدالِكُ الرجل امرأته بمهرها قال لا الا أن يكون مُلفَجا فقال له أبو بكر رضى الله عنه بأبى وأمى أنت يارسول الله انما نشأت فيما بيننا ونحن قد سافرنا وأنت مقيم فنراك تتكلم بكلام لانعرفه ولا نفهمه فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ان الله جل وعز أدبني وأحسن أدبي وهذا الرجل كلمنى بكلامه فأجبته على حسبه قال أيدالك الرجل امرأته بمهرها أى يماطلها فقلت لا الا أن يكون ملفجا أى معدما .. فكلامه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ومذاهبه تدل على انه موافق لقول الله جل وعز ﴿الله أعلمُ حيثُ يجعل رسالته﴾ ولقوله ﴿ولقدِ اخترناهمْ على عِلْمٍ على العالمينَ﴾ .. وقال جل ذكره ﴿خُذِ العفوَ وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فلما علم انه قد قبل أدبه قال ﴿وإنّك لعلى خُلق عظيمٍ﴾ فلما استحكم له ما أحب قال ﴿وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنهُ فانتهوا﴾

مساوى من تنبى

روى ان مُسيلمة بن حبيب الكذّاب كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك

في آخر سنة عشر من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد شوركت فى الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ولكن قريشا قوم يعتدون فقدم عليه رسولان من قبل مسيلمة بهذا الكتاب فقال أما والله لولا ان الرسل لايقتلون لضربت أعناقكما ثم كتب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذّاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين ٠٠ قيل وأتاه الاحنف بن قيس مع عمه فلما خرجا من عنده قال الأحنف لعمه كيف رأيته قال ليس بمتنب صادق ولا بكذّاب حاذق ٠٠ ومنهم طليحة تنبى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ان ذا النون يأتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذكر ملكا عظيما فلما كان أيام الردة بعث أبو بكر رحمة الله عليه خالد بن الوليد اليه فلما انتهى الى عسكره وجده قد ضربت له قبة من أدم وأصحابه حوله فقال ليخرج الىّ طليحة فقالوا لانصغّر نبياً هو طلحة فخرج اليه فقال خالد ان من عهد خليفتنا ان ندعوك الى الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله فقال ياخالد أشهد أن لاإله الاالله وأنى رسول الله فلما سمع خالد ذلك انصرف عنه وعسكر بالقرب منه على ميل فقال عيينة بن حصن لطليحة لأبالك هل انت مُرينا بعض نبوّتك قال نعم وكان قد بعث عيونا له حين سار خالد من المدينة مقبلا اليهم فعرفوه خبر خالد فقال لئن بعثتم فارسين على فرسين أغرين محجلين من بني نصر بن قُعين أتوكم من القوم بعين فهيؤا فارسين فبعثوهما فخرجا يركضان فلقيا عينا لخالد مقبلا اليهم فقالا ماخبر خالد أو قالا ماوراءك قال هذا خالد بن الوليد فى المسلمين قد أقبل فزادهم فتنة وقال ألم أقل لكم فلما كان في السحر نهض خالد الى طليحة فيمن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما التقى الصفان تزمل طليحة فى كساء له ينتظر بزعمه الوحي فلما طال ذاك على أصحابه وألح عليهم المسلمون بالسيف قال عيينة بن حصن هل أتاك بعدُ قال طليحة من تحت الكساء لا والله ماجاء بعد فقال عيينة تباً لك آخر الدهر ثم جذبه جذبة جاش منها وقال قبح الله هذه من نبوة فجلس طليحة فقال له عيينة ماقيل لك قال قيل لي ان لك رحا كرحاه وأمراً لاتنساه فقال عيينة قد علم الله جل وعز أن

سيكون لك أمر لاتنساه هـذا كذّاب مابورك لنا ولا له فيما يطلب ثم هرب عينة وأخوه فأدركوه وأسروه وأفلت أخوه وخرج طليحة منهزما وأسلمه شيطانه حتى قدم الشام فأقام عند بني جَفْنة الغسانيين حتى فتح الله عز وجل أجنادين وتوفى أبو بكر وأسلم اسلاما صحيحا وقال

وإني من بعد الضلالة شاهد شهادةَ حق لستُ فيها بمُلْحِدِ

ومنهم من تنبي بعد في أيام الرشيد رجل زعم انه نوح فقيل له أنت نوح الذى كان أم نوح آخر قال أنا نوح الذى لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وقد بُعثت اليكم لأُفي الخمسين عاما تمام الألف سنة فأمر الرشيد بضربه وصلبه فمر به بعض المخنثين وهو مصلوب فقال صـلى الله وسـلم عليك ياأبانا ماحصـل فى يدك من سفينتك الا دَقَلُها وهو الذى يكون فى وسط السفينة كجذع طويل .. ومنهم رجـل تنبي فى أيام المأمون فقال للحاجب ابلغ أمير المؤمنين انى نبي الله بالباب فأذن له فقال ثمامة مادليل نبوتك قال تحضر لى أمك فأواقعها فتحمل في ساعتها وتأتى بغلام مثلك فقال ثمامة صـلى الله عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أهوَن عليّ من إحضارك أمي ومواقعتها

محاسن أبي بكر رضوان الله ورحمته عليه

روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فقال هكذا نبعث يوم القيامة .. وقال صلي الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى أيّدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الارض بأبى بكر وعمر ورآهما مقبلين فقال هذان السمع والبصر .. وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال لو وزن إيمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجح بهم .. وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة ووافق ذلك مالاً عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته فجئته بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأبقيتَ لأهلك قلت النصف وجاء أبو بكر بكل ماله فقال له النبي صلى الله

عليه وسلم ماأبقيت لأهلك قال اللهَ حقاً ورسولَه فقلت والله لاأسبقك الى شيء أبداً ٠٠ وعن عمر رضى الله عنه انه قال وددت انى شعرة فى صدر أبي بكر رضى الله عنه ٠٠ وعن عطاء عن أبي الدرداء انه مشى بين يدى أبى بكر رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتمشي بين يدى من هو خير منك ماطلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبي بكر ٠٠ وعن على بن أبي طالب رضوان الله ورحمته عليه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ياعليّ هل تحب الشيخين قلت نعم يارسول الله قال لايجتمع حبك وحبهما الا في قلب مؤمن ٠٠ وعن أبي أُمامة الباهلي ٠٠ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوّجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وعتق بلالاً من ماله ٠٠ وعن أنس عن أبى بكر رضي الله عنه قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لوأن أحدهم نظر فى قدميه لأبصرنا فقال ياأبا بكر ماظنك باثنين الله جل وعز ثالثهما ٠٠ وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله فى مرضه الذى مات فيه وهو عاصب رأسه حتى صعد المنبر فقال انى قائم الساعة على الحوض وان عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة فلم يفطن لها أحد الا أبو بكر رضي الله عنه فقال بأبى أنت وأمي بل نفديك بآبائنا وأبنائنا وأنفسنا وأموالنا وبكي فقال لاتبك ياأبا بكر ان من أمنّ الناس علىّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلا من الناس لاتخذت أبا بكر ولكن أخى فى الاسلام لايبقى فى المسجد باب إلا سُدّ الا باب أبي بكر فبكى أبو بكر وقال أنا ومالى لك يارسول الله ٠٠ وعن ابن المنكدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا لى صاحبي إني بُعثت وقال الناس كلهم كذبت وقال لى صدقتَ يعني أبا بكر رضى الله عنه ٠٠ وعن محمد بن عُبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل فجاء وقد ظهر فقال يارسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قال لست أسألك عن النساء قال أبوها أبو بكر ٠٠ وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء يوم القيامة رجل الى باب الجنة ليس منها باب الا وعليه ملك يهتف به هلمّ هلمّ ادخل فقال أبو بكر رضى الله

عنه ان هذا لسعيد قال هو ابن أبي قحافة .. وعن سليمان بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى المؤمن ثلاثمائة وستون خصلة من الخير اذا جاء بواحدة دخل الجنة قال أبو بكر رضى الله عنه بأبي أنت وأمى أفيّ منها شيء قال هي كلها فيك ياأبا بكر .. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر رضي الله عنه وعليه عباءة قد خلّها فى صدره بخلال اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يارسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها فى صدره قال أنفق ماله عليّ قبل الفتح قال فاقرئه من الله عز وجلّ السلام وقل له يقول لك ربك تبارك وتعالى أراض أنت عنّى فى فقرك أم ساخط فقال أبو بكر أعلى ربي أغضب أنا عن ربي راض .. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ طلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه الصلاة والسلام هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين ممن مضى وممن بقى الا النبيين والمرسلين لاتخبرهما ياعليّ .. وعن جابر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول يطلع علينا من هذا الفجّ رجل من أهل الجنة فطلع أبو بكر رضى الله عنه ثم قال يطلع علينا من هذا الفجّ رجل من أهل الجنة فطلع عمر رضي الله عنه ثم قال يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة اللهم اجعله عليًّا فطلع عليّ رضى الله عنه .. وعن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله ماأحسن هذه الآية قل أيتها قال قوله تبارك وتعالى ﴿ يا أيُّها النفسُ المطمئنّةُ ارْجعى إلى ربّكِ راضيةً مرضيّةً فادْخلى فى عبادى وادْخلى جنتي ﴾ فقال ياأبا بكر ان الملك سيقولها لك .. وقيل انه لما أسلم أبو أبى بكر أبو قحافة لم يعلم أبو بكر رضي الله عنه باسلامه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا أبشرك يا أبا بكر بما يسرك قال مثلك يا رسول الله من يبشر بالخير فما هي قال أسلم أبو قحافة قال يارسول الله لو بشرتنى باسلام أبى طالب كان أقرّ لعينى فانه أقر لعينك فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علا بكاؤه جزعاً لما فاته من اسلام أبى طالب وقال رحمك الله يا أبا بكر ثلاثا

محاسن عمر بن الخطاب رضوان الله ورحمته عليه

عن أبي هريرة رحمه الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم اذ رأيتني على قَليب وعليها دلو فنزعت ما شاء الله ثم أخذها مني أبو بكر أو قال ابن أبي قحافة فنزع منها ذَنوباً أو ذَنوبين وفي نزعه ضعف والله جل وعز يغفر له ثم أخذها عمر فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريّه حتى ضرب الناس بعطن .. وروى ان امرأة في الجاهلية تسمى عاصية أسلمت فكرهت اسمها فأتت عمر رحمه الله فقالت اني كرهت اسمي فسمني فقال أنت جميلة فغضبت وقالت سميتني باسم الاماء ثم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بأبي أنت وأمي اني كرهت اسمي فسمني فقال أنت جميلة فقالت يا رسول الله اني أتيت عمر فسماني جميلة فغضبت فقال أوَ ما علمت أن الله جل وعز عند لسان عمر ويده .. وعن سعيد بن جُبير في قوله عز وجل ﴿وصالحُ المؤمنينَ﴾ قال نزلت في عمر خاصة .. وعن عليّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله عمر يقول الحق وان كان مراً تركه الحق ما له من صديق .. وعن سعيد بن جبير قال ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ على عمر السلام وأعلمه ان غضبه عزّ ورضاه حكم .. وعن عثمان بن مظعون قال مرّ بنا عمر رضي الله عنه ونحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا غلق باب الفتنة لا يزال بينكم وبين الفتنة باب ماعاش هذا بين أظهركم أو ظهرانيكم فقال بيمينه وشبك بين أصابعه .. وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام حين أسلم عمر رحمه الله فقال لي تباشرت الملائكة باسلام عمر وعمر سراج أهل الجنة .. وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا في الجنة اذ رأيت داراً فأردت أن أدخلها فسألت لمن هي فقيل هي لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فرجعت فقال عمر يا رسول الله لستَ ممن يغار عليه .. وعن عليّ رضى الله عنه ما كنا نُبعد أن السكينة كانت تنطق على لسان عمر وعن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ﴿ ولقدْ خلقنا الانسان من سُلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ الى قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾

فقال عمر (تبارك الله أحسن الخالقين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لقد ختمها الله عز وجل بما قلت ياعمر وعن سعد بن أبي وقاص رحمه الله قال استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش قد علت أصواتهن فأذن له فلما دخل بادرن الحجاب فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أضحك الله سنك بأبي أنت وأمي ممّ ضحكت فقال أعجب من اللواتي كنّ عندى لما سمعن صوتك بادرن الحجاب فقال أنت كنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم أقبل عليهن وأغلظ لهن وقال أتهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انك أفظ وأغلظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمر والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجاً الا سلك فجاً غير فجك

محاسن عثمان بن عفان رضي الله عنه ورحمه

عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المدينة فجاء أبو بكر رحمه الله فقال افتح له وبشره بالجنة ثم جاء عمر رحمه الله فقال افتح له وبشره بالجنة ثم جاء علىّ رضوان الله عليه فقال افتح له وبشره بالجنة فلما جاء عثمان رحمه الله ورحمهم أجمعين وقد بدت من فخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام ناحية فقال افتح له وبشره بالجنة وغطاها فقالوا يارسول الله مالك لم تغطها حين جئنا فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة .. وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال ان الله جل وعز أمرنى أن أزوج كريمتى عثمان بن عفان رحمه الله

محاسن على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورحمته

عن ابن حيّان التيميّ عن أبيه عن علىّ بن أبى طالب رحمه الله قال قال النبي عليه الصلاة والسلام رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار .. وعن على قال قال رسول

الله عليه الصلاة والسلام يامعشر قريش والله ليبعثنّ الله عليكم رجلا منكم قد امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم على الدنيا فقال أبو بكر أنا هو يا رسول الله قال لا فقال عمر أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه خاصف النعل وأنا أخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ هذا وليكم بعدى اذا كانت فتنة .. وعن مصعب عن أبيه قال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول مالكم ولعلى من آذى علياً فقد آذانى .. وعن علي رضي الله عنه قال هلك فيّ رجلان عدو مبغض ومحب مفرط قال وقال ليحبني أقوام حتى يدخلهم حبي النار ويبغضني أقوام حتى يدخلهم بغضى النار هم الرافضة والناصبة .. وعن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحب علياً منافق ولا يبغض علياً مؤمن .. وعن عمرو بن الأصمّ قال قلت للحسن بن عليّ رضوان الله عليهما هؤلاء الشيعة يزعمون ان علياً مبعوث الآن قال كذبوا والله ما أولئك بشيعة ولو كانوا كما يقولون ما أنكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه .. وعن فاطمة رضى الله عنها قالت دخل عليّ عليٌّ رضى الله عنه وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشرْ يا أبا الحسن أما انك فى الجنة وان قوماً يزعمون انهم يحبونك يرفضون الاسلام يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبزٌ يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فقاتلهم فانهم مشركون .. قال وحدثنا رجل حضر مجلس القاسم بن المجمع وهو والى الاهواز قال حضر مجلسه رجل من بني هاشم فقال أصلح الله الأمير ألا أحدثك بفضيلة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قال نعم ان شئت قال حدثني أبي قال حضرت مجلس محمد بن عائشة بالبصرة اذ قام اليه رجل من وسط الحلقة فقال يا أبا عبد الرحمن من أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فقال له فأين على بن أبي طالب رضى الله عنه قال يا هذا تستفتى عن أصحابه أم عن نفسه قال بل عن أصحابه قال ان الله تبارك وتعالى يقول ﴿ قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ فكيف يكون أصحابه مثل نفسه .. وعن عطاء قال كان لعلى رحمه الله موقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة

اذا خرج أخذ بيده فلا يخطو خطوة الا قال اللهم هذا علىّ اتبع مرضاتك فارض عنه حتى يصعد المنبر .. وحدثنا ابراهيم بن أحمد الغضائرىّ باسناد يرفعه الى أبى مالك الأشجعي رواه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هبط علىّ جبريل عليه السلام يوم حنين فقال يامحمد ان ربك تبارك وتعالى يقرئك السلام وقال ادفع هذه الأترجّة الى ابن عمك ووصيك على بن أبى طالب رضى الله عنه فدفعتها اليه فوضعتها فى كفه فانفلقت نصفين فخرج منها رَقّ أبيض مكتوب فيه بالنور من الطالب الغالب الى على بن أبي طالب .. أبو عثمان قاضى الرّى عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال كان عبد الله بن عباس بمكة يحدث على شفير زمزم ونحن عنده فلما قضى حديثه قام اليه رجل فقال يا ابن عباس اني امرؤ من أهل الشام من أهل حمص انهم يتبرؤن من على بن أبي طالب رضوان الله عليه ويلعنونه فقال بل لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ألبعد قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لم يكن أول ذُكران العالمين ايماناً بالله ورسوله وأول من صلى وركع وعمل بأعمال البر قال الشامي انهم والله ما ينكرون قرابته وسابقته غير انهم يزعمون انه قتل الناس فقال ابن عباس ثكلتهم أمهاتهم ان علياً أعرف بالله عز وجل وبرسوله وبحكمهما منهم فلم يقتل الا من استحق القتل قال يا ابن عباس ان قومي جمعوا لي نفقة وأنا رسولهم اليك وأمينهم ولا يسعك أن تردني بغير حاجتي فان القوم هالكون فى أمره ففرج عنهم فرج الله عنك فقال ابن عباس يا أخا أهل الشام انما مثل علىّ فى هذه الأمة فى فضله وعلمه كمثل العبد الصالح الذى لقيه موسى عليه السلام لما انتهي الى ساحل البحر فقال له ﴿ هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾ قال العالم ﴿ انك لن تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبراً ﴾ .. قال موسى ﴿ ستجدنى ان شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ قال له العالم ﴿ فان اتبعتنى فلا تسألني عن شئ حتى أُحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرَقَها ﴾ وكان خرقها لله جل وعز رضىً ولاهلها صلاحاً وكان عند موسى عليه السلام سخطاً وفساداً فلم يصبر موسى عليه السلام وترك ماضمن له فقال ﴿ أخرَقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ قال له العالم ﴿ ألم أقل انك

لن تستطيع معي صبراً ﴾ قال موسى ﴿لاتؤاخذني بما نسيت ولاترهقني من أمري عسراً﴾ فكفّ عنه العالم ﴿فانطلقا حتى اذا لقيا غلاماً فقتله﴾ وكان قتله لله جل وعز رضىً ولأبويه صلاحاً وكان عند موسى عليه السلام ذنباً عظيما قال موسى ولم يصبر ﴿ أقتلتَ نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ﴾ قال العالم ﴿ ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدُني عُذراً فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه﴾ وكانت اقامته لله عز وجل رضى وللعالمين صلاحاً فقال ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك﴾ وكان العالم أعلم بما يأتي من موسى عليه السلام وكبر على موسى الحق وعظم اذ لم يكن يعرفه هذا وهو نبي مرسل من أولى العزم ممن قد أخذ الله جل وعز ميثاقه على النبوة فكيف أنت يا أخا أهل الشام وأصحابك ان علياً رضى الله عنه لم يقتل الا من كان يستحل قتله وانى أخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أم سَلمة بنت أبي أمية اذ أقبل عليّ عليه السلام يريد الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم فنقر نقراً خفياً فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم نقره فقال يا أم سلمة قُومي فافتحي الباب فقالت يا رسول الله من هذا الذى يبلغ خطرُه ان استقبله بمحاسني ومعاصمي فقال يا أم سلمة ان طاعتي طاعة الله جل وعز قال ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ قومي ياأم سلمة فان بالباب رجلا ليس بالخرق ولا النزق ولا بالعجل فى أمره يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يا أم سلمة انه إن تفتحي الباب له فلن يدخل حتى يخفى عليه الوطء فلم يدخل حتي غابت عنه وخفى عليه الوطء فلما لم يحس لها حركة دفع الباب ودخل فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام فرد عليه السلام وقال يا أم سلمة هل تعرفين هذا قالت نعم هذا على بن أبي طالب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هذا علي سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدى يا أم سلمة هذا على سيد مبجل مؤمّل المسلمين وأمير المؤمنين وموضع سرى وعلمى وبابى الذي يؤوى اليه وهو الوصي على أهل بيتي وعلى الأخيار من أمتي وهو أخي فى الدنيا والآخرة وهو معي في السناء الأعلى إشهدى يا أم سلمة ان علياً يقاتل الناكثين

والقاسطين والمارقين .. قال ابن عباس وقتلهم لله رضىً وللأمة صلاح ولاهل الضلالة سخط قال الشامي يا ابن عباس من الناكثون قال الذين بايعوا علياً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة أصحاب الجمل والقاسطون معاوية وأصحابه والمارقون أهل النهروان ومن معهم فقال الشامى يا ابن عباس ملأت صدرى نوراً وحكمة وفرجت عنى فرج الله عنك أشهد أن علياً رضى الله عنه مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .. ويروى ان ابن عباس رحمه الله قال عقم النساء أن يجئن بمثل على بن أبى طالب رضي الله عنه مارأيت له مُخزياً يزَنّ به لرأيته يوم صِفّين وعلى رأسه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجا سليطٍ وهو يقف على شرذِمة من الناس يعظهم ويحضهم ويحرضهم حتى انتهي اليَّ وأنا فى كنف من الناس فقال معاشر المسلمين استشعروا الخشية وأكملوا اللأمة وتجلببوا السكينة وغضوا الأصوات وآلحظوا الشزر واطعنوا الوجر وصلوا السيوف بالخُطي والرماح بالنبل فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتلون عدو الله عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنّب فاضربوا ثَبَجه فان الشيطان راكس في كسره مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وأخّر للنكوص رجلا فصمداً صمدا حتى ينجلي لكم الحق وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم .. وعن ابن عباس انه قال لقد سبق لعلى رضي الله عنه سوابق لو أن سابقة منها قسمت على الناس لوسعتهم خيراً .. وعنه قال كان لعلى رضي الله خصال ضوارس قواطع سِطةٌ فى العشيرة وصهرٌ بالرسول وعلم بالتنزيل وفقه فى التأويل وصبر عند النزال ومقاومة الأبطال وكان ألدّ اذا أعضل ذا رأى اذا أشكل .. قيل ودخل ابن عباس على معاوية فقال يا ابن عباس صف لى علياً قال كأنك لم تره قال بلى ولكنى أحب أن أسمع منك فيه مقالا قال كان أمير المؤمنين رضوان الله عليه غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن يدنينا اذا أتيناه ويجيبنا اذادعوناه وكان مع تقربته ايانا وقربه منا لانبدأه بالكلام حتى يبتسم فاذا هو تبسم فعنٌ مثل اللؤلؤ المنظوم أما والله يامعاوية لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخي الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يبكى ويتململ تململ

السليم وهو يقول يا دنيا اياى تغرين أمثلى تشوقين لا حان حينك بل زال زوالك قد طلقتُك ثلاثا لا رِجعةَ فيها فعيشك حقير وعمرك قصير وخطرك يسير آه آه من بعد السفر ووحشة الطريق وقلة الزاد قال فأجهش معاوية ومن معه بالبكاء .. وقال خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين يصف محاسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن حضره كرم الله وجهه فى قصيدة له

رأوا نعمةَ لله ليستْ عليهمُ ... عَليكَ وفضلاً بارعاً لا تُنازَعُهْ
فعضوا من الغيظِ الطويلِ أكفَّهم ... عليك ومن لم يرضَ فالله خادعُهْ
من الدينُ والدنيا جميعاً لكَ المنى ... وفوقَ المنى أخلاقُهُ وطبائعُهْ

وروى ان عديّ بن حاتم دخل على معاوية بن أبي سفيان فقال ياعدىّ أين الطَرَفات يعنى بنيه طريفاً وطارفاً وطَرَفة قال قتلوا يوم صِفّين بين يدى على بن أبى طالب رضي الله عنه فقال ما أنصفك ابن أبي طالب اذ قدم بنيك وأخّر بنيه قال بل ما أنصفت أنا علياً اذ قتل وبقيت قال صف لى علياً فقال ان رأيت أن تعفينى قال لا أُعفيك قال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول عدلا ويحكم فصلا تتفجر الحكمة من جوانبه والعلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يحاسب نفسه اذا خلا ويقلب كفيه على ما مضى يعجبه من اللباس القصير ومن المعاش الخشن وكان فينا كأحدنا يُجيبنا اذا سألناه ويُدنينا اذا أتيناه ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته ولا نرفع أعيننا اليه لعظمته فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحبب الى المساكين لايخاف القوىّ ظلمه ولا ييأس الضعيف من عدله فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مَثَل فى محرابه وأرخي الليل سربالة وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته وهو يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين فكأنى الآن أسمعه وهو يقول يادنيا إليَّ تعرَّضت أم إلىَّ أقبلت غرّي غيري لا حان حينك قد طلقتُك ثلاثاً لا رجعة لى فيك فعيشك حقير وخطرك يسير آه من قلة الزاد وبُعد السفر وقلة الأنيس قال فوكفت عيناه معاوية وجعل ينشفهما بكمه ثم قال يرحم الله أبا الحسن كان كذلك فكيف صبرك عنه قال كصبر من ذبح ولدها فى حجرها فهي لا ترقأ دمعتها

ولا تسكن عبرتها قال فكيف ذكرك له قال وهل يتركني الدهر ان أنساه وهذا الخبر أتم من خبر ابن عباس رحمه الله

محاسن من أمسك عن الوقوع فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

قال قدم عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فقال له يحيى بن الحكم عمّ عبد الملك بن مروان ما تقول فى على وعثمان قال أقول ما قال من هو خير منى فيمن هو شر منهما ﴿ ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ عِصام ابن يزيد قال كنت عند حمزة حتى أتاه رجل فسأله عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ .. وروى انه كتب اسماعيل بن على الى الأعمش أن اكتب لنا بمناقب على ووجوه الطعن على عثمان رضي الله عنهما فكتب لو أن علياً لقى الله جل وعز بحسنات أهل الدنيا لم يزد ذلك فى حسناتك ولو لقيه عثمان رضى الله عنه بسيئات أهل الأرض لم ينقص ذلك من سيئاتك .. وعن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قال كان إياس بن معاوية لي صديقاً فدخلنا على عبد الرحمن بن القاسم بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وعنده جماعة من قريش يتذاكرون السلف ففضل قوم أبا بكر وقوم عمر وآخرون علياً رضي الله عنهم أجمعين فقال اياس ان علياً رحمه الله كان يرى انه أحق الناس بالأمر فلما بايع الناس أبا بكر ورأى انهم قد اجتمعوا عليه وان ذلك قد أصلح العامة اشترى صلاح العامة بنقض رأى الخاصة يعنى بني هاشم ثم ولى عمر رحمه الله ففعل مثل ذلك به وبعثمان رضي الله عنه فلما قتل عثمان رحمه الله واختلف الناس وفسدت الخاصة والعامة وجد أعوانا فقام بالحق ودعا اليه .. وقيل انه حضر مجلس عمر بن عبد العزيز رحمه الله جماعة من أهل العلم فذكروا علياً وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين وما كان بينهم فأكثروا وعمر ساكت قال القوم ألا تتكلم يا أمير المؤمنين فقال لا أقول شيئاً تلك دماء طهر الله منها كفى فلا أغمس فيها لسانى

مساوى تلك الحروب ومن تنقّص علي بن أبي طالب

(رضوان الله ورحمته وبركاته عليه)

أبو نُعيم قال حدثنا عبد الجبار بن العباس الهمداني عن عمار الدهنى عن سالم بن أبي الجعد قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها فقال انظرى يا حُميراء أن لا تكوني أنت هي ثم التفت الى عليّ رضوان الله عليه فقال انظر يا أبا الحسن ان وليت من أمرها شيئاً فارفق بها .. وقال الزهرى لما سارت عائشة ومعها طلحة والزبير رضي الله عنهم فى سبعمائة من قريش كانت تنزل كل منزل فتسأل عنه حتى نجمها كلاب الحَوأب فقالت ردوني لا حاجة لي فى مسيرى هذا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاني فقال كيف أنت يا حُميراء لو قد نبحت عليك كلاب الحوأب أو أهل الحوأب فى مسيرك تطلبين أمراً أنت عنه بمعزل فقال عبد الله ابن الزبير ليس هذا بذلك المكان الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار على تلك المياه حتى جمع خمسين شيخاً قسامةً فشهدوا انه ليس بالماء الذي تزعمه انه نهيت عنه فلما شهدوا قبلت وسارت حتى وافت البصرة فلما كان حرب الجمل أقبلت فى هودج من حديد وهي تنظر من منظر قد صُير لها فى هودجها فقالت لرجل من ضبّة وهو آخذ بخطام جملها أو بعيرها أين ترى على بن أبي طالب رضى الله عنه قال هاهوذا واقف رافع يده الى السماء فنظرت فقالت ما أشبهه بأخيه قال الضبي ومن أخوه قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلا أراني أقاتل رجلا هو أخو رسول الله عليه الصلاة والسلام فنبذ خطام راحلتها من يده ومال اليه .. وعن الحسن البصرى رحمه الله ان الأحنف بن قيس قال لعائشة رحمها الله يوم الجمل يا أم المؤمنين هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير قالت اللهم لا قال فهل وجدتيه فى شئ من كتاب الله جل ذكره قالت ما نقرأ الا ما تقرؤن قال فهل رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام استعان بشئ من نسائه اذا كان فى قلة والمشركون فى كثرة قالت اللهم لا قال الأحنف فاذاً ما هو ذنبنا .. قال وقال الحسن البصرى تقلدت سيفي وذهبت لأنصر أمّ المؤمنين فلقيني الأحنف

فقال الى أين تريد فقلت أنصر أم المؤمنين فقال والله ما قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فكيف تقاتل معها المؤمنين قال فرجعت الى منزلى ووضعت سيفى

مساوى من عادى على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال ولما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل الجمل دخل عليه عبد الله ابن الكواء وقيس بن عبادة اليشكرى فقالا يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت يضرب الناس بعضهم رقاب بعض أرأياً رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت الدعوة فان كان رأياً رأيته أجبناك في رأيك وان كان عهداً عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت الموثوق به المأمون فيما حدثت عنه فقال والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه أما أن يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فلا والله لو كان عندى ما تركت أخا تيم وعدي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يُقتل قتلا ولم يمت فجأة ولكنه مرض ليالى وأياماً فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة فيقول إيت أبا بكر وهو يرى مكانى فلما قُبض صلى الله عليه وسلم نظرنا فى الأمر فاذا الصلاة عَلَم الاسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فولينا أمورنا أبا بكر فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والدين جامع أو قال الأمر جامع لا يختلف عليه منا اثنان ولا يشهد منا أحد على أحد بالشرك وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزانى وأضرب الحدود بين يديه بسيفى وسوطى على كراهة منه لها وود أبو بكر لو أن واحداً منا يكفيه فلما حضرت أبا بكر رحمه الله الوفاة ظننت أنه لا يعدل عنى لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقتى وفضلى فظن أبو بكر ان عمر أقوى منى عليها ولو كانت اثرة لآثر بها ولده فولى عمر على كراهة كثير من أصحابه فكنت فيمن رضي لا فيمن كره فوالله ما خرخ عمر من الدنيا حتي رُضى به من كان كرهه فأقام عمر رحمه الله بين أظهرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان فكنت آخذ اذا أعطانى وأغزو اذا أغزاني وأضرب الحدود

بين يديه بسوطي وسبقى أتبع أثره اتباع الفصيل أمه لا يعدل عن سبيل صاحبيه ولا يحيدُ عن سنتهما فلما حضرت عمر رضى الله عنه الوفاة ظننت انه لا يعدل عنّي لقرابتي وسابقتي وفضلى فظن عمر انه ان استخلف خليفة فعمل بخطيئة لحقته فى قبره فأخرج منها ولده وأهل بيته وجعلها شورى فى ستة رهط منهم عبد الرحمن بن عَوف فقال هل لكم أن أدع لكم نصيبي على أن اختار لله ولرسوله قلنا نعم فأخذ ميثاقنا على ان نسمع ونطيع لمن ولاه وأخذنا ميثاقه على أن يختار لله ولرسوله فوقع اختياره على عثمان رضي الله عنه فنظرت فاذا طاعتى قد سبقت بيعتى واذا ميثاقي قد أخذ لغيرى فاتبعت عثمان وأدّيت اليه حقه على أثرة منه وتقصير عن سنة صاحبيه فلما قُتل عثمان رضى الله نظرت فكنت أحق بها من جميع الناس فقالا صدقت وبررت فأخبرنا عن طلحة والزبير بما استحللت قتالهما وقد شركاك في الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الشورى من عمر رحمه الله فقال قد شركانى فى الهجرة وفي الشورى ولكنهما بايعاني بالحجاز وخلعاني بالعراق ولو فعلا ذلك بأبي بكر وعمر لقاتلاهما فقالا صدقت وبررت وأنت أمير المؤمنين

•• قال ولما كان حرب صِفّين كتب أمير المؤمنين رضوان الله عليه الى معاوية بن أبى سفيان مالك يُقتل الناس بيننا ابرز لى فان قتلتنى استرحتَ مني وان قتلتك استرحتُ منك فقال له عمرو بن العاص أنصفك الرجل فابرز اليه قال كلاّ ياعمرو أردت أن أبرزله فيقتلنى وتثب على الخلافة بعدى قد علمت قريش ان ابن أبى طالب سيدها وأسدُها ثم أنشأ يقول

يا عمرو قد أسْرَرتَ تهمةَ غادرٍ ... برضاك لي تحتَ العَجاجِ برازى
ما للمُلوك وللبرازِ وانما ... تحتفُ المبارزَ خطفةٌ من بازى
ان الذي مَنتكَ نفسُك خالياً ... قتلى جزاكَ بما نويتَ الجازى
فلقد كشفتَ قناعها مذمومةً ... ولقد لبستَ لها ثياب الخازى

•• فأجابه عمرو بن العاص

مُعاوىَ إنني لم أجن ذنباً ... وما أنا بالذى يُدعى بخازِى
فما ذَنبي بأنْ نادى عليٌّ ... وكبشُ القومِ يُدعي للبرازِ
فلوْ بارَزْتَهُ للقيت قِرْناً ... حديدَ الناب شهماً ذا اعتزازِ

أجبناً في العشيرةِ يا ابن هندٍ وعند الباءِ كالتيس الحجازى

ثم كتب معاوية الى علي رحمه الله أما بعد فانا لو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا ما نرمّ به ما مضى ونصلح ما بقى وقد كنتُ سألتك الشام على أن تلزمنى لك طاعة فأبيت ذلك علىّ وأنا أدعوك اليوم الى مادعوتك اليه أمس وانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من الفناء الا ما أخاف وقد والله رقّت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لأحد منا على أحد فضل نستذل به عبداً أو نسترق به حراً .. فأجابه علىّ من على ابن أبي طالب الى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك لم نلتمس غاية لم نبلغها بعد فأما طلبك الشام فانى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك عنه أمس وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلستَ بأمضَى على الشك منى على اليقين وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة وأما قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن. وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبى طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المحق كالمبطل فى أيدينا فضل النبوة التي قبلناها العز ونفينا بها الخزى .. عن الشعبى ان عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ناس فلما رآه مقبلا استضحك فقال ياأمير المؤمنين أضحك الله سنك وأدام سرورك وأقرّ عينك ما كل ماأرى يوجب الضحك فقال معاوية خطر ببالى يوم صفّين يوم بارزت أهل العراق فحمل عليك على بن أبى طالب رضى الله عنه فلما غشيك طرحت نفسك عن دابتك وأبديت عورتك كيف حضرك ذهنك فى تلك الحال أما والله لقد واقفت هاشمياً منافياً ولو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا معاوية ان كان أضحكك شأنى فمن نفسك فاضحك أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذى بدا له من صفحتى لأوجع قذالك وأيتم عيالك وأنهب مالك وعزلَ سلطانك غير انك تحرزت منه بالرجال في أيديها العوالى أما انى قد رأيتك يوم دعاك الى البراز فاحولّت عيناك وازبد شدقاك وتنشّر منخراك وعرق جبينك وبدا من أسفلك ما أكره ذكره فقال معاوية حسبك حيث بلغت لم نرد كل هذا .. قال وذكر ان أمير

المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال زعم ابن النابغة إنى تِلعابةٌ تمزاحةٌ ذو دُعابةٍ أُعافِس وأُمارس لا رأى لى فى الحروب هيبات يمنعني من العفاس والمراس ذكر الموت والبعث فمن كان له قلب ففى هذا عن هذا واعظ أما وشر القول الكذب انه ليحدث فيكذب ويعد فيخلف فاذا كان البأس فأعظم مكيدته أن يمنح القوم أسته .. قال وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله يوم صفين تبين لى هل ترى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال عبد الله فنظرت فرأيته فقلت ياأبت هاهو ذاك على بغلة شهباء عليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء قال فاسترجع وقال والله ما هذا بيوم ذات السلاسل ولا بيوم اليرموك ولا بيوم اجنادين وددت أن بينى وبين موقفى بعد المشرقين فنزل سعد بن أبى وقّاص وعبد الله ابن عمرو وقالا والله لئن كان صواباً انه لعظيم مشكور ولئن كان خطأ انه لصغير مغفور فقلت له يا أبت فمن يمنعك من الذى فعلاَ فو الله ما يحول بينك وبين ذلك أحد فقال

إن يرجع الشيخُ ولم يُعذِّرِ إذ نزَل القومُ بضَنك فانظرِ

* ثم تأمَّل بعد هذا أو ذَرِ *

.. قال بعض الشعراء في معاوية ومحاربته أمير المؤمنين على بن أبي طالب

قد سرتَ سيرَ كُليب في عَشيرتهِ لو كان فيهم غلامٌ مثلُ جسّاسِ

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ عاندَها كطُرَّةِ البردِ أعيى فَتقُها الآسى

عبد الله بن السائب قال جمع زيادٌ أهل الكوفة يحرضهم على البراءة من علي كرم الله وجهه فملأ منهم المسجد والرحبة قال ففقوت غفوةً فاذا أنا بشيءٍ له عنق مثل عنق البعير أهدل أهدب فقلت له من أنت فقال أنا النقاد ذو الرقبة بُعثت الى صاحب القصر فانبهت فزعاً فما كان بأسرع من ان خرج علينا خارج من القصر فقال انصرفوا فان الأمير في شغل عنكم اليوم فاذا هو قد فُلجَ فقال عبد الله في ذلك

ما كان مُنتهياً عما أرادَ بنا حتى تَناوله النقّادُ ذو الرقبه

فأسقطَ الشِقَّ منه ضربةٌ ثبتت لما تناولَ ظلماً صاحبَ الرَّحبه

أراد علياً لأنه قُتل في رحبة المسجد .. الأصمعي قال سمع عامر بن عبد الله بن الزبير ابنه ينال من علي رضى الله عنه فقال يا بني اياك وذكر على رضى الله عنه فان بني أمية تنقصته

ستين عاماً فما زاده الله بذلك الا رفعةً .. قال وقال عبد الملك بن مروان للحجّاج ابن يوسف جنبني دماء آل أبي طالب فانى رأيت بني حرب لما قتلوا الحسين عليه السلام نزع الله مُلكهم

محاسن الحسن والحسين بني على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين

روى أنس بن مالك أنه قال لم يكن في أهل بيت النبي صلى الله وسلم أحد أشبه به من الحسن عليه السلام وكان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني هذا سيد لعل الله جل وعز أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وكان بينه وبين أخيه الحسين عليه السلام طهرٌ واحد وكان أسخى أهل زمانه وذكروا انه أتاه رجل في حاجة فقال اذهب فاكتب حاجتك في رُقعة وارفعها الينا نقضها لك قال فرفع اليه حاجته فأضعفها له فقال بعض جلسائه ما كان أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله فقال بركتها علينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلا أما علمت أن المعروف ما كان ابتداء من غير مسألة فأما من أعطيته بعد مسألة فانما أعطيته بما بذل لك من وجهه وعسى أن يكون بات ليلته متململا أرقاً يميل بين اليأس والرجاء لا يعلم لما يتوجه من حاجته أبكآبة الرد أم بسرور النجح فيأتيك وفرائصه ترعد وقلبه خائف يخفق فان قضيت له حاجته فيما بذل لك من وجهه فان ذلك أعظم مما نال من معروفك .. قيل وكان لرجل على ابن أبى عتيق مال فتقاضاه فقال له إئتني العشية فى مجلس الولاية فسلنى عن بيت قريش فوافاه الغريم في ذلك المجلس فقال له انّا تلاحينا في بيت قريش ورضينا بك حكما فقال آل حربٍ قال ثم من قال آل أبي العاص والحسن بن على رضى الله عنه حاضر فشق ذلك عليه فقال الرجل فأين بنو عبد المطلب فقال لم أكن أظن أن تسألنى عن غير بيت الآدميين فأما اذا صرت تسألني عن بيت الملائكة وعن رسول الله رب العالمين وسيد كل شهيد والطيار مع الملائكة فمن يساوى هؤلاء فخراً الا وهو منقطع دونهم قال فانجلى عن الحسن عليه السلام ثم قال انى لأحسب أن لك حاجة قال نعم يا ابن رسول الله لهذا علىّ كذا وكذا فاحتملها عنه ووصله بمثلها .. قال وأتاه رجل آخر فقال يا ابن رسول الله اني عصيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال بئس ما صنعت فبماذا عصيته قال قال عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن واني أطعت صاحبتي فاشتريت غلاماً فأبق قال له اختر واحدة من ثلاث ان شئت ثمن الغلام قال بأبي أنت وأمي قف على هذه ولا تجاوزها قال أعرض عليك الثلاث فقال حسبي هذه فأمر له بثمن الغلام .. وذكروا ان رجلين أحدهما من بني هاشم والآخر من بني أمية قال هذا قومي أسمح وقال هذا قومي أسمح قال فسل أنت عشرة من قومك وأنا أسأل عشرة من قومي فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم وانطلق صاحب بني هاشم الى الحسن بن على رضى الله عنه فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم ثم أتي الحسين عليه السلام فقال هل بدأت بأحد قبلي قال بدأت بالحسن قال ما كنت أستطيع أن أزيد على سيّدى شيئاً فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم فجاء صاحب بني أمية يحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسين فغضب صاحب بني أمية فردها عليهم فقبلوها وجاء صاحب بني هاشم فردها عليهما فأبيا أن يقبلاها وقالا ما كنا نبالى أخذتها أم ألقيتها في الطريق .. وكان الحسن بن على رضوان الله عليهما أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من صدره الى قدمه .. وكان أيضاً أحد الأجواد دخل على أسامة بن زيد وهو يجود بنفسه ويقول واكرباه واحزناه فقال وما الذى أحزنك يا عمّ قال يا ابن رسول الله ستون ألف درهم دَين علىّ لا أجد لها قضاء قال هي علىّ قال فكّ الله رهائنك يا ابن النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم حيث يجعل رسالته

مساوى قتلة الحسين بن على رضوان الله عليهما

حدثنا عبد الله بن أحمد بن ابراهيم عن يحيي بن مَعين عن الحجّاج عن أبى معشر قال لما مات معاوية بن أبى سفيان وذلك في النصف من رجب سنة ستين ورد خبره على أهل المدينة في أول شعبان وكان على المدينة يومئذ الوليد بن عُتبة بن أبى سفيان وكان غلاماً حَدَثاً يتحرّج فلما جاءه ماجاءه ضاق به صدره فأرسل الى مروان بن الحكم وهو

الذي صُرف به مروان عن المدينة وكان فى مروان حدّة فقال له الوليد يا أبا عبد الملك انه قد جاءنا اليوم شيء لم نكن نستغنى معه عن استشارتك قال وما هو قال موت أمير المؤمنين قال انا لله وانا اليه راجعون مات رحمه الله قال نعم قال أتطيع أمرى قال نعم قال ارسل الى الحسين بن على والى عبد الله بن الزبير فان بايعا فخل سبيلهما وان أبيا فاضرب أعناقهما فأرسل الى الحسين رضوان الله عليه والى عبد الله بن الزبير رحمه الله وبدأ بالحسين عليه السلام فمرّ الحسين فى المسجد فأشار اليه ابن الزبير وهو قائم يصلى فأتاه فقال للحَرَسىّ تأخر أيها العبد فتأخر الحرسي فقال له يا أبا عبد الله أتدرى لأى شيء دُعيت قال لا قال مات طاغيتهم فدعوك للبيعة فلا تبايع وقل له بالغداة على رؤس الملأ قال فدخل الحسين عليه السلام فقال له الوليد يا أبا عبد الله دعوناك لخير قال أى شيء هو قال مات أمير المؤمنين وقد عرفتم ولىّ عهدكم ومفزعكم وقد بايع أهل الشام والناس فادخل فيما دخل فيه الناس قال نعم بالغداة ان شاء الله قال لا بل الساعة قال ومثلى يبايع فى جوف البيت بالغداة على رؤس الناس قال لا بل الساعة قال ما أنا بفاعل وخرج من عنده فأرسل الى ابن الزبير فقال يا أبا بكر دعوناك لخير قال وما هو قال مات أمير المؤمنين فقال انا لله وانا اليه راجعون رحمة الله عليه قال فجعل يردد الترحم عليه وقد نظر ابن الزبير قبل ذلك الى مروان وهو يناجى الوليد فتلا هذه الآية ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ﴾ فقال يا أبا بكر قد عرفتم ولى عهدكم ومفزعكم وقد بايع أهل الشام والناس فادخل فيما دخل فيه الناس قال نعم بالغداة ان شاء الله قال لا بل الساعة قال ومثلى يبايع في جوف البيت أبايعك على رؤس الملأ قال لا بل الساعة قال ما أنا بفاعل فقال مروان للوليد ما تصنع أطعني واضرب أعناقهما لئن خرجا من البيت لا تراهما أبداً الا فى شر وكان الوليد متحرّجا فقال ما كنت لأقتلهما فقال ابن الزبير لمروان يا ابن الزرقاء أو تقدر على قتلنا فقال مروان انه والله لو أطاعنى ماخرجت ولا صاحبك من البيت حتى تُضرب أعناقكما قال فدعا الحسين عليه السلام برواحله فركب يتوجه نحو مكة على المنهج الأكبر وركب ابن الزبير رحمه الله دوابّ له وأخذ طريق الفُرْع فأتى الحسين عليه السلام عبد الله بن مُطيع

وهو على بئره فنزل اليه وقال يا أبا عبد الله أين تريد قال العراقَ مات معاوية وجاءني أكثر من حملِ صُحفٍ قال لا تفعل فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك ووالله لئن قتلوك لاتبقى حرمة بعدك الا استُحلت فمر الحسين عليه السلام حتى نزل مكة فأقام بها هو وابن الزبير رحمه الله وقدم عمرو بن سعيد بن العاص فى رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عُتبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابى مه جاء والله بالدم قال فتلقاه رجل بالعمامة فقال مه عم الناس والله ثم قام يخطب وبيده عصا لها شُعبتان فقال تشعب الناس والله ثم خرج الى مكة فقدمها قبل التروية بيوم وخرج الحسين عليه السلام فقيل له خرج الحسين فقال اركبوا كل بعير وفرس بين السماء والأرض في طلبه فاطلبوه قال فكان الناس يتعجبون من قوله هذا فطلبوه فلم يدركوه فأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عَوْناً ومحمداً ليردّا الحسين فأبى الحسين أن يرجع وخرج بابني عبد الله معه ورجع عمرو بن سعيد الى المدينة وبعث بجيش يقاتلون ابن الزبير وقدّم الحسين عليه السلام مسلم بن عَقيل الى الكوفة ليأخذ عليهم البيعة وكان على الكوفة حين مات معاوية النعمان بن بشير بن سعد الانصاري فلما بلغه خبر الحسين عليه السلام قال لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبّ الينا من ابن بنت بَحْدَلٍ فبلغ ذلك يزيد فأراد أن يعزله فقال لأهل الشام أشيروا علىّ من أستعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية قال نعم قالوا فان العهد بأمارة عُبيد الله بن زياد على العراقَين قد كتب في الديوان فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين عليه السلام وقد بايع مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال من أهل الكوفة فخرجوا معه يريدون عبيد الله بن زياد فجعلوا كلما انتهوا الى زقاق انسلّ ناس منهم حتى بقى في شرذمة قليلة وجعل الناس يرمونه بالآجرّ من فوق البيوت فلما رأى ذلك دخل دار هانئ بن عُروة المرادى وكان له فيهم رأى فقال له هانئ ان لى من ابن زياد مكانا وسوف أتمارض فاذا جاء يعودنى فاضرب عنقه فقيل لابن زياد هانئ بن عروة شاكٍ يقئ الدم وكان شرب المغرة فجعل يقيئها فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ لمسلم اذا قلت اسقوني ولو كانت فيه نفسي فاضرب عنقه فقال اسقوني فأبطؤا عليه فقال ويحكم اسقوني ولو كانت فيه نفسي قال فخرج ابن

زياد ولم يصنع الآخر شيئاً وكان أشجع الناس ولكن أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان في البيت رجلا متسلحاً فأرسل ابن زياد الى هانئ فدعاه فقال انى شاكٍ فقال ائتوني به وان كان شاكياً قال فأسرجت له دابة فركب وكانت معه عصاً وكان أعرج فجعل يسير قليلا قليلا ثم يقف ويقول مالى ولابن زياد فما زال حتى دخل عليه فقال ياهانئ ماكانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال فيدى قال بلى فتناول العصى التي كانت فى يد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسر جبهته ثم قدمه فضرب عنقه ثم أرسل الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فما زال يُناوشهم ويقاتلهم حتى جُرح وأسر فعطش وقال اسقوني ماء ومعه رجل من آل أبي مُعَيط ورجل من بني سُليم فقال شَمِر بن ذي جَوْشَن والله لا نسقيك الا من البئر وقال المَعيطيّ والله مانسقيه الا من الفرات فأتاه غلام له بابريق من ماء وقدَح قوارير ومنديل فسقاه فتمضمض فخرج الدم فما زال يمج الدم ولا يسيغ شيئاً حتى قال أخره عني فلما أصبح دعاه عبيد الله وهو فى قصر له فقدم ليضرب عنقه فقال له دعني أوصي فقال اوص فنظر فى وجوه الناس فقال لعمرو بن سعد ما أرى هاهنا أحداً من قريش غيرك فادن مني حتى أكلمك قال فدنا منه فقال له هل لك أن تكون سيد قريش قال نعم قال ان حُسيناً ومن معه وهم تسعون انساناً بين رجل وامرأة فى الطريق فارددهم واكتب اليه بما أصابني ثم أمر عبيد الله فضرب عنقه فقال عمر أتدرى ماقال قال اكتم على ابن عمك قال هو أعظم من ذاك قال اكتم على ابن عمك قال هو أعظم من ذاك قال أي شئ هو قال أخبرنى ان حسيناً قد أقبل ومعه تسعون انساناً بين رجل وامرأة فقال أما والله لو الىّ أسرّ لرددتهم لا والله لا يقاتلهم أحد غيرك فبعث معه جيشاً وجاء الحسين عليه السلام الخبر وهو بشَراف فهم أن يرجع ومعه خمسة من بني عُقيل فلقيه الجيش على خيولهم بوادي السباع فقال بنو عقيل أترجع وقد قتل أخونا فقال الحسين عليه السلام مالى عن هؤلاء من صبر يعني بني عقيل فأصاب أصحابه العطش فقالوا يا ابن رسول الله اسقنا فأخرج لكلّ فرَس صحفة من ماء فسقاهم بقدر ما يمسك رمق أحدهم ثم قالوا سر بنا وأخذوا به على الجُرُف حتى نزلوا كربلاء فقال هذا كربٌ وبلاء فنزلوا وبينهم وبين الماء يسير قال فأراد الحسين عليه السلام وأصحابه الماء فحالوا بينهم وبينه فقال

له شمر بن ذي جوشن لا تشربون أبداً حتى تشربون من الحميم فقال العباس بن على للحسين عليه السلام يا أبا عبد الله ألسنا على الحق قال نعم فحمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى حتى شربوا واستقوا ثم بعث عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد أن قاتلهم فقال الحسين عليه السلام ياعمر اختر مني احدى ثلاث تتركني أرجع كما جئت وان أبيت هذه فسيّرني الى الترك أقاتلهم حتى أموت وان أبيت هذه فابعث بي الى يزيد لأضع يدى فى يده وأرسل الى ابن زياد بذلك فهم أن يسيره الى يزيد فقال له شمر بن ذي جوشن قد أمكنك الله منه أو قال من عدوك وتسيّره الى الأمان لا إلاّ أن ينزل على حكمك فأرسل اليه بذلك فقال لا حباً ولا كرامة انزل على حكم ابن سُمية وكان مع عمر بن سعد قريب من ثلاثين رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث خصال لا تقبلون منها شيئاً فتحولوا مع الحسين عليه السلام فقاتلوا حتى قُتلوا وقتل الحسين رضي الله عنه وجميع من معه رحمهم الله وحمل رأسه الى عبيد الله بن زياد فوضع بين يديه على ترس فبعث به الى يزيد فأمر بغسله وجعله فى حريرة وضرب عليه خيمة ووكل به خمسين رجلا فقال واحد منهم نمتُ وأنا مُفكر فى يزيد وقتله الحسين عليه السلام فبينا أنا كذلك اذ رأيت سحابة خضراء فيها نور قد أضاءت مابين الخافقين وسمعت صَهيل الخيل ومناد ينادى يا أحمد اهبط فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من الأنبياء والملائكة فدخل الخيمة وأخذ الرأس فجعل يقبله ويبكي ويضمه الى صدره ثم التفت الى من معه فقال انظروا الى ما كان من أمتي فى ولدى ما بالهم لم يحفظوا فيه وصيتي ولم يعرفوا حقي لأنالهم الله شفاعتى قال واذا بعدة من الملائكة يقولون يا محمد الله تبارك وتعالي يقرئك السلام وقد أمرنا بأن نسمع لك ونطيع فمرنا أن نقلب البلاد عليهم فقال صلى الله عليه وسلم خلوا عن أمتى فان لهم بُلْغةً وأمداً قالوا يا محمد ان الله جل ذكره أمرنا أن نقتل هؤلاء النفر فقال دونكم وما أمرتم به قال فرأيت كل واحد منهم قد رمى كل واحد منا بحربة فقتل القوم فى مضاجعهم غيرى فانى صحت يا محمد فقال أو أنت مستيقظ قلت نعم قال خلوا عنه يعيش فقيراً ويموت مذموماً فلما أصبحت دخلت على يزيد وهو منكسر مهموم فحدثته بما رأيت فقال امض على وجهك وتب الى

ربك ٠٠أبو عبد الله غلام الخليل رحمه الله قال حدثنا يعقوب بن سليمان قال كنت فى ضَيعتي فصلينا العَتَمَة وجعلنا نتذاكر قتل الحسين عليه السلام فقال رجل من القوم ما أحد أعان عليه الا أصابه بلاء قبل أن يموت فقال شيخ كبير من القوم أنا ممن شهدها وما أصابني أمر كرهته الى ساعتي هذه وخبا السراجُ فقام يصلحه فأخذته النار وخرج مبادراً الى الفرات وألقى نفسه فيه فاشتعل وصار فحمة ٠٠ قيل ودخل سنان بن أنس على الحجاج بن يوسف فقال أنت قتلت الحسين بن على فقال نعم قال أما انكما لن تجتمعا فى الجنة فذكروا انهم رأوه موسوساً يلعب ببوله كما يلعب الصبيان ٠٠ قال وقال محمد بن سيرين ما رُؤيت هذه الحمرة فى السماء الا بعد ماقتل الحسين عليه السلام ولم تطمث امرأة بالروم أربعة أشهر الا أصابها وضح فكتب ملك الروم الى ملك العرب قتلتم نبياً أو ابن نبي ٠٠وروي انه لما قتل رضى الله عنه احمرت آفاق السماء واقتسموا ورثاً كان معه فصار رماداً وكانت معه إبل فجزروها فصارت جمرة فى منازلهم

مساوي الحَرَّة

قال ولما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان قدم عمرو بن حفص بن المغيرة وكان تزوج يزيدُ بن معاوية ابنته وأعطاه مالا كثيراً فلما قدم المدينة جاءه محمد بن عمرو ابن حَزْم وعُبيد الله بن حنظلة وعبد الله بن مُطيع بن الأسود وناس من وجوه أهل المدينة قالوا ننشدك الله رب هذا البيت ورب صاحب هذا القبر الا أخبرتنا عن يزيد فقال انه ليشرب الخمر وينادم القِرَدة ويفعل كذا ويصنع كذا فقالوا والله مالنا بأهل الشام من طاقة ولكن ما يحل لنا أن نبايع رجلا على هذه الحال فقال محمد بن عمرو لأهله هاتوا درعي ثم خرج فخرج أهل المدينة وخلعوا يزيد وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان وبني أمية من المدينة وكان عثمان والى المدينة ثم قال محمد بن أبى جهم لأهل المدينة أطيعوا أمرى اليوم واعصونى الدهر اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا شراً أبداً فأبى أهل المدينة أن يقتلوهم وأخذوا عليهم المواثيق أن لا يرجعوا الى المدينة مع جيش أبداً

فبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان قميصه مشقوقاً الى يزيد وكتب اليه واغوثاه ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة وشقوا ثوبي وارتكبوا مني .. قال أبو معشر حدثنا رجل قال خرج علينا يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه معصفرتان كانهما قطرتا دمٍ وإزار ورداء وقد نفّش جُمته كانها بِرَسٌ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الشام فانه كتب اليَّ عثمان بن محمد بن أبي سفيان ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة ووالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب اليَّ من هذا قال وكان معاوية أوصى يزيد ان رابك من قومك ريب أو انتقض عليك منهم أحدٌ فعليك بأعور بني مرة فاستشره يعني مسلم بن عقبة فلما كان تلك الليلة قال أين مسلم بن عقبة فقام فقال ها أنا ذا قال كن معي فجعل يزيد يعبي الجيوش وكان ابن سنان نازلا على مسلم فقال له ان أمير المؤمنين قد بعثني الى المدينة ومكة قال استعفه قال لا قال فاركب فيلاً أو فيلة وتكنَّ أبا يكسوم فمرض مسلم قبل خروجه من الشام فدخل عليه يزيد بن معاوية فقال قد كنت وجهتك لهذا البعث وأراك مدنفاً فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لاتحرمني أجراً ساقه الله اليَّ انما هو أمر خفيف وليس علي من بأس قال فلم يطق من الوجع أن يركب بعيراً ولا دابة قال فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جاؤا به مكانا يقال له البتراء فاراد النزول به فقال ما اسم هذا المكان قيل البتراء قال لا تنزلوا به فنزلوا بقهر ثم ارتحلوا حتى نزلوا الحرة فأرسل الى أهل المدينة ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول أنتم الأصل والعشيرة فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا فان لكم في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولكم عندي في عهد الله أن أجعل سعر الحنطة عندكم سعر الخَبَطِ والخبط يومئذ سبعة آصع بدرهم فقالوا نخلعه كما نخلع عمائمنا ونعالنا فقاتلهم فهزمهم وقتل عبد الله بن حنظلة وابن حزم وبضعة عشر رجلا من الوجوه وتسعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الأنصار وقتل من سائر الناس نحو أربعة آلاف رجل وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر وقتل أربعة من ولد زيد بن ثابت وقال مسلم لعبد الله بن جعفر اخرج عن المدينة لا يقع بصري عليك وأنهبَ المدينة ثلاثا فقُتل

الناس وضجت النساء وذهبت الأموال فلما فرغ مسلم من القتال انتقل الى قصر ابن عامر فدعا أهل المدينة ليبايعوه وكان ناس منهم قد تحصنوا فى عرصة سعيد منهم محمد بن أبى جهم ونفر معه فدعاهم للبيعة فقال تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خوله مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق فبايعه ناس منهم على ذلك وجاء عمرو بن عثمان بيزيد بن عبد الله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن عثمان قال لأم سلمة ارسلى معى ابن ابنتك ولك منى عهد الله وميثاقه أن أرده اليك كما أخذته منكِ فجاء به الي مسلم فجلس عمرو ابن عثمان على طرف سريره فلما تقدم يزيد بن عبد الله قال تبايع ليزيد أمير المؤمنين على انك من خوله مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق فقال لا أنا أقرب الى أمير المؤمنين منك فقال والله لا أستقيلها منك أبداً فقال عمرو ابن عثمان أنشدك الله فانى أخذته من أم سلمة بعهد الله وميثاقه أن أرده اليها قال فركله ورمي به من فوق السرير فقال لو قلتها ما أقلتك فقُتل يزيد بن عبد الله ثم أتى بمحمد ابن أبي جهم فقال له أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا ترى شراً أبداً قال قد قلتها ولكن لا يطاع لقصير أمرٌ ارسل يدى من غُلّى وقد بَرئت منى الذمة قال لا حتى أقدمك الى النار فضرب عنقه ثم جاؤه بمَعقل بن سِنان وكان جالساً في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا اذهب بنا الى الأمير حتى نبايعه فقال انى قد قلت له كلمة وانى أتخوفه قالوا لا والله لا يصل اليك أبداً فلما بلغوا الباب أدخلوا معقلا وغلّقوا الباب فلما نظر اليه مسلم قال انى أرى الشيخ قد لغب اسقوه من الثلج الذى زوّدنيه أمير المؤمنين قال فخاضوا له ثلجاً بعسل فشربه وقال أشربت قال نعم قال والله لا تبولُه من مثانتك أبداً أنت القائل اركب فيلا أوفيلة وتكنّ أبا يكسوم قال أماوالله لقد تخوفت ذلك منك ولكن غلبتنى عشيرتى قال فجعل يفزر جُبة عليه من برود ويقول أما والله يا أعداءالله ماشققتها جزعاً من الموت ولكني أخشي أن تسلبوا منها فضربت عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المُشَلل دَنف فدعا بحُصين بن نُمير الكندي فقال يا برذَعةَ الحمار والله ما خلق الله أحداً هو أبغض اليَّ منك ولولا ان أمير المؤمنين أمرني أن

أستخلفك مااستخلفتك أتسمع قال نعم قال لا يكون الا الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف لاتمكن قريشا من أذنيك ثم مات مسلم لا رحمه الله فدفن بقفا المشلل وكانت أم يزيد ابن عبدالله بن زمعة بأسناده فخرجت اليه فنبشته وأحرقته بالنار وأخذت أكفانه فشققتها وعلقتها بالشجرة .. قال أبو معشر أقبلت من مكة حتى اذا كنت بقفا المشلل عند قبر مسلم اذا رجل من أهل الشام ممن حضر وقعة الحرّة يسايرني فقلت له هذا قبر مسلم بن عقبة فقال أحدثك بالعجيب كان مع مسلم رجل من أهل الشام يقال له أبو الغرّاء فاذا نصف شعره أسود ونصفه أبيض فقلت له ما شأنك قال لما كانت ليلة الحرة جئت قُباء فدخلت بيتاً فاذا فيه امرأة جالسة معها صبيٌّ لها وليس عليها شئ الا درع وقد ذُهب بكل شئ لها فقلت لها هل من مال قالت لا والله لقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اني لا أزنى ولا أسرق ولا أقتل ولدى قال فأخذت برجل الصبي فضربت به الحائط فنثر دماغُه فخرجت فاذا نصف رأسي أبيض ونصفه أسود كما ترى

محاسن ما قيل فيهم من الأشعار

.. قال كعب بن زُهير في الحسين بن عليّ رحمة الله عليهما

مَسحَ النبيّ جبينَه فلهُ بياضٌ في الخدُودِ
وَبوجهِهِ دِيباجةٌ كرَمُ النبوة والجدُودِ

.. قال وأنشد الحِميَريّ في الحسن والحسين

أتى حَسَناً والحَسين الرّسولُ وقد برَزَا ضَحْوَةً يلعَبانِ
فضَمَّهما وتفدّاهما وكانا لدَيه بذاكَ المكانِ
ومرّ وتحتهما عاتِقَاهُ فنعم المطِيّة والرّاكبان

.. قال وقال المأمون أنصف شاعر الشيعة حيث يقول

إنا وَإياكم نموتُ فلاَ أفلحَ بعدَ الممات مَن ندِما

•• وقال المأمون

وَمِن غاو يعُضّ عَلىَّ غيظاً ... اذا أدنيتُ أولادَ الوَصِيّ
يُحاوِلُ أنّ نورَ الله يُطفَى ... ونورُ اللهِ فى حصن أبيّ
فقلتُ أليسَ قد أوتيتَ عِلماً ... وبانَ لكَ الرشيدُ من الغوىّ
وعُرّفتَ احتجاجي بالمثانى ... وبالمعقول والأثَرِ القويّ
بِأيّةِ خَلّةٍ وبأىّ معنًى ... تفضّلُ مُلحدينَ على علىّ
علىٌّ أعظمُ الثقلَين حقاً ... وأفضلُهم سوَى حقّ النبى

•• وقال غيره وأجاد

انّ اليهودَ بحبها لنبيها ... أمِنَت معرّةَ دهرِها الخوّانِ
وذوُو الصليب بحب عيسى أصبحوا ... يمشون زَهواً فى قرى نجرانِ
والمؤمنون بحبّ آل محمدٍ ... يُرمَوْنَ فى الآفاقِ بالنيرانِ

•• وقال آخر سامحه الله

يالَكِ من مَتجرَةٍ كاسِدَه ... بين شَياطينَ عَتَتْ مارِدَه
اذا تذكّرتَ بني أحمدٍ ... تنافرُوا كالإبلِ الشارِدَه
فقلْ لمنْ يَلحاكَ فى حُبهمْ ... خانتكَ فى مَولِدِكَ الوالِدَه

•• وقال دِعبل رحمه الله تعالى

قُلْ لِابنِ خائنةِ البُعولِ ... وابنِ الجوَادةِ والبخيلِ
إنّ المذَمّةَ للوَصِيّ ... هيَ المذمّةُ للرّسولِ
أتذُمُّ أولادَ النبيّ ... وأنتَ من ولدِ النّغولِ

المَوْصلىّ النصرانىّ

عَدِى ونُعمٌ لاأُحاولُ ذكرَهُمْ ... بسوءٍ ولكنى مُحبٌّ لِهاشِمِ
وهل تأخُذُنّى فى علىّ وحُبهِ ... اذا لم أعِثْ يوماً ملامةُ لائمِ
يَقولون مابالُ النصارى تُحبهُ ... وأهلِ التقى من مُعربٍ وأعاجِمِ
فقلتُ لهمْ إنى لأحسبُ حُبهُ ... طوَاهُ إلهى فى قلوب البهائمِ

٠٠وفى بني أمية قيل دخل خالد بن خليفة الأقطع على أبي العباس وعنده على بن هشام ابن عبد الملك فأشار الى أبي العباس وهو يقول شعراً

ان تعاقبهمُ على رِقّةِ الدي.....نِ فقد كان دِينُهُم سامِرِيّا
كانَ خلاً زمانهم يرتَحُ النا س فأضحى الزمانُ منهم خصيّا

محاسن السبق الى الاسلام

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج أبو بكر رضى الله عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام وكان له صديقاً في الجاهلية فلقيه فقال يا أبا القاسم قعدت فى مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأديانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني رسول الله أدعوك الى الله فما كان الا أن سمع أبو بكر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدره فأسلم فانصرف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين الاخشبين أحداً كثر سروراً باسلام أبي بكر رضي الله عنه منه ومضى أبو بكر حتي أتي طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوّام وسعد بن أبي وقّاص فدعاهم الى الاسلام فأسلموا ثم عثمان بن مظعون وأبو عُبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم مع أبي بكر فأسلموا٠٠وأما اسلام عمر رضي الله عنه فان قريشاً بعثت بعمر رضى الله عنه ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم فخرج عمر متقلداً سيفه فى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ فى دار في أصل الصفا فلقيه نُعيم بن عبد الله بن أسيد وقد أسلم فقال يا عمر أين أراك تريد قال اريد محمداً هذا الذي سفّه عقولنا وشتم آلهتنا وخالف جماعتنا لأقتلنه قال نعيم لبئس المشى والله مشيت يا عمر ولقد أفرطت وأردت هلكة عدىّ بن كعب بمعاداتك بني هاشم أوَ ترى انك آمن من أعمامه وبني زُهرة وقد قتلت محمداً فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما فقال له عمر والله لأظنك قد صبوت ولو أعلم ذلك منك لبدأت بك فلما رأى نعيم انه غير منته قال أما ان أهلك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه فلما سمع ذلك نفر وقال أيهم قال أختنك وابن عمك وأختك

فانطلق الى أخته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه طائفة من ذوى الفاقة من اصحابه فقال لأُولي السعة يافلان فليكن عندك فلان فوافق ابن عم عمر وختنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد دفع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خَبّاب بن الأرتّ مولى أم أنمار حليف بني زهرة وقد أنزلت سورة طه فأقبل عمر حتى انتهى الى باب دار أخته ليتعرّف مابلغه فاذا خبّاب عند أخته يدرس عليها سورة طه واذا الشمس كورت فلما دخل عمر حذرته أخته وعرفت الشرّ فى وجهه وخبأت الصحيفة وراغ خبّاب فدخل البيت فقال عمر لأخته ما هذه الهَينَمَةُ قالت حديث تحدّث به بيننا فخلف أن لا يبرح حتى يتبين شأنها فقال له زوجها انك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك ياعمر وان كان الحق سواه فبطش به عمر ووطأه وطأ شديداً فقامت أخت عمر تحجزُ بينهما فنفحها بيده فشجها فلما رأت الدم قالت هل تسمع ياعمر أرأيت كل شئ بلغك عنى مما يذكر من تركي آلهتك وكفرى باللات والعزّى فهو حق وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فأتمم أمرك واقض ماأنت قاض فلما رأى عمر ذلك سُقط في يده فقال لأُخته أرأيت ما كنت تدرسين آنفاً أعطيك موثقاً لا أمحوه حتى أرده اليك ولا أخونك فيه فلما رأت أخته حِرْصَهُ على الكتاب رجت أن يكون ذلك لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انك نجسٌ ولا يمسه الا المطهرون فقام واغتسل من الجنابة وأعطاها موثقاً فاطمأنت به ودفعت اليه الصحيفة فقرأ طه حتى بلغ ﴿ ان الساعة آتيةٌ أكادُ أُخفيها لتُجزَى كلُّ نفسٍ بما تسعى فلا يصُدَّنك عنها مَن لا يؤمنُ بها واتبَعَ هواهُ فتردَى ﴾ وقرأ ﴿ اذا الشمسُ كُوِّرتْ ﴾ حتى انتهى الى قوله ﴿ علمت نفسٌ ما أحضرَتْ ﴾ فأسلم عند ذلك وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وخلع الأنداد وكفر باللات والعزّى فخرج خبّاب وكان داخلا في البيت مكبراً وقال ابشر بكرامة الله يا عمر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أن يُعزّ الله بك الاسلام فقال عمر دلونى على المنزل الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خَبّاب هو فى الدار التى فى أصل الصفا فأقبل عمر وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمر يطلبه ليقتله ولم يبلغه اسلامه فلما انتهى عمر الى الباب ليستفتح رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه فأشفقوا

منه فلما رآه حمزة وحده قال افتحوا فان كان الله يريد بعمر خيراً اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدّقه وان كان غير ذلك قتلناه بسيفه ويكون قتله علينا هيناً فابتدره رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوحي اليه فسمع صوت عمر فخرج ليس عليه رداء حتى أخذ بمجمع رداء عمر وقميصه وقال له أما والله ما أراك تنتهي يا عمر حتى يُنزل الله جل وعز بك من الزجر ماأنزله بالوليد ابن المُغيرة ثم قال اللهم اهد عمرَ فضحك عمر وقال يارسول الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأنك محمد عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلا وإحدى عشرة امرأة ثم قال عمر يارسول الله نحن بالاسلام أحق أن ينادى مناد بالكفر فليظهرنّ دين الله عزوجل بمكة فخرج عمر وجلس فى المسجد وصلى علانية وأظهر الاسلام فلم يزل الدين عزيزاً مُنذ أسلم عمر رضي الله عنه .. وأما اسلام عثمان فانه روى ان عثمان بن عفان رحمه الله قال دخلت على جدتي بنت عبد المطلب أعودها فانّي لعندها اذجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها فجعلت أنظر اليه وقد نشر من شأنه حينئذ شيئاً فأقبل عليّ فقال ماشأنك يا عثمان فجعل لي الى الكلام سبيلا فقلت أعجب منك ومن مكانك فينا وفى قومك وما يقال عليك فقال لااله الا الله فالله يعلم انى اقشعَرَرْتُ ثم قال ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون فوَرَبّ السماء والأرض انه لحقٌّ مثل ماأنكم تنطقون) فقام فقمت في أثره عليه الصلاة والسلام فأسلمت

مساوى من ارتد عن الاسلام

منهم جبلة بن الأيهَم الغسّاني لما افتتحت الشام ونظر جبلة الى هَدْي المسلمين ووقارهم أحب الدخول فى الاسلام فسار نحو المدينة الى عمر بن الخطاب رحمه الله فلما بلغ عمر قدومه قال للمهاجرين استقبلوه وأظهروا تعظيمه وتجيله فانه قريب العهد بالملك

فاستقبله الناس وأظهروا برّه وأقبل جبلة حتى دخل على عمر رضي الله عنه فقرّب مجلسه وأدناه ووعده من نفسه خيراً فأسلم وأقام بالمدينة حتي اذا حضر أوان الموسم حجّ عمر رحمه الله وخرج معه جبلة فبينا هو يطوف بالبيت مُحرِما وعليه إزاران قد ارتدي بواحد واتّزرَ بالآخر اذ وطئ رجل طرف ازاره فانحلّ عنه حتي بدت عورته فغضب ووثب على الرجل فلطمه فتعلق به الرجل وجماعة معه وانطلقوا به الى عمر رضى الله عنه وشهدوا عليه فقال عمر أقِدِ الرجل أو استوهب منه فقال جبلة وكذلك هذا الدين لايفضل فيه شريف على وضيع ولا ملك على سوقة قال عمر قال الله تعالى وقوله الحق (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ان الناس شريفهم ووضيعهم فى الحق سواء فانصرف جبلة فلما جن عليه الليل خرج فى حشمه وعياله حتى لحقوا بأرض الشام مرتداً عن الاسلام فكتب عمر الى أبي عبيدة بن الجراح يأمره ان يستتيب جبلة فان تاب والا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج من أرض الشام حتى دخل أرض الروم وأتي الملك فأخبره بأمره ورجوعه الى النصرانية فسُرّ الملك بقدومه واستخلفه على ملكه وجعله جائز الامر فى سلطانه فأقام عنده فلما ولي معاوية بن أبى سفيان بعث رجلا من الانصار يقال له تميم بن بشر الي قيصر ملك الروم فى بعض أموره قال تميم فلما دخلت على قيصر أبلغته الرسالة وجلست عنده فحدّثني ملياً ثم قال هل لك في لقاء رجل من العرب من أهل بيت الملك فقلت ومن هو قال جبلة بن الأيهم قلت ان لى فى ذلك أملاً واني لرجل من قومه فبعث معى رجلا حتي أدخلنى عليه وهو فى مجلس له يغشى العيون حسنه وكثرة تصاويره مطليّة حيطانه بماء الذهب والفضة يتلألأ تلألؤاً وحوله نفر من بطارقة الروم فسألنى من أنا فانتسبت له فقال حيّاك الله فاننا بنو عم ثم أمر جلساءه فخرجوا من عنده وخلا بى يسألنى عن العرب وأماكنها فخبّرته بجميع ماسألنى عنه فبكى حتى خضلّت لحيته الدموع ثم أنشأ يقول

تَنَصَّرْتُ بعدَ الدينِ من عارِ لَطْمَةٍ ... وَما كانَ فيها لَوْ صَبَرْتُ لها ضَرَرْ
تَكَنَّفَنى منها لجاجٌ ونَخوَةٌ ... فبعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ
فيالَيْتَ أمي لم تلدني وليتني ... ثَوَيْتُ أسيراً فى ربيعةَ أوْ مُضَرْ

ويا ليتنى أرعى المخاضَ بقفرةٍ ولم أنكرِ القولَ الذي قاله عُمر
ويا ليتَ لى بالشام أدنى مَعيشةٍ أجالسُ قومي فى العشياتِ والبُكر
أدينُ لما دانوا به من شريعــة وقد يجلس العَيرُ الضجورُ على الدَّبَر

قال ثم دعا بغدائه فتغدّينا فلما فرغنا حرجت علينا جاريتان في يد احداهما بَرْبَطٌ وفى يد الأخري مِزمارٌ فجلستا ثم خرجت علينا جاريتانِ فى يد احـداهما جام فيه مسك مسحوق وفى يد الأخرى جام مملوء ماء ورد ثم أقبل طائران كانا شبيهين بطاوسـين أو تدرُجين فسـقطا فى الجام واحتملا المسك بجناحيهما فرشّاه علينا .. وقال جبـلة للمغنيتين غنيانا فغنتاه

لمن الدارُ أقفرتْ بمُعانِ بين أعلى اليَرموكِ فالمسربان
ذاك مغنىً لآل جَفْنَةَ فى الدهـــرِ وحـقٌّ تصرفُ الازمان
قـد أرانى هناكَ حقاً مكيناً عند ذى التاجِ مقعدى ومكاني

قال ثم بكي حتى اخضلت دموعه لحيته ثم قال غنيانى فغنتا

لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتهـم يوما بِجِلّقَ فى الزمان الأوّل
أولادَ جفنةَ حولَ قبر أبيهم قبرِ ابن ماريةَ الكريم المفضَلِ
يَسقون من هبط البريصَ عليهمُ بردَى يُصفّق بالرحيق السلسل
يُغشَوْنَ حـتى ماتهرُّ كلابُهم لايسألونَ عن السوادِ المقبل
بيضَ الوجوه كريمةً أحسابهم شُمَّ الأُنوف من الطراز الأوّل

ثم قال لى مافعل ابن الفُرَيعة يعنى حسّان بن ثابت قلت حيٌّ الا انه كُف بصره فوجد من ذلك وجداً شـديداً وبكى وقال لخادم له انطلق فأتني بأربعـمائة دينار فأتاه بها فناولنيها وقال أوصلها الى حسان ثم ودعتـه وخرجت حتي أتيت معاوية فأخـبرته بجواب رسالة قيصر ثم سرت من الشام حتي أتيت المدينـة ولقيت حسانا ودفعت اليه الدنانير .. فقال

ان ابنَ جَفْنَةَ من بقية معشَرٍ لم يغـذُهُمْ آباؤُهـمُ باللومِ
لم يَنْسَـنى بالشام إذْ هو ربُّها يوما ولا متنصراً بالروم

يُعطى الجزيلَ فما يراهُ عنده الا كبعض عطيّةٍ المذُموم
ماجئتهُ الا وقرّبَ مجلسي ودَعا بأفضلِ زادِهِ المطعوم

محاسن المفاخرة

٠٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر ٠٠ وقال يوسف عليه السلام ﴿ اجعلنى علي خزائن الأرض اني حفيظٌ عليمٌ ﴾ ٠٠ قيل وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد

اني امرؤٌ حميريٌّ حين تَنْسُبُنى لامن ربيعةَ آبائي ولا مُضر

فقال ذلك ألأم لك وأبعد من الله ورسوله ٠٠ وقال صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الناس فالحق مع مُضر وقال

اذا مضرُ الحمراء كانت أرُومتى وقام بنصرى خازمٌ وابن خازمِ
عَطَسْتُ بأنفى شامخاً وتناولتْ يداىَ الثريَّا قاعداً غيرَ قائم

شعيب بن ابراهيم قال حدثنى سيف بن عمر عن على بن يزيد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال مر العباس بنفر من قريش وهم يقولون انما مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أهله كمثل نخلة نبتت في كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه وخرج حتى قام فيهم خطيباً فقال أيها الناس من أنا قالوا أنت رسول الله قال فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم جعل الخلق الذي أنا منهم فرقتين فجعلنى من خير الفرقتين ثم جعلهم شعوبا فجعلنى من خيرهم شعبا ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداوانّى مباه قمْ ياعباس فقام عن يمينه ثم قال قم ياسعد فقام عن يساره ثم قال ليقرب امرؤ من الناس عما مثل هذا أو خالا مثل هذا ٠٠ حدثنا سنان بن الحسن التسترى قال حدثنا اسماعيل بن مهران اليشكري قال حدثنا أحمد بن محمد عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضي الله عنه ٠٠ قال لما أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه ومعه أبو بكر وكان أبو بكر عالما بانساب العرب فدفعنا الي مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدم أبو بكر وسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة فقال أمن هامتها أم من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال وأي هاماتها قالوا ذُهل قال أذُهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل ذهـل الاكبر قال أمنكم عوف الذى كان يقال لاحرّ بوادى عوف قالوا لا قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهي الاحياء قالوا لا قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فأصهار الملوك من لخم قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر اذاً أنتم من ذهل الاصغر فقام اليه غلام اعرابى حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أن نسأله ... والعبء لن نعرفه أو نحمله

يا هذا انك سألتنا أي مسئلة شئت فلم نكتمك شيئاً فأخبرنا ممن أنت فقال أبو بكر رضى الله عنه من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة فأخبرني من أي قريش أنت قال من تيم بن مرة قال أفمنكم قصي بن كلاب الذى جمّع القبائل من فهر فكان يقال له مجمعاً قال أبو بكر لا قال أفمنكم هاشم الذي قال فيه الشاعر

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا قال أفمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه كالقمر يضيء ليلة الظلمة الداجية مطعم طير السماء قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أما والله لو شئت لاخبرتك انك لست من أشراف قريش فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب فقال الاعرابى

صادف دَرَّ السيل درٌّ يدفعه ... في هضبةٍ ترفعهُ وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال على فقلت يا أبا بكر انك لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة فقال أجل يا أبا الحسن مامن طامة الا فوقها طامة وان

البلاء موكل بالمنطق

محاسن كلام الحسن بن على رضوان الله عليهما

قيل وأتي الحسن بن علىّ رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان وقد سبقه ابن عباس فأمر معاوية فانزل فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد ابن أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم وحديثهم ومجدهم فقال معاوية أكثرتم الفخر فلو حضركم الحسن بن علىّ وعبد الله بن عباس لقصرا من أعنتكما ماطال فقال زياد وكيف ذلك ياأمير المؤمنين مايقومان لمروان بن الحكم فى غرب منطقه ولا لنا فى بواذخنا فابعث اليهما فى غدٍ حتى تسمع كلامنا فقال معاوية لعمرو ماتقول قال هكذا فابعث اليهما فى غدٍ فبعث اليهما معاوية ابنه يزيد فأتياه ودخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وارفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت ياأبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكرا له فلما استويا في مجلسهما وعلم عمرو ان الحدة ستقع به قال والله لابد أن أقول فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قُهرتُ أكون قد ابتدأت فقال ياحسن انا تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أميّة اصبر عند اللقاء وامضى فى الوغي وأوفي عهداً وأكرم ِخيما وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب ثم تكلم مروان فقال وكيف لانكون كذلك وقد قارعناكم فغلبناكم وحاربناكم فملكناكم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ثم تكلم زياد فقال مايَنبغي لهم ان ينكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير في سلطانه نحن أهل الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً فتكلم الحسن رضى الله عنه فقال ليس من العجز ان يصمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن من الإفك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الباطل بصورة الحق ياعمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة وأمسك عنها أخرى فتأبى الا انهماكا فى الضلالة أتذكر مصابيح الدجي وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وأبناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن النبوة ومهبط

العلم وزعمتم انكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعترك المنية وقامت رحاها على قطبها وافترّت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومنّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذراريكم فكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب ثم قال وأما أنت يامروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت طليق وأبوك طريد يتقلب من خزاية الى سوأة ولقد جيء بك الى أمير المؤمنين فلما رأيت الضرغام قد دميت برائنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال

ليثٌ اذا سمع الليوثُ زئيرَهُ بَصْبَصْنَ ثم قذَفْنَ بالأبعار

.. ويروى رمين بالابعار فلما منّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ماضاق عليك وغصصت بريقك لم تقعد معنا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن ممن لايدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد فقال وما أنت يازياد وقريشاً لاأعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعا ثابتا ولا قديما ثابتا ولا منبتاً كريما بل كانت أمك بغياً تداولها رجال قريش وفجار العرب فلما ولدتَ لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا يعنى معاوية بعد ممات أبيه مالك افتخار تكفيك سُمَيّةُ ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى علىّ بن أبي طالب سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعمي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ثم التفت الى ابن عباس فقال يابن العم انما هي بغاث الطير انقضّ عليها أجدل فاراد ابن عباس ان يتكلم فاقسم عليه معاوية ان يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمرو الكلام لولا ان حجته دحضت وتكلم مروان لولا انه نكص ثم التفت الى زياد وقال مادعاك الى محاورته ماكنت الا كالحجل فى كف البازى فقال عمرو ألا رميت من ورائنا قال معاوية اذاً كنت شريككم في الجهل أفاخر رجلا رسول الله جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ثم قال لعمرو والله لئن سمع به أهل الشام لهي السوءة السوآء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزيادا طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطيء البازل القُراد بمنسمه فقال زياد قد والله فعل ولكن معاوية يأبى الا الإغراء بيننا وبينهم لاجرم

والله لاشهدت مجلساً يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن فقبل بين عينيه وقال أفديك يا ابن عم والله ما زال بحرك يذخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى أظنك تعباً نصباً فائت المنزل فأرح نفسك فيه فقام الحسن فلما خرج قال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فانك ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك فى الاسلام نصيب وافر فقال ابن الزبير أنا له فرجع وهو يطلب ليلته الحجيج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال ابن الزبير لولا انك خوّار فى الحرب غير مقدام ما سلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حرياً أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علىّ فى بأسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف رأى أم وهن نحيزة فما أظن لك مخرجاً من هاتين الخلّتين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت اني ابن الزبير واني لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبي الزبير حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأساً وأكرمهم حسباً فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه الحسن وقال أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً ولكن سأبين ذلك لك لتعلم اني لست بالعيّ ولا الكليل اللسان اياي تُعير وعلىّ تفتخر ولم يكن لجدك بيت فى الجاهلية ولا مكرمة فزُوّجته جدّتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ على جميع العرب بها وشرف بمكانها فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها ومن الأشراف سادتها نحن أكرم أهل الارض زنداً لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم اني سلمت الامرَ فكيف يكون ذلك ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين وخير الاماء لم أفعل ذلك ويحك جُبناً ولا ضَعفاً ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني بترة ويداجيني المودة ولم أثق بنصرته لأنكم أهل بيت غدر وكيف لا يكون كما أقول وقد بايع أبوك أمير المؤمنين ثم

نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشيّة من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الاسنة قُتل مَضِيعةً لاناصر له وأتي بك أسيراً قد وطئتك الكماة بأظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الأشتر فغصصت بريقك وأقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته الليوث فنحن ويحك نور البلاد وأملاكها وبنا تفخر الأمة والينا تُلقى مقاليد الأزمة أتصول وأنت تختدع النساء ثم تفتخر على بني الأنبياء لم تزل الأقاويل منا مقبولةً وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدي طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين رضي الله عنه فسار الى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل أبوك وطلحة وأتى بك أسيراً فبصبصت بذنبك وناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفاعنك فأنت عتاقة أبي وأنا سيدك وسيد أبيك فذق وبال أمرك فقال ابن الزبير اعذر يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا وأحب الاغراء بيننافهلا اذ جهِلتُ أمسكت عنّي فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم والعفو فقال الحسن يامعاوية انظر هل أكيعُ عن محاورة أحد ويحك أتدرى من أى شجرة أناوالي من أنتمي انتهِ قبل أن أسمَك بميسمٍ تتحدث به الركبان فى الآفاق والبلدان فقال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمي مقتلك فصرت كالحَجَل فى كف البازى يتلاعب بك كيف أراد فلا أراك تفتخر على أحد بعدها .. وذكروا ان الحسن بن على دخل على معاوية فقال متمثلا

فيمَ الكلام وقد سبقتُ مبرّزاً سبق الجواد من المدَى والمِقيسِ

.. فقال معاوية إياي تعني أما والله لأنبئنك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها جدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشاً ناشئاً وكهلا فقال الحسن أجل إياك أعنى افعلىّ تفتخر يامعاوية انا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثابت والشرف الفائق والقديم السابق انا ابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك اب كأبي وقديم كقديمي فان قلت لا تُغلب وان قلت نعم تكذب فقال معاوية أقول لا تصديقاً لقولك فقال الحسن

الحقّ أبلجُ ماتخونُ سبيلُهُ والصدقُ يعرفهُ ذوو الألبابِ

ماتخون أى ما نخون من سلكها .. قال وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم اخبرونى بخير الناس أباً وأماً وعماً وعمة وخالا وخالة وجداً وجدة فقام مالك ابن العجلان فأومأ الى الحسن فقال ها هو ذا ابوه على بن ابي طالب رضوان الله عليه وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار فى الجنان وعمته أم هانئ بنت ابى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال احبُّ بني هاشم حملك على ان تكلمت بالباطل فقال ابن العجلان ما قلت الا حقاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء فى آخرته بنو هاشم أنضرهم عوداً وأوراهم زنداً كذلك يا معاوية قال اللهم نعم .. قيل واستأذن الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما أقبل قال عمرو قد جاءكم الافهُ الحىّ الذي كان بين لحييه عقلة فقال عبد الله بن جعفر مَهْ فوالله لقد رُمت صخرة ملمعة تحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول ولا تبلغها السهام فاياك والحسن إياك فانك لا تزال راتعاً فى لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ الناس مجالسهم قال يا معاوية لا يزال عندك عبدٌ راتعاً في لحوم الناس اما والله لوشئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتحرّج منه الصدور ثم انشأ يقول

أتأمرُ يامعاوى عبدَ سهمٍ ... بشتمى والملاَ منّا شهودُ
إذا أخذتْ مجالسها قريشٌ ... فقد علمت قريشٌ ماتريدُ
قصدتَ الىّ تشتمني سفاهاً ... لضغنٍ مايزولُ وما يبيدُ
فمالكَ من أبٍ كأبى تسامي ... به من قد تُسامى أو تكيدُ
ولا جدٌّ كجدّى يا ابن هندٍ ... رسولِ الله ان ذُكر الجدودُ
ولا أمٌّ كأمي من قريشٍ ... إذا ما حُصّلَ الحسبُ التليدُ
فما مثلي تُهكّمَ يا ابنَ هندٍ ... ولا مثلى تجاريهِ العبيدُ

فمهلاً لا تُهِجْ منا أموراً يشيبُ لهولها الطفلُ الوليدُ

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم ابعث الى الحسن بن على فمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون ذلك مما نُعيّره به فبعث اليه معاوية فأصعده المنبر وقد جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس من عرفني فأنا الذى يعرف ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن على بن أبي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعث رحمة للعالمين وسخطاً على الكافرين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن المستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن أول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر فافتنّ في هذا الكلام ولم يزل حتى أظلمت الدنيا على معاوية فقال يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفةً ولست هناك فقال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعة الله وليس الخليفة من دان بالجور وعطّل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً ولكن ذاك مَلِك أصاب مُلكا يمتّع به قليلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه تبعته فكان كما قال الله جل وعز ﴿ وإن أدرِى لعلّهُ فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حينٍ ﴾ ثم انصرف فقال معاوية لعمرو والله ما أردت الا هتكي ما كان أهل الشام يرون ان أحداً مثلى حتى سمعوا من الحسن ماسمعوا .. قيل وقدم الحسن بن على رضوان الله عليه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شُعبة وصناديد قومه ووجوه اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه فلما نظر مروان الى ذلك حسده وكان معاوية قال لهم لا تحاورا هذين الرجلين فلقد قلدا كم العار وفضحاكم عند أهل الشام يعنى الحسن بن على رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال مروان يا حسن لولا حلمُ أمير المؤمنين وماقد بني له آباؤه الكرام من المجد والعلاء ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت له مستوجب بقودك الجماهير فلما أحسست بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنتَ بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك

لأريق دَمك وعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلاك بمعاوية فعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن فقال ويحك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار فى الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها نحن هَبِلتك الهوابل لنا الحجج البوالغ ولنا ان شكرتم عليكم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفخر ببنى أمية وتزعم انهم صُبر فى الحروب أُسد عند اللقاء ثكلتك أمك أولئك البهاليل السادة والحُماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب أما والله لقد رأيتهم وجميع من فى هذا البيت ماهالتهم الأهوال ولم يحيدوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هارباً وأخذت أسيراً فقلدت قومك العار لأنك فى الحروب خوّار أيراق دمى زعمت أفلا أرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادى بالويل والثبور كالأمة اللكعاء ألا دفعت عنه بيدٍ أو ناضلت عنه بسهم لقد ارتعدت فرائصُك وغُشى بصرك فاستغثت بى كما يستغيث العبد بربّه فأنجيتُك من القتل ومنعتك منه ثم تحث معاوية على قتلى الاولورام ذلك معك لذبح كما ذُبح ابن عفان أنت معه أقصر يداً وأضيق باعاً وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك ثم تزعم انى ابتُليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لما ولّيناه هذا الأمر فمتى بدا لهُ فلا يُغضِينّ جفنه على القذَى معك فو الله لأُعقّبن أهل الشام بجيش يضيق عنه فضاؤها ويستأصل فرسانها ثم لاينفعك عند ذلك الهرب والروغان ولا يرد عنك الطلبَ تدريجك الكلام فنحن ممن لا يجهل آباؤنا القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار انطق ان كنت صادقاً فقال عمرو ينطق بالخنا وتنطق بالصدق .. ثم أنشأ يقول

قد يَضرُطُ العَيرُ والمِكواةُ تأخذُهُ لايضرُطُ العَيرُ والمكواةُ فى النارِ

ذق وبال أمرك يا مروان وأقبل عليه معاوية فقال قد كنت نهيتك عن هذا الرجل وأنت تأبى الا انهماكا فيما لا يعنيك اربع على نفسك فليس أبوك كأبيه ولا أنت مثله أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رُب باحث عن حتفه وحافر عن مديته فقال مروان ارم من دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك

ثم قال لعمرو طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيبك فلذلك تحذره وقام مغضباً فقال معاوية لا تجار البحور فتغمرك ولا الجبال فتهرك واسترح من الاعتذار .. قيل ولقى عمرو بن العاص الحسن بن علىّ رحمه الله فى الطواف فقال يا حسن أزعمت ان الدين لا يقوم الا بك وبأبيك فقد رأيت الله جل وعز أقامه بمعاوية فجعله راسياً بعد مَيله وبيّناً بعد خفائه أفرضى الله قتل عثمان أم من الحق أن تدورَ بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغِرْقئ البيت وأنت قاتل عثمان والله انه لألمّ للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن عليه السلام ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهي الالحاد لاولياء الله والموالاة لاعداء الله والله انك لتعلم ان علياً رضي الله عنه لم يتريّب فى الامر ولم يشك فى الله طرفة عين وأيم الله لتنتهينّ يا ابن أم عمرو أو لأقرعن جبينك بكلام تبقى سمَته عليك ما حييت فاياك والابراز علىّ فاني من قد عرفت لستُ بضعيف الغمزة ولا بهشّ المشاشة ولا بمريء المأكلة وانى من قريش كأوسط القلادة يعرف حسبى ولا أدّعي لغير أبى وقد تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك ألأمُهم نسباً وأظهرهم لعنة فاياك عنى فانك رجس وأما نحن بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً .. قيل واجتمع الحسن بن على وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها انى منها فى عز أرومتها لم أُطبع على ضعف ولم أُعكَس على خسف أعرف بشبهي وأدّعي لأبى فقال عمرو قد علمت قريش انك من أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منهن لشملك خزيها كما شمل البياضُ الحالك لعمرُ الله لتنتهين عما أراك تصنع أو لأكبسنّ لك حافة كجلد العائط أرميك من خللها بأحر من وقع الانافى أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طال ماركبت صعب المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماساً للفرقة وارصاداً للفتنة ولن يزيدك الله الا فظاعة فقال الحسن عليه السلام أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصدٍ ولا حللت رابية مجدٍ وأيم الله لو أطاعنى معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه طال ماطويت على هذا كشحك وأخفيته فى صدرك وطمح بك الرجاء الى الغاية القصوى التي لا يُورق لها غصنك ولا يخضر لها مرعاك أما والله ليوشكنّ يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام من قريش

قوى متمنع فروسٍ ذى لبـد يضغطك ضغط الرحا للحبّ لا ينجيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان

محاسن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه

أبو المنذر عن أبيـه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقـد سار الحسين بن على رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعـة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده بين عضُدى ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الاول

يا لكِ من حُمَّرَةٍ بمَعمَرِ خلالكِ الجَوُّ فبيضي واصفرى
ونَقِّرى ماشئتِ أن تُنقّرى قد رُفعَ الفخ فماذا تحذَرى

.. خلَت الحجاز من الحسين بن على وأقبلت تهدر فى جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا الامر من غـيرك فقال ابن عباس انما يرى من كان فى حال شك وأنا من ذلك على يقين فقال وبأى شئ تحقق عندك انك أحق بهذا الامر منى قال ابن عباس لأنا أحق ممن يدلّ بحقه وبأى شئ تحقق عندك انك أحق بها من سائر العرب الا بنا فقال ابن الزبير تحقق عندى انى أحق بها منكم لشرفى عليكم قديماً وحديثاً فقال أنت أشرف أم من قد شرفت به فقال ان من شرفتُ به زادنى شرفاً الى شرف قد كان لي قديماً وحديثاً قال أفمنى الزيادة أم منك قال بل منك فتبسم ابن عباس فقال يا ابن عباس دعنى من لسانك هـذا الذى تقلبه كيف شئت والله لا تحبوننا يا بني هاشم أبداً قال ابن عباس صدقت نحن أهلُ بيت مع الله عز وجل لانحب من أبغضه الله تعالى فقال يا ابن عباس ما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة قال انما أصفح عمن أقر وأما عمن مرّ فلا والفضل لأهل الفضل قال ابن الزبير فأين الفضل قال عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه فى غير أهله فتندم قال ابن الزبير أفلستُ من أهله قال بلي ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما وقام القوم فتفرقوا .. وروي عن

ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع أصحابه ووفود العرب عنده فدخلت فسلمت وقعدت فقال من الناس يا ابن عباس فقلت نحن قل فاذا غبتم قلت فلا أحد قال ترى انى قعدت هذا المقعد بكم قلت نعم فبمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بن أمية قلت بل بمن أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه قال فغضب وقال وارِ شخصك عني شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسألوني ما الذى أغضب معاوية انه لم يلتق أحد من رؤساء قريش فى عقبة ولا مضيق مع حرب الا لم يتقدمه أحد حتى يجوزه فالتقى حرب بن أمية مع رجل من بني تميم فى عقبة فتقدمه التميمى فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فبقى التميمى دهراً ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقالوا عبد المطلب قال عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير على حرب فأتى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق عليه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل إما طالب حاجة واما طالب قِرىً واما مستجير وقد أعطيناه ما أراد قال فخرج اليه الزبير .. فقال

لاقيتُ حرباً فى الثنيّةِ مُقبلاً ... والصبحُ أبلجَ ضوءهُ للسارِى
فدعا بصوتٍ واكتنى ليروعني ... ودعا بدعوتهِ يُريدُ فخارِى
فتركتهُ كالكلبِ ينبحُ وحدهُ ... وأتيتُ أهلَ معالمٍ وفخارِ
لَيثاً هِزَبراً يُستجار بقربهِ ... رَحبَ المَباءة مكرِماً للجار
ولقد حلفتُ بزمزم وبمكةٍ ... والبيتِ ذى الأحجار والاستارِ
إنّ الزبير لَمانعى من خَوفهِ ... ما كبرَ الحُجاجُ فى الامصارِ

فقال تقدم فانا لا نتقدم من نجيره فتقدم التميمى فدخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فعدا حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جَفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى هناك ساعة ثم قال له أخرج فقال كيف أخرج وتسعة من ولدك قد احتبَوا بسيوفهم على الباب فألقى عليه رداءً كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طُرّتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا انه قد أجاره فتفرقوا عنه .. قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن عباس وابن العاص فأقبل عبدالله بن جعفر

فلما نظر اليه ابن العاص قال قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محبٌّ للقيان كثير مزاحه شديد طِماحهُ صدوفٌ عن السنان ظاهر الطيش ليّن العيش أخّاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور لنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم ماجد لِهميمٌ ان ابتدأ أصاب وان سئل اجاب غير حصر ولا هيّاب ولا فحّاش عياب حلٌّ من قريش فى كريم النصاب كالهِزَبر الضرغام الجرئ المقدام فى الحسب القمقام ليس يدّعى لدعىّ ولا يدنو لدنىّ كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزّارها فأصبحَ أَلأَمها حسباً وادناها منصباً ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل يتذبذب بين الحبين كالساقط بين الفراشين لا المضطر اليهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه وليت شعرى بأى قدم تتعرض للرجال وبأي حسب تبارز عند النضال أبنفسك فأنت الوغد الزنيم أم بمن تنمى اليه فأهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا غير انك تتكلم بغير لسانك وتنطق بغير أركانك والله لكان أبين للفضل وأظهر للعدل ان ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طال ماسلس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضرّ بها رعيك ولم يورق بها غُصنك قال عبد الله بن جعفر أقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت قال ابن عباس دعني والعبد فانه قد كان يهدر خالياً اذ لا يجد مُراميا وقد أُتيح له ضيغم شرِس وللاقران مفترس وللارواح مختلس فقال عمرو بن العاص دعنى يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ماترك شيئاً قال ابن عباس دعه فلا يُبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبي لشديد وان جوابي لعتيد وبالله الثقة فاني كما قال نابغة بني ذُبيان

وقبلَك ماقُذِعتُ وقاذَعونى فما نزُرَ الكلامُ ولا شجانى
يصُدُّ الشاعر العرّافُ عني صدُودَ البكرِ عن قرمٍ هِجان

محاسن كلام غانمة بنت غانم فى شرف بني هاشم وفخرهم

قيل ولما بلغ غانمة بنت غانم سبّ معاوية وعمرو بن العاص بني هاشم قالت لأهل مكة أيها الناس ان قريشاً لم تلد من رَقم ولا رُقم سادت وجادت ومُلّكت فملكت وفضلت ففضلت واصطُفيت فاصطفت ليس فيها كدر عيب ولا أفن ريب ولا حشروا طاغين ولا حادوا نادمين ولا المغضوب عليهم ولا الضالين ان بني هاشم أطول الناس باعاً وأمجد الناس أصلاوأحلم الناس حلماًوأكثر الناس عطاء منا عبد مناف الذى يقول فيه الشاعر

كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقت ... فالمخّ خالصُها لعبدِ مَنافِ

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه .. وفيه يقول الشاعر

هشمَ الثريد لقومهِ وأجارهُمْ ... ورجالُ مكةَ مُسنتونَ عِجافُ

ثم منا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث وفيه يقول الشاعر

ونحْنُ سِنِيَّ المَحلِ قامَ شفيعنا ... بمكةَ يدعو والمياهُ تغورُ

وابنه أبو طالب عظيم قريش .. وفيه يقول الشاعر

آتيتهُ مَلكاً فقامَ بحاجتى ... وترى العُلَيّجَ خائباً مذمومَا

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه ماله .. وفيه يقول الشاعر

رديفُ رسول الله لم أر مثلَهُ ... ولا مثلُهُ حتى القيامةِ يُوجدُ

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه يقول الشاعر

أبا يَعلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ ... وأنتَ الماجدُ البرُّ الوَصولُ

.. ومنا جعفر ذو الجناحين أحسنُ الناس حسناً وأكملهم كمالا ليس بغدارٍ ولا ختار بدّله الله جل وعز له بكل يدٍ له جناحاً يطير به فى الجنة .. وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجعفرِنا مثلَ علّينا ... أنّسنا أعزّ الناسِ عندَ الحقائق

.. ومنا أبو الحسن على بن أبي طالب رضى الله عنه أفرس بني هاشم وأكرم من احتفى وتنعل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فضائله ما قصُر عنكم أنباؤها ..

وفيه يقول الشاعر

وهذا علىٌّ سيدُ الناسِ فاتقُوا عَلياً باسلامٍ تقدّمَ من قبلُ

.. ومنا الحسن بن على رضي الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة .. وفيه يقول الشاعر

ومن يك جده حقاً نبياً فان له الفضيلة فى الأنام

..ومنا الحسين بن عليّ رضوان الله عليه حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفى بذلك فخراً ..وفيه يقول الشاعر

نفى عنه عيبَ الآدميين ربُّهُ ومَنْ مجدُهُ مجدُ الحسين المطهّر

ثم قالت يا معشر قريش والله ما معاوية بأمير المؤمنين ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم انى آتية معاوية وقائلة له بما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه ان غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافة فنظّفت وألقى فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيرى الي دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كَلأك الله قال يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد فتمعَّرلون يزيد فأتي أباه فأخبره فقال هي أسنّ قريش وأعظمهم فقال يزيدكم تعدُّ لها يا أمير المؤمنين قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان ثم قالت من منكم ابن العاص قال عمرو ها أنا ذا فقالت وأنت تسُبّ قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السبّ وفيك السب واليك يعود السبّ يا عمرو اني والله لعارفة بعيوبك وعيوب أمك واني أذكر لك ذلك عيباً عيباً ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيام ويعلوها اللئام اذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجلا وأما أنت فقد رأيتُك غاوياً غير راشد ومفسداً غير صالح ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يامعاوية فما كنت فى خير ولا ربيت فى خير فمالك ولبني هاشم

أنساء بني أمية كنسائهم أم أعطي أمية ما أعطى هاشم فى الجاهلية والاسلام وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كافّ عن بني هاشم قالت فاني أكتب عليك عهداً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لي خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية وحلف لها أن لا يسب بني هاشم أبداً فهذا آخر ما كان بين معاوية وبني هاشم من المفاخرة والله أعلم

محاسن مجالس أبي العباس السفاح فى المفاخرة

قيل كان أبو العباس يطيل السهر وتعجبه الفصاحة ومنازعة الرجال فسهر ذات ليلة وعنده أناس من مُضر وفِهر وفيهم خالد بن صَفوان بن الأهتم التميمى وناس من اليمن فيهم ابراهيم بن مَخرمة الكندى فقال أبو العباس هاتوا واقطعوا ليلتنا بمحادثتكم فبدأ ابراهيم بن مخرمة وقال يا أمير المؤمنين ان أخوالكم هم الناس وهم العرب الأُوَل الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم اليد العليا مازالوا ملوكا وأرباباً توارثوا الرياسة كابر عن كابر وآخراً عن أول يابس آخرهم سرابيل أولهم يعرفون بيت المجد ومآثر الحمد منهم النعمانات والمنذرات والقابوسات ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتزّ لموته العرش ومنهم مكلم الذئب ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصباً ويحوى فى كل نائبة نهباً ومنهم أصحاب التيجان وكماة الفرسان ليس من شئ وان عظم خطره وعرف أثره من فرس رائع وسيف قاطع أو مِجَنّ واقٍ أو درع حصين أو درة مكنونة الا وهم أربابها وأصحابها ان حل ضيف قرَوْه وان سألهم سائل أعطوه لا يبالغهم مكاثر ولا يطاولهم مطاول ولا مفاخر فمن مثلهم يا أمير المؤمنين البيت يمانٍ والحجر يمان والركن يمان والسيف يمان فقال أبو العباس ما أرى مُضر تقول بقولك هذا وما أظن خالداً يرضى بذلك فقال خالد ان أذن أمير المؤمنين وأمِنتُ الموجَدَة تكلمتُ فقال أبو العباس تكلم ولا ترهب أحداً فقال خالد يا أمير المؤمنين خاب المتكلم وأخطأ المتقحم اذ قال بغير علم ونطق بغير صواب أو يفخر على مضر ومنها النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من أهل بيته وهل أهل اليمن

يا أمير المؤمنين الا دابغ جلد أوقائد قرد أوحائك برد دل عليهم الهدهد وغرقهم الجُرَذ وملكتهم أم ولد من قوم والله يا أمير المؤمنين مالهم ألسنة فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة تدل على كتاب ولا يعرف بها صواب وانهم منالعلي خلّتين ان حازوا ما قصدوا أُكلوا وان حادوا عن حكمنا قُتلوا ثم التفت الى الكندي فقال أتفخر بأكرم الانام وخيرها محمداً صلى الله عليه وسلم وبه افتخر من ذكرت فالمن من الله عز وجل عليكم ان كنتم أتباعه وأشياعه منا نبي الله المصطفى وخليفة الله المرتضى ولنا السؤدد والعلى وفينا الحلم والحِجا ولنا الشرف المقدم والركن المكرم والبيت المعظم والجناب الأخضر والعدد الأكثر والعز الأكبر ولنا البيت المعمور والمشعر المشهور والسقف المرفوع وزمزم وبطحاؤها وجبالها وصحراؤها وحياضها وغياضها وأحجارها وأعلامها ومنابرها وسقايتها وحجابتها وسدانة بيتها فهل يعدلنا عادل ويبلغ فخرنا قائل ومنا أعلم الناس ابن عباس أعلم البشر الطيبة أخباره الحسنة آثاره ومنا الوصي وذو النور ومنا الصديق والفاروق ومنا أسد الله وسيف الله ومنا سيد الشهداء وذو الجناحين ومنا الكماة والفرسان ومنا الفقهاء والعلماء بنا عُرف الدين ومن عندنا أتاكم اليقين فمن زاحمنا زحمناه ومن عادانا اصطلمناه ومن فاخرنا فخرناه ومن بدّل سُنتنا قتلناه ثم التفت الى الكندى وقال كيف علمك بلغات قومك قال أنا بها عالم قال ما الجمجمة في لغتكم قال العين قال فما الميزم قال السن قال فالشناتر قال الأصبع قال فالصنانير قال الآذان قال فما القَلوب قال الذئب قال فما الزب قال اللحية قال أفتقرأ كتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله عز وجل يقول ﴿ إنا أنزلناهُ قرآنا عربياً ﴾ وقال ﴿بلسان عربيٍّ مبينٍ ﴾وقال جل ذكره ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومهِ ﴾ وقال عز وجلّ ﴿ العَينَ بالعينِ ﴾ ولم يقل بالجمجمة بالجمجمة وقال ﴿ جَعلوا أصابِعَهمْ فى آذانِهِمْ ﴾ ولم يقل شناترهم فى صنانيرهم وقال ﴿ السنَّ بالسنِّ ﴾ولم يقل الميزم بالميزم وقال ﴿ فأكله الذئب ﴾ ولم يقل القَلوب وقال ﴿ لا تأخذ بلحيتى ﴾ ولم يقل بزبى وأنا سائلك يا ابن مخرمة عن ثلاث خصال فان أنت أقررت بها قُهرت وان جحدتها كفرت وان أنكرت قُتلت قال وما هي قال أتعلم أن فينا نبيَّ الله المصطفى صلى الله عليه وسلم قال اللهم نعم قال أتعلم أن فينا كتاب الله تعالى قال

اللهم نعم قال أفتعلم أن فينا خليفة الله المرتضى قال اللهم نعم قال فأي شئ يعدل هذه الخصال قال أبو العباس اكفف عنه فوالله مارأيت غلبة أنكرَ منها والله ما فرغت من كلامك يا أخامضر حتى ظننت انه سيُعرج بسريرى الى السماء ثم أمر لخالد بمائة الف درهم ٠٠ وعن ابي بكر الهذلي قال اجتمعنا عند ابي العباس اهل البصرة واهل الكوفة ولم يكن من اهل البصرة غيرى وكان من اهل الكوفة الحجاج بن أرطاة والحسن بن زيد وابن ابى ليلى فتذاكروا اهل الكوفة واهل البصرة فقال ابن ابي ليلى نحن والله ياامير المؤمنين خير منهم فقلت وكيف يكون ذلك ولنا السند والهند وكرمان ومُكران والفُرَض والعرض والديار وسعة الأنهار فقال ابن أبى ليلى نحن أعلم منهم علماً وأكثر منهم فهماً يقر بذلك أهل البصرة لأهل الكوفة قلت هم أكثر أنبياء وأقل أتقياء وأعظم كبرياء منهم المغيرة الخبيث السريرة وبيان وأبو بيان ومن تنسب اليهم من الانبياء والله ما أتانا الا نبي واحد قال الحسن بن زيد أنتم أصحاب على يوم سرنا اليه لنقتله فكفّ الله أيدينا عنه وسار الى الكوفة فقتلوه فأينا أعظم ذنباً فقال الحجاج والله يا أمير المؤمنين لقد بلغني ان أهل البصرة كانوا يومئذ عشرين ألفاً وكان أهل الكوفة خمسة آلاف فلما التقت حلقتا البطان وأخذت الرجال أقرانها شدت خيلهم في صعيد واحد فقتلت وكيف يكون ذلك وخرجت ربيعة سامعة مطيعة تعين علياً وخرج الأحنف بن قيس فى سعد والرباب وهم السنام الأعظم والجمهور الاكبر يعين علياً ولكن سل هؤلاء يا أمير المؤمنين كم كانت عدتهم يا أمير المؤمنين يوم استغاثوا بنا فلما التقينا كانوا كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصفٍ فقال ابن أبى ليلى والله ياأمير المؤمنين إنا لاشرف منهم أشرافاً وأكثر منهم أسلافاً قلت معاذ الله يا أمير المؤمنين هل كان فى تميم الكوفة مثل الأحنف بن قيس في تميم البصرة الذى فيه يقول الشاعر

اذا الأبصارُ أبصرتِ ابن قَيسٍ ظللن مهابة منه خشوعَا

وهل كان فى قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم فى قيس البصرة الذى يقول فيه الشاعر

كل عامٍ يحوي قُتيبةُ نهباً ويزيدُ الأموال مالاجديدَا

دَوَّخَ الصغد بالقبائل حتى تَرَكَ الصغدَ بالعَراء قُعودَا

باهلي تعصّبَ التاجَ حتى شبنَ منه مفارق كنّ سودا

وهل كان في أزد الكوفة مثل المهلّب بن أبي صفرة في أزد البصرة الذي يقول فيه الشاعر

اذا كان المهلّب من ورائي هدا ليلي وقرّ له فُؤادي

ولم أخشَ الدّنيّة من أُناسٍ ولو صالوا بقوّةِ قوم عادِ

وهل كان في بكر الكوفة مثل مالك بن مِسمَعٍ في بكر البصرة الذي يقول فيه الشاعر

إذا ما خَشِينا من أمير ظلامةً أمرنا أبا غسّانَ يوماً فعسكرا

وهل كان في عبد قيس الكوفة مثل الحكم بن المنذر بن الجارود في عبد قيس البصرة الذي يقول فيه الشاعر

يا حكمَ بنَ المنذرِ بنِ الجارودْ أنتَ الجوادُ ابن الجوادِ المحمودْ

فضحك أبو العباس حتى ضرب برجله وقال والله ما رأيت مثل هذه الغلبة قط

محاسن الافتخار بالنبي صلى الله عليه وسلم

قيل كان علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنه عند عبد الملك بن مروان إذ فاخره عبد الملك فجعل يذكر أيام بني أمية فبينا هو كذلك اذ نادى المنادي للأذان فقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي لعبد الملك

تلكَ المكارمُ لا قعبانِ من لَبنٍ شِيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

.. فقال عبد الملك الحق في هذا أبين من أن يكابَر .. علي بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضي فقال ياعلي من أشعر الناس في زماننا قلت البحتري قال وبعده قلت ولد مروان بن أبي حفصة خادمك وعبيدك فالتفت الى الرضي وقال يا ابن عم من أشعر زماننا قال علي بن محمد العلوي قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريشٍ عصابةٌ بمطّ خدودٍ وامتدادِ الاصابعِ

فلما تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بما نهوى نِداء الصوامعِ

يعني المساجد قال المتوكل وما معنى نداء الصوامع قال أشهد أن لا اله الا الله وان محمداً

رسول الله قال وأبيك انه لأشعر الناس

محاسن ما قيل فى ذلك من الشعر

•• قال على بن محمد العلوى

عَصَيتُ الهوى وهجرتُ النساء ... وكنتُ دواءً فأصبحتُ داء
وما أنسَ لا أنسَ حتى الممات ... نَزيبَ الظباءِ تجيبُ الظباء
دَعِيني وصبرى على نائباتٍ ... فبالصبر نلتُ الثرَى والثّواء
وان يكُ دهرى لوى رأسَهُ ... فقد لقِيَ الدّهرُ منى التِوَاء
ليالي أروِى صدُورَ القَنا ... وأروِى بهنّ الصدُورَ الظماء
ونحنُ إذا كان شِرْبُ المُدَامِ ... شَربنا على الصافناتِ الدِماء
بلغنا السّماء بأنسابنا ... ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدَدٍ أننا ... بحسن البلاء كشفنا البلاء
يَطيبُ الثناء لآبائنا ... وذكرُ علىّ يَزين الثناء
اذا ذُكرَ الناسُ كنّا ملوكاً ... وكانوا عبيداً وكانوا إماء
هجانىَ قومٌ ولم أهجُهُمْ ... أبَى اللهُ لِي أن أقولَ الهِجاء

•• وقال غيره

وإني من القومِ الذين عَرفتُهم ... اذا ماتَ منهمْ سيدٌ قامَ صاحبُه
نجومُ سَماء كلما انقضّ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تأوِى اليه كواكبُه
أضاءت لهم أحسابُهُمْ ووجوهُهُمْ ... دُجَى الليلِ حتى نظّمَ الجزْعَ ثاقبُه
فلا تُوعِدّني ياشُرَيحُ فإنني ... كلَيثِ عَرِينٍ فرّ عنهُ ثعالبُه
يُمشّي بأوصالِ الرجالِ اذا سَتا ... قداحٌ من نضخِ الدّماءِ مخالبُه

•• وقال آخر

حُلماء حِينَ يقولُ قائلُهُمْ ... بيضُ الوجوهِ مقاولٌ لُسُنُ

لا يَفطُنونَ لعَيبِ جارِهِم وهمُ لحفظِ جوارِهِ فُطْنُ

.. وأحسن من ذلك كله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه اعرابيّ فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله من أكرم الناس حسباً فقال أحسنهم خُلقاً وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابي فقال ردوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت نسباً قال نعم قال يوسف الصديق صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فأين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ماكان مثلهم أبداً .. وقال الشاعر

ولم أرَ كالأسباطِ أبناءِ والدٍ ولا كأبيهم والداً حِين ينسبُ

.. ودخل عُيينة بن حصن الفزاريّ على النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب اليه ثم قال أنا ابن الاشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم أنت اذاً يوسف صدّيق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله .. وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم عليه السلام وخير العرب محمد صلى الله عليه وسلم وخير الفرس سلمان وخير الروم صُهيب وخير الحبشة بلال رحمهم الله أجمعين

مساوى الافتخار

روى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية فو الذى نفسى بيده لما يُدَحرِجُ الجُعَلُ برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية .. قيل وكان الحسن البصرى يقول ابن آدم لمَ تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار .. وقال بعضهم لرجل يتبختر ياهذا ان أولك نطفة قذرة وآخرك جيفة قَذِرَة وأنت فيما بينهما وِعاء عَذِرَةٍ فما هذه المشية .. قال وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال ما أقول فيمن ان جاع ضَرَع وان شبع طغي .. وروى عن ابن عباس انه قال يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمارات والعتاق والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين فأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة .. وقيل فى ذلك

يزين الفتى فى الناس صحة عقله وان كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى فى الناس قلة عقله وان كرمت آباؤه ومناسبه

٠٠ وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب ألا ترى ان أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحدهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب ٠٠ وقال الشاعر فى ذلك

أبوك أبى والجد لاشك واحد ولكننا عودان آس وخروع

٠٠ وبلغنا عن المدائنى انه قال ليس السؤدد بالشرف وانما ساد الأحنف بن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته فى العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلب بن أبى صفرة بجميع هذه الخصال ٠٠ قيل وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو خليفة صوتا ولفظاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فأدخله فخرج الرسول فأدخل بلالا وصهيباً وسلمان وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فى عصابة من قريش جلوساً بالباب فقال أبو سفيان يامعشر قريش أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشى وفارسى ورومي فقال سهيل ياأبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تلوموا أمير المؤمنين دعي القوم فأجابوا ودعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال أبو سفيان لاخير فى مكان يكون فيه بلال شريفاً

مساوى أصحاب الصناعات

قال المأمون وذكر أصحاب الصناعات السوقة سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس ٠٠ وقال المأمون الناس أربعة ذو سيادة أو صناعة أو تجارة أو زراعة فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم ٠٠ وذكروان أباطالب كان يعالج العطر والبز وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بزازاً وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

بزازاً وكان عبدالرحمن بن عَوف بزازاً وكان سعد بن أبي وقّاص رحمه الله يأبر النخل وكان أخوه عتبة رحمه الله نجاراً وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزاراً وكان الوليد بن المغيرة حداداً وكان عُقبة بن أبي معيط خماراً وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطاً وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأُدم وكان أمية ابن خلف يبيع البُرم وكان عبد الله بن جُدعان نخّاساً وكان العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص يعالج الخيل والابل وكان جرير بن عمرو وقيس أبو الضحاك بن قيس ومعمر ابن عثمان وسيرين أبو محمد بن سيرين كلهم حدادين وكان المسيب أبو سعيد زيانا وكان ميمون بن مِهران بزّازاً وكان مالك بن دينار ورّاقاً وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازاً وكان مجمّع الزاهد حائكا .. قيل واتخذ يزيد بن المهلب بستاناً فى داره بخراسان فلما ولى الأمر قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال له مرزبان مَرو هذا كان بستاناً وقد اتخذته لابلك فقال قُتيبة كان أبي شتُربان وكان أبو يزيد بستانبان (١) فمهما صار ذلك كذلك

محاسن النتاج

ذكروا ان جرهم من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم وان الملاك من الملائكة كان اذا عصى ربه في السماء أهبطه الى الأرض في صورة رجل فى طبيعته مافى طبيعة بني آدم كما صنع بهاروت وماروت في خبرهما مع الزهرة حتى كان من شأنهما ما كان فعصى بعض الملائكة ربنا جل ذكره فأهبطه الى الارض فى صورة رجل فتزوج أم جرهم فولدت منه جرهما فقال شاعرهم

لاهُمَّ ان جُرْهُماً عِبادُ كا ... الناسُ طِرْفٌ وهمُ تِلادُ كا

وكان ذو القرنَين أمه قيرى آدمية وكان عيرى من الملائكة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا ينادى ياذا القرنين فقال فرغتم من أسماء الأنبياء فارتقيتم الى أسماء الملائكة .. وزعموا ان التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والانس لقوله جل وعز ﴿وشارِكهم

(١) ـ شتربان ـ أي جمّالا ـ وبستانبان ـ أي صاحب بستان

فى الأموالِ والاولادِ) ولأن الجنيات انما يعرضن لصرعى رجال الانس على جهة العشق وطلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم ومن زعم ان الصرع من المِرَّة فقد رد قول الله عزّ وجل (انّ الذين يأكلونَ الربا لا يقومونَ الا كما يَقومُ الذي يتخبطهُ الشيطانُ منَ المسّ) وقال جل ذكره (وشاركهمْ فى الأموال والاولاد) وقال عزّ وتعالى (لم يطمثهُنّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ) وكان عبد الله بن هلال سبط ابليس من قِبل أمهاته ٠٠ وروى أبو زيد النحوى ان سِعلاةً أقامت فى بني تميم حتى ولدت فيهم ورأت ذات يوم برقاً من شق بلاد السعالى فحنت الى وطنها وطارت اليهم ٠٠ وقد قيل ان الواق واق من نتاج ما بين بعض النبات وبعض الحيوان ٠٠ وقد قيل ان الثعلب يسفد الهرة الوحشية فيخرج من بينهما ولد فيه مشابهةٌ منهما ٠٠ قال حسان

أبوكَ أبوكَ وأنت ابنهُ وبئس البُني وبئس الأبُ
وأُمك سَوداء نُوبيّةٌ كأنّ أناملَها الحُنظُبُ
يبيتُ أبوكَ بها مُغدِفاً كما ساورَ الهِرَّةَ الثعلبُ

٠٠ وقد يولد من بين الكلاب والثعالب هذه الكلاب السلوقية الماهرة بالصيد ٠٠ وقيل انه يخرج من بين الذئب والكلبة ولد يسمى الدَّيسم ٠٠ قال بشار :

أدَيسمُ يا ابن الذئب من نجل زارعٍ أترْوِى هجائى سادراً غيرَ مُقصِر

ـ وزارع ـ اسم كلب يعرف بزارع ٠٠ وزعموا انه يخرج من بين الذئب والضبع ولد يسمى السمع كالحية لا يعرف العلل ولا يموت الا بعرَض يعرض له وانه أشد عدواً وأسرع من الريح ٠٠ قال الشاعر

مُشبلٌ فى الحيّ أحوى رِفَلٌ فاذا يَغدُو فَسِمْعٌ أزلُّ

٠٠ ومن عجائب التركيب فوالجُ البُخت اذا ضربت فى إناث البخت لم يخرج الحُوَار الا قصير العنق لا ينال كلأً ولا ماء واذا ضربت الفوالج فى العراب جاءت هذه الجوامز والبخت الكريمة ومتى ضربت فحول العراب فى اناث البخت جاءت هذه الابل القبيحة المنظر ٠٠ وقد قيل فى الابل ان فيها عرقاً من سفاد الجنّ وان فيها إبلا وحشية هي من بقايا إبل وَبار لما أهلكهم الله جل وعز بقيت إبلهم وان الجمل منها ربما صار الى أعطان

الابل فضرب فى ناقة فتجيء منه هذه المهرية والعسجدية التي تسمى الذهبيّة .. وزعموا ان ببلاد الحبشة ذكر الضباع يعرض للناقة من الوحش فيسفدها فتلقح بولد على خلْقة الناقة والضبع فان كان أنثي يعرض لها الثور الوحشي فيضربها فيصير الولد زُرافةً ويسمى بالفارسية شترگاو بلنك أى خرج من بين الجمل والثور والضبع وقد جحد الناس أن يكون الزرافة الأُنثى تلقح من الزرافة الذكر .. وأما النعامة فانها لا تقع الا من ذكر النعام وإناثها .. ومن نتاج الطير ما رواه بعضهم انه رأى طائراً له صوتٌ حسن زعموا انه من نتاج ما بين القُمرىّ والفاختة .. وقُنّاص الطير يزعمون ان أجناساً من الطير تلتقى على المياه فتتسافد وانهم لا يزالون يرون اشكالا لم يروها قط فيقدّرون انها من تلاقيح تلك المختلفة

مساوى النتاج

فأما من يخرج من بين بني آدم فانه اذا تزوج خراسانى بهندية خرج من بينهما الذهب الإبريز غير انه يحتاج ان يحرس ولدهما اذا كان أنثي من زناء الهند واذا كان ذكراً من لواط رجال خراسان .. ومن خبث النتاج ابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال يكون أخبث نتاجاً من البغل وأفسد أعراقاً من السِنْمع وأكثر عيوباً من كل خلق وأنه يأخذ بأسوأ خصال أبيه وأردى خصال أمه فتجتمع فيه خصال الدواهي وأعيان المساوى وانه اذا خرج كذلك لم ينجع فيه أدب ولم يطمع فى علاجه طبيب وقد رأينا في دور ثقيفٍ فتى اجتمعت فيه هذه الخصال فما كان فى الارض يوم الا وهم يتحدثون عنه بشيء يصغر فى جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه .. والخِلاسىّ من الناس الذى يخرج من بين الحبشىّ والبيضاء .. والبيسرىّ من الناس الذى من بين البيض والهند ويكون من أحسن الناس وأجملهم

محاسن الوفاء

قيل فى المثل هو أوفى من فُكَيهة وهي امرأة من قيس بن ثعلبة كان من وفائها انّ السُلَيك بن السُلكة غزا بكر بن وائل فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا والله ان هذا لأثر قدم تَرِد الماء فقعدوا له فلما وافى حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فكيهة فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها ونادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوه منهم قال فكان سليك يقول كأنى أجد خشونة استها على ظهري حين أدخلتنى درعها .. وقال

لعمر أبيك والأنباء تنمي ... لَنِعمَ الجارُ أختُ بني عُوَارَا
منَ الخَفِرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفَعْ لوالدِها شَنارَا
فما ظلمتْ فُكَيهَةُ حين قامت ... لنَصْل السيف وانتزعوا الخِمارَا

.. وقيل أيضاً هو أوفى من أمّ جميل وهي من رهط أبي هريرة من دَوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى قتل أبا أُزَيهر رجلا من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضِرار بن الخطاب ليقتلوه فعدا حتي دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت فى وجوههم ونادت قومها فمنعوه لها فلما قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالأمر ظنّت انه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت عرف القصة وقال اني لست بأخيه الا فى الاسلام وهو غازٍ وقد عرفنا منتك عليه فأعطاها على انها بنت سبيل .. ويقال هو أوفى من السمَوءل بن عاديا وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حُجْر الكندى لما أراد الخروج الى قيصر ملك الروم استودع السموءل دروعاً له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموءل فأخذ الملك ابناً له ذكروا انه كان متصيداً فصاح به يا سموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمتَ ان امرأ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه فان دفعتَ الىّ الدروع والا ذبحت ابنك فقال أجّلنى فأجله فجمع أهل بيته وشاورهم فكلّ أشار عليه أن يدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف فقال ليس الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهودياً

فانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الي ورثة امرئ القيس ..
وقال فى ذلك

وفَيتُ بأدرُعِ الكندى إنّى اذا ماخانَ أقوامٌ وفَيتُ
وقالوا عندَه كنزٌ رغيبٌ فلاوأبيك أغدرُ ما مَشيتُ
بنى لي عادِيَا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقَيتُ

.. وقال الأعشى فى ذلك

كُنْ كالسموءل اذ سار الهمامُ له فى حَجفَلٍ كسوادِ الليلِ جرّار
خَيرَهُ خُطّتي خَسفٍ فقال لهُ إذبح أسيرَكَ إنى مانع جارِى

.. وقيل هو أوفى من الحارث بن عُباد وكان من وفائه انه أسر عدى بن ربيعة ولم يعرفه فقال دلني على عدي فقال ان أنا دللتك على عدىّ أتؤمننى قال نعم قال فأنا عدىّ فخلاه .. وقال فى ذلك

لهفَ نفسي على عَدِىّ وقد أسـ قَبَ للمَوْتِ واحتَوَتهُ اليَدَان

ويقال هو أوفى من عَوف بن محـلّم وكان من وفائه ان مروان القَرَظِ غزا بكر بن وائل ففضّوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لايعرفه فأتى به أمه فقالت انك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظِ فقال لها مروان وما ترجين من مروان قالت عظم فدائه قال وكم ترتجين من فدائه قالت مائة بعير قال مروان ذلك لك على أن تردني الي خُماعة بنت عوف بن محلّم قالت ومن لى بمائة من الابل فأخذ عوداً من الأرض فقال هذا لك بها فمضت به الى عوف فاستجار بخـماعة ابنته فبعث عمرو بن هند أن يأتيه به فقال قد أجارته ابنتى وليس اليه سبيل فقال عمرو قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده فى يدى فقال عوف يضع يده فى يدك على أن تكون يدى بينهما فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده فى يده ووضع عوف يده بين أيديهما فعفا عنه .. ويقال ان قُباذ أمر بقتل رجل من الطاعنين على المملكة فقُتل فوقف على رأسه رجل من جيرانه وصنائعه فقال رحمك الله ان كنت لتكرم الجار وتصبر على أذاه وتواسي أهل الحلة وتقوم بالنائبة والعجبُ كيف وجد الشيطان فيك مساغاً حتى حملك على عصيان

ملكك فخرجت من طاعته المفروضة الى معصيته وقديماً ما تمكن ممن هو أشد منك قوة وأثبت عزماً فأخذ صاحب الشرطة الرجل فحبسه وأنهى كلامه الى قباذ فوقّع يُحسن الي هذا الذى شكر احساناً تفضل به عليه وترفع مَرتبته ويزاد فى عطائه .. قيل ولما قتل كسرى النعمان بن المنذر كتب الي إياس بن قَبيصة يأمره أن يبعث اليه بولد النعمان بن المنذر وتَركتِه من المال والابل والخيل والسلاح وكان النعمان أودع ذلك هانئ بن مسعود فبعث اليه اياس يعلمه بما كتب به كسرى فأبى أن يسلم شيئاً من تركة النعمان فكتب الى اياس يعلمه بما كتب به كسرى فأبى أن يسلم شيئاً من تَركة النعمان فكتب اياس الى كسرى يعلمه ذلك فآلى على نفسه ليستأصلن بكر بن وائل فكتب الي إياس يأمره بالمسير اليهم لمحاربتهم فيمن معه من طيئ وإياد وغيرهم وكتب الى قيس بن مسعود الشيباني المعروف بذى الجدَّين وكان عاملا على سَفوان يمنع العرب من دخول أطراف السواد ويأمره أن يسير بمن معه من قومه فيعين اياساً على محاربة بكر بن وائل ثم عقد كسرى لقائد من قواده يسمي الهامَرز فى اثني عشر ألف رجل من أبطال أساورته ووجهه الى إياس لمعاونته ثم عقد أيضاً لهُرمز جرابزين وكان أعظم مرازبته فى مثل ذلك وأمره أن يقفو أثر الهامرز حتى يوافى اياس بن قبيصة فسارت الجيوش الى بكر بن وائل وكانوا بمكان يسمى ذا قار منه الى مدينة الرسول خمس مراحل مما يلى طريق البصرة فاقبلت الجيوش حتى أناخت على بكر فأحدقت بهم ثم ان عظماء بكر بن وائل اجتمعوا الى هانئ بن مسعود المزدلف وقالوا ان هذه الجيوش قد أحدقت بنا من كل ناحية فما ترى قال أرى أن تجعلوا حصونكم سيوفكم ورماحكم وتوطنوا أنفسكم على الموت فقالوا نعم والله لنفعلنَّ ثم ان قيس بن مسعود أقبل فى سواد الليل من عسكر اياس حتى أتى هانئ بن مسعود فقال يا ابن عم انه قد حلَّ بكم من الأمر ما قد ترون ففرّق خيل النعمان وسلاحه فى أشداء قومك ليقوَوا بذلك على القتال فهي مأخوذة لا محالة ان قتلوا وان سلموا أمرتهم فردوها عليك وعليك بالجد والصبر واياك ثم اياك أن تُخفر ذمتك فى تركة النعمان حتى تقتل ويقتل معك جميع قومك قال له هانئ أوصيت يا ابن عم محافظاً وصلتك رحم وأرجو أن لا ترى منا تقصيراً ولا فتوراً فانصرف قيس ذو الجدين من

عند هانئ كئيباً حزيناً باكياً خائفاً من هلاك قومه حتي أتي عسكر اياس وكان يريه انه مجامع له على حرب قومه خوفاً أن يجد عليه كسرى فيقتله فلما أصبح هانئ بن مسعود دعا بخيل النعمان وسلاحه ففرقه فى أبطال قومه وأشدائهم فركبوا تلك الخيول وكانت ستمائة فرس وستمائة درع واستلأموا تلك الدروع وكان ذلك في العام الذي هاجر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واتفقت بكر بن وائل أن تجعل شعارها باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدُ يامنصور وذلك قبل أن يُسلموا وبذلك الاسم نُصروا وقَهروا عدوهم وعمد رجل من أشراف بني عجل يقال له حنظلة بن سيار الى حزُم رحالات النساء فقطّعها كلها أراد بذلك أن يمنع قومه من الهرب ان وقعت الهزيمة فسمى بذلك مقطّع الوضين وان اياس بن قبيصة أرسل الى بكر بن وائل يخيّرُهم خصلة من ثلاث إما أن يسلموا تركة النعمان واما أن يسيروا ليلا في البراري فيعتلّ على كسرى انهم هربوا فان أبوا هاتين الخلتين خرجوا الى الحرب فتآمروا بينهم فقالوا أما أن نسلم خفارتنا فلا يكون ذلك وان نحن لحقنا بالفلاة أفضينا الى بلاد تميم فيقطعون علينا ويأخذون ما معنا ويأسروننا وليست لنا حيلة الا القتال فاختاروا القتال ووجهوا خمسمائة فارس من أبطالهم عليهم يزيد بن حارثة اليشكرى وأمروهم أن يكمُنوا للعجم ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض وتقدم الهامرز ووقف بين الصفين وناى بالفارسية مَردرا مَرد فقال يزيد بن حارثة مايقول قال يدعو الى البراز رجلا لرجل فقال وأبيكم لقد أنصف ثم خرج اليه فاختلف بينهما ضربتان فضربه يزيد ضربة بالسيف على منكبه فقدّ درعه حتى أفضى السيف الى منكبه فأبانه خرّ ميتاً فالهامرز أول قتيل بين الصفين وألقى الله عز وجل الرعب فى قلوب العجم فولوا منهزمين ولحق حنظلة بن سيار العجلىّ بهرمز جرابزين قائد العجم فطعنه طعنة خرّ منها ميتاً ودفع هانئ بن مسعود فرسه في طلب اياس بن قبيصة حتى لحقه ومعه قيس بن مسعود ذو الجدين فأراد هانئ قتل اياس فمنعه قيس وحال بينه وبين قتله واتبع العجم خمسمائة فارس من بني شيبان لا يلوون على شئ يقتلون يومهم ذلك من أدركوا منهم حتي جنهم الليل وبلغت هزيمة الأعاجم كسرى بالمدائن .. قال دَغفَل فذكر هذا الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أول يوم انتصفت

فيه العرب من العجم وبي نصروا يعني باسمه صلى الله عليه وسلم قال وسُقِط في يد كسرى واغتاظ من ذلك غيظاً شديداً ووقعت الولولة والعويل بالمدائن فندب كسرى الجنود وفرّق فيهم السلاح والمال لمعاودة حرب بكر بن وائل ثم ان بطارقة الروم خرجوا على ملكهم قيصر فقتلوه فاشتغل به عن معاودة حرب بكر بن وائل فكان هانئ بن مسعود المزدلف أحد الأوفياء .. ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر وكان من حديثه ان النعمان بن المنذر ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم سعد لم يلقه في يوم بؤسه أحد الا قتله وفي يوم سعده أحد الا حباه وأعطاه فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيئ فقال حيّ الله الملك ان لي صِبية صِغاراً لم أوص بهم أحداً فان يأذن لي الملك في اتيانهم أعطيه عهد الله اني أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده فرقّ له النعمان فقال لا الا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه وشريك بن عمرو بن شراحيل نديم النعمان معه .. فقال الطائي

يا شَرِيكُ يا ابْنَ عَمرو ... هَلْ من الموت محالَه
يا أخا كل مُضَافٍ ... يا أخا مَن لا أخا لَه
يا أخا النعمانِ فُكّ الـ ... ـيومَ عن شَيخٍ غِلالَه
ان شَيبانَ قبيلٌ ... أحسنُ الناسِ فِعاله

.. فقال شريك هو علي أصلح الله الملك فمر الطائي والنعمان يقول لشريك ان صدر هذا اليوم قد ولى ولا يرجع وشريك يقول ليس لك عليّ سبيل حتى نمسي فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك فقال ليس لك عليّ سبيل حتى يدنو الشخص فبينما هم كذلك اذ أقبل الطائي فقال النعمان والله ما رأيت أكرم منكما وما أدري أيكما أكرم لا أكون والله ألأم الثلاثة ألا اني قد رفعت يوم بؤسي وخلى سبيل الطائي .. فأنشأ يقول

ولقد دعتني للخلافِ عشيرتي ... فأبيتُ عند تجهُّم الاقوال
إني امرؤٌ مني الوفاء خليقةٌ ... وفعالُ كلّ مُهذَّبٍ بذّالِ

.. فقال النعمان ما حملك على الوفاء قال ديني وقال وما دينك قال النصرانية قال اعرضها

علىّ فعرضها عليه فتنصر النعمان .. ومنهم وزير ملك الصين وكان حديثه أن شمر ابن افريقيس بن أبرهة خرج فى خمسمائة ألف مقاتل الى أرض الصين فلما قارب بلادهم بلغ ذلك ملك الصين فجمع وزراءه فاستشارهم فقال رئيسهم أيها الملك أثرّ فىّ أثراً وخلنى ورأيى فأمر به فجدع أنفه فقام هارباً مستقبلا لشمر فوافاه على أربعة منازل بعد خروجه من مفاوز الصين فدخل عليه وقال انى أتيتك مستجيراً قال شمر ممن قال من ملك الصين لانى كنت رجلا من خاصة وزرائه وانه جمعنا لما بلغه مسيرك اليه فاستشارنا فأشار القوم جميعاً عليه بمحاربتك وخالفتهم فى رأيهم وأشرت عليه أن يعطيك الطاعة ويحمل اليك الخراج فاتهمني وقال قد مالأت ملك العرب وكان منه الىّ ما ترى ولم آمنه مع ذلك أن يقتلنى فخرجت هارباً اليك ففرح به شمر وأنزله معه فى رحله وأوعده من نفسه خيراً فلما أصبح وأراد أن يرحل قال لذلك الرجل كيف علمك بالطريق قال أنا من أعلم الناس به قال فكم بيننا وبين الماء قال مسيرة ثلاثة أيام وأنا موردك اليوم الرابع على الماء فأمر جنوده بالرحيل وناذى فيهم أن لا تحملوا من الماء الا لثلاثة أيام ثم سار فى جنوده والرجل بين يديه فلما كان فى اليوم الرابع انقطع بهم الماء واشتد الحر فقال لا ماء وانما كان ذلك مكرٌ منى لأدفعك بنفسى عن ملكى فأمر به فضربت عنقه فعطش القوم وقد كان المنجمون قالوا لشمر عند مولده انه يموت بين جبلىْ حديد فوضع درعه تحت قدميه من شدة الرمضاء ووضع ترساً من حديد على رأسه من حر الرمضاء فذكر ما كان قيل له فى ولادته وقال للقوم تفرقوا حيث أحببتم فقد أورطتكم فهلك وجميع من كان معه .. وحكي انه لما حمل رأس مروان بن محمد الجعدىّ الى أبى العباس وهو بالكوفة قعد له مجلساً عاماً وجاؤا بالرأس فوضع بين يديه فقال لمن حضره أمنكم أحد يعرف هذا الرأس فقام سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة فأكبّ عليه وتأمله طويلا ثم قال هذا رأس أبى عبد الملك خليفتنا بالأمس رحمه الله وعاد الى مجلسه فوثب أبو العباس حتى خرج من المجلس وانصرف ابن جعدة وتحدث الناس بكلامه فلامه بنوه وأهله وقالوا عرضتنا ونفسك للبوار فقال اسكتوا قبّحكم الله ألستم أشرتم علىّ بالأمس بحرّان بالتخلف عن مروان ففعلت ذلك غير فعل ذى الوفاء والشكر وما كان ليغسل عار

تلك الفعلة الا هـذه وانما أنا شيخ هامة فان نجوت يومى هذا من القتل مت غداً قال وجعل بنوه يتوقعون رسل أبي العباس ان تطرقه فى جوف الليل فأصبحوا ولم يأته أحد وغدا الشيخ فاذاهو بسليمان بن مجالد فلما أبصره قال يا ابن جعدة ألا أبشرك بحسن رأى أمير المؤمنين فيك انه ذكر في هذه الليلة ما كان منك فقال أماما أخرج هذا الكلام من الشيخ الا الوفاء ولهو أقرب بنا قرابة وأمس بنا رحماً منـه بمروان ان أحسنّا اليه قال أجل .. وذكر ان المنصور أرسـل الى شيخ من أهل الشام وكان من بطانة هشام بن عبد الملك بن مروان فسأله عن تدبير هشام فى حروبه مع الخوارج فوصف الشيخ له مادبر فقال فعل رحمه الله كذا وصنع رحمه الله كذا فقال المنصور قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوى فقام الرجل فقال وهو مولٍ ان نعمة عدوك لقلادة فى عنقى لا ينزعها الا غاسـلى فقال له المنصور ارجع يا شيخ فرجع فقال أشهد أنك نهيض حرة وغراس شريف ارجع الى حديثك فعاد الشيخ فى حديثه حتى اذ فرغ دعاله بمال فأخذه وقال والله ياأمير المؤمنين مالي اليه حاجة ولقد مات عنى من كنت فى ذكره فما أحوجنى الى وقوف على باب أحد بعده ولولا جلالة أمير المؤمنين وايثاري طاعته ما لبست نعمة أحد بعده فقال المنصور اذا شئت لله أنت فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت قد أبقيت لهـم مجداً مخلداً وعزاً باقياً .. وعن أبي دُفافة العبسيّ قال حدثت المنصور بحديث العجلان بن سهل وكان دخل على عبد العزيز بن القَعقاع فبينا هو جالس اذ دخل رجل متلطخ الثوب بالطين فقال عبد العزيز مالك قال ركب هذا الأحول يعنى هشام بن عبد الملك فنفرت ناقتي فسقطت فانتزع العجـلان سيفه فنفحه به ووثب الرجل فأخطأه السيف ووقع في وسادة فقطّعها وقال يالُكَع أعياك أن تسميه بأمير المؤمنين وباسمه الذى سماه به أبوه أو بكنيته ونظرت الى الذى يعاب به فسميته به أما والله لوددت أن السيف أخذ منك ما أخذه قال فكان المنصور يستعيدنى هـذا الخبر كثيراً ويقول كيف صنع العجلان بن سهل مع مثله يطيب الملك .. قال وأخبرنا عطاف قال بينا عبد الله بن طاهر مقبل من منزل عُبيد الله بن السَرىّ بمصر حتى اذا دنا من بابه اذا بشيخ قد قام اليـه فناوله رقعة كانت معه وقال أصلح الله الأمير نصيحة واجبة فافهمها فأخذ الرقعة ودخل

فما هو الا أن دخل وخرج الحاجب فقال أين صاحب الرقعة فقام اليه الشيخ فأخذ بيده فأدخله الى عبد الله فقال قد فهمت رقعتك هذه وما تنصحت به الينا فانصفنى في فى مناظرتك فقال الرجل ليقل الأمير ما أحب قال أخبرنى هل يجبُ شكر الناس بعضهم لبعض قال نعم قال وبم يجب قال باحسان المحسن وبفضل المنعم قال صدقت جئت الىّ وأنا على هذه الحال التي ترى خاتمى بفَرغانةَ وآخر ببَرقةَ وحكمي ونهيي وأمرى جائز فيما بين هذَين الطرفين وقد جمع لي من العمل ما لم يجمع لأحد قط من ولاة المشرق والمغرب والشرطة وما خرج من هـذه الطبقة ولست ألتفت الا الى نعمة هؤلاء القوم ومنتهم لا أستثنىء الا بظلها ولا أعرف غيرهم سادة ولا كبراء ولا أئمة ولا خلفاء فأردت أن أكفر هذه النعمة وأجحد هذا المعروف وأبايع رجلا ما امتحن للنقوى ولا أفاد علماًللهدى ولاجرت له على مِلّىّ ولا ذِمّى يدبسالفة ولا نعمة سائرة افترى على اللهجل ذكره ولوفعلت هذا الذى دعوتني اليه كنت ترضي به فى مكارم الاخلاق وشكر المنعمين قال فسكت الرجل ولم يحر جواباً وكان دعاه الى بيعة ابن طباطَبا .. وقال بعضهم انه كان دسيس المأمون برون الكبير قال وجه الىّ المأمون وقد مضى من الليل الثلث فقال لى يابرون قدأكثر علينا أصحاب الأخبار فى ان شيخاً يرِد خرابات البرامكة فيبكيهم ويندبهم وينشد أبياتاً من الشعر فاركب أنت وعلى بن محمد ودينار بن عبد الله حتى تردوا هذه الخرابات فتصيروا من وراء جدرانها فاذا رأيتم الشيخ قد ورد وبكى وأنشـد فأتونى به قال برون فركبت مع القوم حتى وردنا الخرابات واذا الخادم قد أتي ومعه زِلّيّةٌ رومية وكرسيّ جديد واذا شيخ وسيم جميل له صلعة وهامة فجلس يبكى ويقول

ولما رأيتُ السَّيفَ قد قدّ جعفرا ... ونادَى مُنادٍ للخليفـةِ في يَحيي
بكيتُ على الدنيـا وأيقنتُ أنهُ ... قُصارَى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
أَجعفرُ إن تَهلِك فرُبّ عظيمةٍ ... كشَفْتَ ونُعمَى قد وَصلتَ بها نُعمَى
فقل للذي أبدَى ليَحيي وجعفرٍ ... شَماتَتـهُ أبشر لتأتيهم العُـقبى
لئن زال غُصنُ الملك عن آل برمَكٍ ... فمازال حتي أثمرَ الغُصنُ واستعلَى
وما الدهرُ الا دولةٌ بعـد دولة ... تُبدّلُ ذا مُلك وتُعقِبُ ذا بلوى

على انها ليست تدومُ لأهلِها ولو أنها دامتْ لكنتم بها أولى
بني بَرمكٍ كنتم نجوماً مضيئةً بها يهتدى فى ظلمةِ الليل من أسرى
لِأيكمّ أبكي أللفضل ذي النّدَى أمِ الشيخِ موسَى أم لمحبوسِهِ يحيى
أمِ الملكِ المصلوبِ من بعد عزّةٍ أمَ ابكي بكاء المُعولاتَ أمِ الثّكلى
لِكلكمُ أبكى بِعَينٍ غزيرةٍ وقلب قريحٍ لا يمـوتُ ولا يَحيى

.. قال فتراءينا له ثم قبضنا عليه فجزع وفزع وقال من القوم فقال برون أنا حاجب أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما الذي تريدون قال برون فأعلمته ما أمر أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه قال ذرني أوصِ فاني لا آمنه ثم تقدم الى بعض العلافين فى فرضة الفيل فأخذ بياضاً وأوصى فيه وصية خفيفة ودفعها الى الغلام وسرنا به فلما مثل بين يدى المأمون زَبَرَه وقال من أنت وبماذا استوجب البرامكة ما تفعله في دورهم قال ياأمير المؤمنين للبرامكة عندى أيادٍ خضِرة أفتأذن لي أن أحدثك فقال سديداً قال أنا يا أمير المؤمنين المنذر بن المغيرة من أهل دمشق كنت بها من أولاد الملوك فزالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبتنى الديون واحتجت الى بَيع مَسقِط رأسى ورؤس آبائي أشاروا عليّ بالخروج الى البرامكة فخرجتُ من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبياً وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يرهن حتى دخلت بغداد ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد ودعوت بثويبات لي قد كنت أعددتها لأستميح بها الناس وتركتهم جياعاً وركبت شوارع بغـداد فاذا أنا بمسجد مُزخرف وفيه مائة شيخ قد طبقوا طيالستهم بأحسن زى وزينة وبزّة واذا خادمان على باب المسجد فطمعتُ في القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهـم وأنا أُقدم وأُؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى فانا لكذلك واذا أنا بخادم قد أقبل وقال للخادمين أزعجا القـوم فأزعجوا القوم وأنا منهم فأدخلونا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم فاذا يحيى جالساً على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدُّنا مائة رجل وواحداً وبين يدى يحيى عشرة من ولده واذا غلام أمرد حين عذّر خداه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم متنطقون فى وسط كل خادم منطقـة ألف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب ورِجل من ذهب فى كل مجمرة قطعة

من العود كهيأة الفِهر قد ضُم اليه مثله من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحي ثم قال يحي للزبرقي القاضى تكلم فقد زوجتُ ابنتى عائشة من ابن عمي هذا من بيت نار النوبهار فخطب القاضي وشهد القاضي والنفر وأقبلوا علينا بالنُّثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مِلء كُمي ونظرت واذا يحي في الدكة ما بين المشايخ ويحي وولده والغلام ونحن مائة رجل واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة خادم واثنا عشر خادماً مع كل خادم صينية فضة عليها ألف دينار شامية فوضع بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالأول حتي بقيت وحدى بين يدي يحي لا أجسرُ على الصينية فغمزني الخادم فجسرت عليها وجعلتها في كمي وأخذت الصينية وقمت وأنا أُمر طول الصحن والتفت ورائي هل يتبعنى أحد فاني لكذلك أطاول الالتفات ويحي يلحظنى فقال للخادم ائتني بالرجل فرُددت اليه فأمر فسُلِبتُ الدنانير والصينية ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال علىّ بموسى فأُتىَ به فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك اخلطه بنفسك ونعمتك فقبض علىّ موسى وأخذني الى بعض دوره فقَصَف علىّ يومي وليلتى فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال له ان الوزير أمرني بالقصف على هذا الفتى وقد علمتَ تشاغلى فى دار أمير المؤمنين فاقبض عليه وقاصِفْه فلما كان من غد تسلّمني أحمد ثم لم أزل وأيدى القوم تتداولنى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبياني فى الأموات هم أم فى الاحياء فلما كان فى اليوم العاشر دفعت في يدي الفضل فقصف علىّ فلما كان فى الحادى عشر جاءني خادم مع عشرة من الخدم فقالوا قم عافاك الله فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد تمزقت ثيابي واتّسخت وأخرج على هذه الحالة إنّا لله وانا اليه راجعون فرفع لي الستر الاول والثانى والثالث والرابع والخامس والسادس فقبل أن رفع السابع قال لي الخادم تمنّ ما شئت ورفع لى ستر عن حجرة كالشمس استقبلنى منها رائحة العود والندّ ونفحات المسك واذا أنا بصبياني يتقلبون فى الحرير والديباج وأنا قد حُمل الىّ ألف ألف درهم مبدّرة وعشرة آلاف دينار وقبالَتين بضَيعتين وتلك الصينية مع الدنانير

والبنادق فبقيت ياأمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لايعلم الناس أمن البرامكة أنا أم من بيت نار النوبَهار أم رجل غريب اصطنعونى فلما جاء القومَ البليّة ونزلت بهم من الرشيد النازلة قصدنى عمرو بن مسعدة وألزمنى من الخراج فى هاتين الضيعتين مالا يَفى دخلهما به فلما تحامل علىّ الدهر كنت أنظر الى خرابات القوم فاندبهم فقال المأمون علىّ بعمرو بن مسعدة فلما أُتى به قال له ياعمرو أتعرف الرجل قال نعم هو من بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال رُدّ عليه كل ما استأدَيته اياه في سنيه وأوغرْ ضيعتيه يكونان له ولعقبه من بعده فعلا نحيب الرجل بالبكاء يرثي البرامكة فلما طال بكاؤه قال له المأمون فمَّ بكاؤك وقد أحسنّا اليك قال ياأمير المؤمنين هذا أيضاً من صنائع البرامكة أرأيتك يا أمير المؤمنين لو لم آت خرابات القوم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبرى بأمير المؤمنين ففعل بى مافعل من أين كنتُ أصل الى ما وصلتُ اليه قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عينه واشتدّ حزنه على القوم وقال صدقت لَعمرى هذه أيضاً من صنائعهم فعليهم فابك واياهم فاشكر

مساوي قلة الوفاء والسعاية

يقال ان رجلا رفع رقعة الى عمر بن الخطاب رحمه الله يسعى فيها ببعض أصحابه فوقّع فيها تقربتَ الينا بما باعدك من الرحمن ولا ثواب لمن آثر عليه .. قيل ورفع متنصح رقعة الى عبد الملك بن مروان فوقع فيها ان كنت كاذباً عاقبناك وان كنت صادقاً مقتناك وان استقلتنا أقلناك فاستقاله الرجل .. قيل وكتب صاحب بريد همذان الى المأمون بخُراسان يعلمه أن كاتب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما فوقع المأمون انّا نرى قبول السعاية شراً من السعاية فان السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دلّ على شئ كمن قَبلَهُ وأجازه فانفِ الساعي عنك فلو كان فى سعايته صادقاً لقد كان فى صدقه

لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر على أخيه .. قال وقال المأمون لولده يابني نزّهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم فكل جانٍ يده في فيه وليس يشي اليكم الا أحد رجلين ثقة وظنين أما الثقة فقد قيل انه لا يبالغ ولا يشين بالوشاية قدره وأما الظنين فأهل أن يُتهم صدقه ويكذّب ظنه ويرد باطله وما سعى رجل برجل اليّ قط الا انحط من قدره عندى مالا يتلافاه أبداً فلا تعطوا الوشاة أمانيهم فيمن يَشون بهم فقد قال بعض الملوك لرجل سعى بآخر لو كنتَ أنت أنا ما كنت صانعاً به قال كنت أقتله فقال أما اذ لم تكن أنت أنا فانى غيرُ قاتلِه ومع ذلك فلا تدَعوا الفحص عما يلقى اليكم مما تحذرون رجوع ضررِه عليكم .. عَوانة قال قام رجل الى سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندى نصيحة قال وما نصيحتك هذه قال كان فلان عاملا ليزيد والوليد وعبد الملك فخانهم فيما تولاه واقتطع أموالا جليلة فر باستخراجها منه فقال أنت شرٌّ منه وأخونُ حيث اطلعت على أمره وأظهرته ولولا اني أنفر أصحاب النصائح لعاقبتكم ولكن اختر منى خصلة من ثلاث قال اعرضهن يا أمير المؤمنين قال ان شئت فتشت عما ذكرت فان كنت صادقاً مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان شئت أقلناك قال بل تقيلنى يا أمير المؤمنين قال قد فعلت فلا تعودنّ بعدها الى أن تظهر من ذى مروءة ما كتمه الله وستره

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء صن شكرَك عمن لا يستحقه .. واستر ماء وجهك بالقناعة .. وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة عند سلطانه فليكفه ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالّته ومكرَه .. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره فى معروف

لقد ثبتتْ فى القلبِ منك محبةٌ كما ثبتَتْ فى الراحتينِ الأصابعُ

.. قال واصطنع رجل رجلا فسأله يوماً أتحبني يافلان قال نعم أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك ولو كان تحتك لأقلك .. وقال كسرى أنو شروان المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل الى الشكر واختصر حبيب بن أوس من هذا شيئاً فى مصراع واحد .. فقال

* لهانَ علَينا أن نقولَ وتفعلاَ *

.. وقال بشار

أثْنِي عليكَ ولي حالٌ تُكَذِّبُنى ... فيما أقولُ وأستحيي من الناسِ
قدقُلْتُ إنّ أبا حفصٍ لأكرمُ مَنْ ... يمشي فخاصمني فى ذاك إفلاسى

ولابي الهول فى مثله

فإنى اذ مدحتُكَ يا ابنَ معنٍ ... رآني الناسُ فى رمضانَ أزنى
فان أكُ أبْتُ عنكَ بغير شيءٍ ... فلا تفرحْ كذلكَ كانَ ظنّي

ولآخر فى مثله

لحى اللهُ قَوْماً أحجبتهم مدائحي ... فقالوا خُفاتاً فى ملامٍ وفى عَتبِ
أبا حازمٍ تمدحْ فقلت مُعَذِّراً ... هبونى امرءاً جرّبت سيفى على كلب

ولبعض المحدثين

عثمانُ يعلمُ أن الحمدَ ذُو ثمنٍ ... لكنهُ يشتهي حمداً بمجّانِ
والناسُ أكيسُ من أن يحمدوا أحداً ... حتي يرَوْا قبلَهُ آثار احسانِ

.. وقال آخر

فلو كان يستغني عن الشكر سيّدٌ ... لعِزّةِ مُلْكٍ أو عُلُوِّ مكانِ
لما أمر الله العبادَ بشكرِه ... فقال اشكروني أيُّها الثقلانِ

الباهلي عن أبي فَرْوَة قال أخبرني الحلبي قال مكتوب في التوراة اشكرْ لمن أنعم عليك وانعمْ على من شكرك فانه لازوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة فى النعم وأمان من الغير .. قيل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس يعاجل صاحبهنّ بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لايشكر ..

وفى حديث مرفوع دعاء المنعِم على المنعَم عليه مستجاب .. وقيل أنشد عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه الحُطيئةُ هذا البيت وعنده كعب الأحبار

من يفعل الخير لا يَعدم جوازيَهُ لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

فقال كعب يا أمير المؤمنين هذا البيت الذى قال مكتوب فى التوراة قال عمر وكيف ذاك قال في التوراة مكتوب من يصنع المعروف لا يضيع عندى لا يذهب العرف بينى وبين عبدى .. قيل ودخل أبو مسلم صاحب الدولة على أبي العباس وأبو جعفر المنصور عنده فقال أبو العباس لأبي مسلم ياعبد الرحمن هذا أبو جعفر عبد الله بن محمد مولاك قال قد رأيت مجلسه يا أمير المؤمنين ولكن هذا مجلس لا يُقضي فيه حق غيرك ـ فصل لكاتبه فى مثله ـ ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الاّ بالشكر الذي جعله الله جل وعز للنعم حارساً وللحق مؤدياً وللمزيد سبباً .. وقيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم أليس قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً .. وفى الحديث ان رجلا قال في الصلاة خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم ربنا لك الحمد حمداً زاكياً طيباً مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يارسول الله فقال لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أوّلا .. وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر ولابن المقفّع

منلتُ علي قَوْمي فأبدوا عداوةً فقلتُ لهمْ كُفْوُ العداوةِ والشكر

.. وقال آخر

ألا فى سبيل الله وُدٌّ بذلتُـهُ لمن لم يكن عندى لمعشارِهِ أهلا

ولكن اذا فكرتُ فيه وجدتُني بحُسنِي اليـه قد أفَدتُ به عقلا

وقال أمير المؤمنين علي بن أبى طالب لاتدع المعروف لكفر من كفره فانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين .. وقد قيل فى ذلك

يدُ المعروف غنمٌ حيثُ كانَتْ تحمَّلها شكورٌ أمْ كفورُ

فعند الشاكرين لها جزاءٌ وعند الله ما كَفرَ الكفورُ

قال بعضهم ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر ذلك الاّ لم يحاسبه علي تلك النعمة

٠٠وقال بعض الحكماء عند التراخي عن شكر المنعم تحل عظائم النقم ٠٠قيل وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة رضى الله عنها ما فعل بيتك أو بيت اليهودىّ فتقول

يجزيك أو يُثني عليك وان مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ كمنْ جزى

فيقول عليه وعلي آله السلام قد صدق ياعائشة ان الله جل وعز اذا أجرى لرجل علي يدى رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر ٠٠قيل وقيل لذي الرُّمّة لِمَ خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك فقال لانه وطّأ مضجعي وأكرم مجلسي فحُقَّ لكثير معروفه عندى ان يستولي على شكرى ٠٠ ومنهم من يقدم ترك مطالبة الشكر وينسبه الي مكارم الأخلاق ٠٠من ذلك ماقاله بُزُرْجمهر من انتظر بمعروفه شكراً فقد استدعي عاجل المكافأة ٠٠ وقال بعض الحكماء كما أن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر ٠٠ وقال علي بن عُبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستقلال الكثير من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه

مساوى الشكر

قال بعض الحكماء المعروف الي الكرام يعقب خيراً والمعروف الى اللئام يعقب شراً ومثَلُ ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلوا وتشرب منه الأفاعى فتعقب سُمّاً ٠٠ وقال سفيان وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام ٠٠ قيل وأثار جماعةٌ من الاعراب ضبُعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا اخرجها فقال ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وكانت هَزِيلا فأحضر لها لقاحاً فجعل يسقيها حتي عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته فقال شاعرهم فى ذلك

ومن يَصنعِ المعروفَ فى غيرِ أهلهِ يلاقي الذي لاقى مُجيرُ أمّ عامرِ
أعدَّ لها لما استجارت بقربهِ غِذاءً من البانِ اللقاحِ الغزائرِ

وأسمنها حتى اذا ما تمـلّأت فرّتهُ بأنيابٍ لها وأظافر
فقلْ لِذوى المعروف هذا جزاءُ مَنْ يجودُ بمعروف الى غير شاكرِ

•• قيل وأصاب اعرابيٌّ جرْو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاةً فلم يزل يمتصّ من لبنها حتى سمن وكبر ثم شدّ على الشاة فقتلها فقال الاعرابيّ

غذّتكَ شُوَيهتى ونشأتَ عندي فما أدراك ان أباكَ ذِيبُ
فجعتَ نُسَيّةً وصِغارَ قومٍ بِشاتِهمُ وأنتَ لهم رَبيبُ
إذا غَلَبتْ طِباعُ الشرّ فيه فليس لغيرها فيه نَصيبُ

•• ويروى * نشأت مع السخال وأنت جرو * ويضرب المثل بسنمّار وكان بَنى للنعمان بن المنذر الخَوَرنق فأعجبه فكره أن يبني لغيره مثله فأمر به فرمي من أعلاه حتى مات فقيل فيه

جزتنا بنو سعدٍ بحُسن بلائنا جزاءَ سِنمّارٍ ولم يكُ ذاذنبِ

ويروى وما كان ذاذنب •• وفى المثل سمن كلبك يأكُلك وقال بعضهم

وإنى وقَيساً كالمسمّن كلبَهُ نخدّشهُ أنيابُهُ وأظافرُهُ

محاسن الدهاء والحيل

ذكروا انه لم يكن فى ملوك العجم أدهى من كسرى أنوشروان وان الخزر كانت تغير فى سلطان فارس حتى تبلغ همذان والمَوْصل فلما ملك أنو شروان كتب الى ملكهم فخطب ابنته على أن يزوجه أيضاً ابنته ويتوادعا ويتفرّغا الى سائر أعدائهما فأجابه الى ذلك وعمد أنو شروان الى جارية من جواريه نفيسة فزفّها الى صاحب الخزر وأهدى معها ما يشبه أن يهدى مع بنات الملوك وزف صاحب الخزر الى أنو شروان ابنته فلما وصلت اليه قال لوزرائه إكتبوا الى صاحب الخزر لو التقينا وأكدنا المودة بيننا فأجابه إلى ذلك ووعده موضع الدرب فالتقيا فكانا يخلوان فى لذاتهما ثم ان أنو شروان أمر قائداً من قواده أن يختار ثلاثمائة رجـل من أشدّ أصحابه فاذا هدأت العيونُ أغار فى

ناحيـة من عسكر الخزر ففعل ذلك فلما أصبح بعث اليه صاحب الخزر ما هذا ينهب عسكري البارحة فأنكر ذلك وقال لم تؤت من قِبَلي فأمهله أياماً ثم عاد الى مثلها ففعل ذلك ثلاث مرات فى كل ذلك يعتذر اليه أنو شروان ويسأله البحث فيبحث فلا يقف على شئ فلما طال ذلك دعا صاحب الخزر بقائد من قوّاده وأمره بمثل ذلك فلما أصبح بعث اليه أنو شروان ما هذا أتستبيح عسكرى البارحة فأرسل اليه ما أسرع ماضجرت قد فُعل هذا بعسكرى ثلاث مرات وانما فُعل بك مرة واحدة فبعث اليه أنو شروان ان هذا عمل قوم يريدون أن يُفسـدوا بيننا وعندى رأىٌ ان قبلته فقال وما هو قال تدعنى أبني حائطاً بينى وبينك وأجعل عليه باباً فلا يدخل عليك الا من تحب ولا يدخل علىّ الا من أُحبّ فأجابه الى ذلك وتحمل ومضى وأقام أنو شروان فأمر فبنى بالصخر والرصاص حائط عرضُه ثلاثمائة ذراع حتى ألحقـه برؤس الجبال وجعل عليه أبواب حديد فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج الى خمسة آلاف رجل فلما فرغ من السدّ وقُيدَ الفَندُ في البحر وأحكم الأمر سرّ سروراً شديداً فأمر أن ينصب على الفند سريره ويفرش له عليـه ثم قام فرقى اليه وأغفى عليه فطلع طالع من البحر سد الافق بطوله وأهوى نحو الفند فثار الاساورة الى قسيّهم فانتبه الملك فقال ما شأنكم امسكوا لم يكن الله جل وعز ليلهمنى الشخوص عن وطنى اثنتى عشرة سنةً فأسُدّ ثغراً يكون عزاً لرعيتنا وردءً ومرتقى لعباده ثم يسلط عليه دابة من دواب البحر فتنحى الاساورة وأقبل الطالع نحو الفند فذكر الموبذ ان الله جل وعز أنطق ذلك الحيوانَ فقال أيها الملك أنا ساكن من سكان هذا البحر وقد رأيت هذا الفند مشدوداً سبع مرات وخراباً سبع مرات وأوحى الله جل وعز الينا معشرَ سكان هذا البحر ان ملكا عصره عصرك وصورته صورتك يبعثه الله جل وعز يسد هذا الثغر الى الأبد وأنت ذلك الملك فأحسن الله على البر معونتك ثم غاب عن بصره كانما غاب فى البحر أو طار فى الجو وسأل أنو شروان عند فراغه من ذلك السد عن ذلك البحر فقيل هو ثلاثمائة فرسخ في مثلها وبينه وبين بيضاء الخزَر مسيرة أربعة أشهر على هذا الساحل ومن بيضاء الخزر الى الفند الذى بناه أسفَنديار مسيرة شهرين فقال أنو شروان لا بدّ من الوقوف عليه والنظر اليه قالوا أيها

الملك انه طريق لا يُطمع فى سلوكه لموضع فيه يقال له دهان شير يريد فَم الاسد وفيه دُرْدُور لا تكاد تسلم فيه سفينة قال أنو شروان لا بدّ من ركوب هذا البحر والنظر الى هذا السد فقالوا أيها الملك اتق الله فى نفسك وفيمن معك فقال أتوكل على الله الذي خلق هذا البحر وهو جل وعز ينجينا من دُرْدُوره ولا أحسب انى أمسح ايران شهر شرقَه وغربَه وأعرف عدد جباله وأوديته الا بعد ركوب هذا البحر وسلوكه الى البرّ فهُيئت له السفن وركب معه عدة من النساك حتى لججوا فى البحر ووافوا ذلك الذى يعرف بدهان شير فدفعوا الى دردور هائل فبقوا فيه متحيرين لا يرون مناراً يجعلونه علماً لهم ولا جبلا يقيمونه امارة لمنصرفهم فرجعوا على الملك باللوم والعيب فقال أخلصوا نِيّاتِكم لله جل وعز وتضرعوا اليــه ففعلوا ونذر أنو شروان ان نجاه الله جل ذكره ليصدّقنّ بخراج سبع سنين قال فرفعت له جزيرة تعلوها الامواج وفوق الجزيرة أسد فى عظم جبل يتشرب الماء مؤخره ويخط من فيه الى ذلك الدردور فبينا هم كذلك اذ بعث الله جل جلاله سمكة عظيمة فطفرت حتى صارت فى فم الأسد فسكن الدردور ونفذت السفينة حتى وصل الى ماأراد ثم انصرف الى دار مملكته .. حماد قال حدثني أبى قال قال الأعشى فى مدحه إياس بن قبيصة وذكره مسيره الى الروم حيث لقيه كسرى أبَرْويز بساتِيدَما وهو جبل يزعم أهل العلم انه دون الجبال وانه لا بد من أن يراق عليه دمٌ كل يوم قال الواقدىّ بل هو محيط بالدنيا وزعموا انه ليس في الأرض يوم الا ويسفك عليه دم وانما سمى ساتيدما معناه سيأتى دما فكان من خبر اياس بن قبيصة ان كسري أبرويز كان رجلا سيئ الظن وانه بعث شهربراز الى الروم فى جيش عظيم فأُعطي من الظفر ما لم يُعط أحد كان قبله وهو الذى أصاب خزائن الملك التى كانت تسمى كنج باد آورد أى الكنز الذى جاءت به الريح وكانوا حملوها ليحرزوها فضربتها الريح في الجزر من خليج البحر فأخذها وبعث بها الي كسرى فحسده كسرى وحذره وبعث اليه برجل تقدم اليه فى قتــله وكان الذى أتاه رجل من أهل أذربيجان فلما رأى جماله وهيبته قال لا يصلح قتل هذا فى غير جرم ولا حق فأخبره بما أمره به فأرسل شهربراز الى قيصر اني أريد أن ألقاك فالتقيا فقال ان هذا الخبيث قد أراد قتلي وانى والله لأريدن منه مثل

الذى أراد منى فاجعل لي ماأطمئن اليه وأعطيك مثل ذلك ولئن قتلته لتجعلنّ لي ماأغلب عليه من الكوَر وأجعل لك أن لاأغزوك أبداً ولا أتناول شيئاً من أرضك وأن أُعطيك من بيوت أموال كسرى مثل ماتنفق فى مسيرك هذا فأعطاه قيصر ما سأل وسار قيصر فى أربعين ألف مقاتل وخلّف شهربراز فى أرض الروم وقد أخذ منه العهود والمواثيق ولم يعلم كسرى بذلك حتى دنا منه قيصر فلما بلغه ذلك علم ان شهربراز علم بما كان دبّره من قتله وكانت جنوده قد تفرّقت فى السواد وغيرها وكان كسرى قد أبغضه أهل مملكته وملّوه وعُرف حاله عند الناس فاحتال بجيل الرجال واستعمل المكر والدهاء فبعث الى قَس عظيم من النصارى يثق ملك الروم بقوله فقال انى أكتب معك كتاباً لطيفاً في حرير وأجعله فى قناة الى شهربراز وجائزتك علىّ ألف دينار وقد عرف كسرى ان القسّ يذهب بالكتاب الى ملك الروم فكتب الى شهربراز انى كتبت اليك وقد دنا قيصر مني وقد أحسن الله جل وعز الىّ بصنيعك ونفوذ تدبيرك وقد فرّقت لهم الجيوش وأنا تاركه حتى يدنو منى وأثِب عليه وثبة استأصل شأفته بها واذا كان ذلك اليوم وهو يوم كذا وكذا فأغِرْ أنت على من قِبلك منهم فانك تبيدهم وتهلكهم وأرجو أن تكون لملك قيصر مصطلماً فخرج القس بالكتاب حتى لقى قيصر وقد كانت صُوِّرت لقيصر أرض العرب والعراق وصُوِّرت له النهروان بغير حين المَدّ فلما انتهى اليه فى المد وليس عليه جسر وقرأ الكتاب من يد القس قال هذا هو الحق ورجع منهزماً مفلولا واتبعه كسرى بإياس بن قبيصة الطائي فأدركهم بساتيدَما مرعوبين مفلولين من غير لقاء ولا قتال فقتلوا قتل الكلاب ونجا قيصر فى خواص من أصحابه فمدح الأعشى اياس بن قبيصة وكان قد أصابه مرض فقال

ماتعيفُ اليومَ في الطَّيرِ الرَّوَحْ ... من غُرابِ البينِ أو تيسٍ بَرَحْ

جالِساً فى نَفَرٍ قد أنِسوا ... فى مَقيلِ القدِّ من صَحنٍ قَرَحْ

قال ابن الاعرابي وسأله حمّاد عن قوله ـ ما تعيف اليوم فى الطير الروح ـ فقال تطيّر الأعشى من مرض إياس الى الزجر والفأل فقال لنفسه ما تعيف منه أى ما تكره منه وهو آخر أمره الى السلامة فرجع قيصر وقد اتّهم شهربراز فلم يزل به حتى أمكنته

الفُرصَةُ منه فقتله وعامّة رجاله وأفناهم .. قيل ولما تشاغل عبد الملك بن مروان بمقاتلة مُصعَب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم وقالوا له قد أمكنتك الفرصة من العرب فقد تشاغل بعضهم ببعض ووقع بأسهم بينهم فالرأي أن تغزوهم فى بلادهم فانك تذلّهم وتنال حاجتك منهم فنهاهم عن ذلك فأبوا عليه إلاّ أن يفعل فلما رأى ذلك دعا بكلبين فأرّش بينهما فاقتتلا قتالا شديداً ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه فقال ملك الروم هكذا العرب تقتتل بينها فاذا رأونا وهم مجتمعون تركوا ذلك وأقبلوا علينا فعرفوا صدقه ورجعوا عما كانوا عليه .. وعن بكار بن ماهويه قال قال كسرى ابرويز لمنجّمه كيف يكون أجلي فقال له تُقتَل فقال والله لأقتلنّ قاتلي فأمر بسمّ فخلط في أدوية وكتب عليه هذا دواء الجماع من أخذ منه وَزْنَ كذا جامع كذا مرّةً وصيّره في خزانة الطب فلما قتله ابنه شيرويه فتّش خزانة أبيه فمر بذلك السم فقال فى نفسه بهذا كان يقوى أبي على الجماع وعلى شيرين وغيرها فأخذ منه فمات من ساعته .. وعن الهيثم عن ابن عيّاش قال كان الحجاج حسوداً لاتتم له صنيعة حتى يفسدها فوجّه عُمارة بن تميم اللخميّ الى عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث فظفر به وصنع به ماصنع ورجع الى الحجاج بالفتح فلم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقاً فجعل يترفّق به ويُداريه ويقول أنت أيها الأمير أشرف العرب فمن شرّفته شرُف ومن وضعته اتّضع وما ينكر لك ذلك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله إلاّ بصنع الله عز وجل وتدبيرك وليس أحد أشكر لصنيعك منّي ومَنْ ابن الأشعث وما خطره حتى عزم الحجاج على المُضِيّ الى عبد الملك فأخرج عُمارة معه فوفد عليه وعمارة يومئذٍ على أهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سَل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي فقال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعَفافه ومكيدته هو أيمن الناس نقيبةً وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق غايةً في الثناء عليه فقال عُمارة أرضيت يا أمير المؤمنين قال نعم فرضي الله عنك حتى قالها ثلاثا في كلها يقول قد

رضيت فقال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيّئ التدبير الذى قد أفسد عليك أهـل العراق وألّب عليك الناس وما أُتيت إلاّ من قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة ولك والله أمثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة يا أمير المؤمنين كل امرأة له طالق وكل مملوك له حُرٌّ ان سار تحت راية الحجاج أبداً فقال عبد الملك ما عندنا أوسع لك فلما انصرف عمارة الى منزله بعث اليه الحجاج وقال أنا أعلم انه ماخرج هـذا عنك إلاّ معتبة ولك عندى الغنى ولك ولك فأرسل اليه ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليك بعد الذى كان من طعني وقولي عند أمير المؤمنين لا ولا كرامة لك .. وعن الهيثم بن الحسن ابن عمارة قال قدم شيخ من خُزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبزَى الخزاعي فلما رأي ما تصنع شـيعة المختار به من الإعظام له جعل يقول يا عباد الله أبالمختار يُصنع هذا والله لقد رأيته يبيعُ الإماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به فقال ما هـذا الذى يبلغنى عنك قال الباطل فأمر بضرب عنقه فقال لا والله لا تقدر على ذلك قال ولِمَ قال أما دون ان أنظر اليك وقد فتحت مدينة دمشق ونقضتها حجراً حجراً وقتلت المُقاتِلة وسبيت الذُرِّيّة ثم تصلبنى على شجرة على نهر والله إني لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر قال فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهـم أما إنّ الرجـل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال يا أخا خُزاعة أومزاح عند القتال فقال أنشدك الله ان أقتَل ضـياعاً قال وما تطلب ههنا قال أربعـة آلاف درهم أقضي بها دَيْنى قال ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج .. وعنه قال كان سُراقة البارقيّ من ظرفاء أهل المدينة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتى به المختار وقال أسرت هذا فقال كذبت والله ما أسرنى هذا انما أسرنى رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق فقال المختار أما انّ الرجل قد عاين يعني الملائكة خلوا سبيله فلما أفلت أنشأ يقول

ألا أبلغ أبا اسـحاقَ انى ... رأيتُ الدهرَ بُلْقاً مُصمَتاتِ
أُرِى عَينَىَّ ما لم تَرْأياهُ ... كِلانا مُولَعٌ بالتُّرَّهاتِ
كَفَرْتُ بدِينِكُمْ وجعلتُ نَذراً ... علىَّ قتالكُمْ حتى الممات

وعنه قال خرج الأخوص بن جعفر المخزومي يتغدّى فى دير اللُّجّ وذلك فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقىّ فلما كانا على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما أطمار قال حمزة لسراقة أين يذهب بنا هذا فى هذا البرد ونحن فى أطمارنا قال سراقة أنا أكفيكه فبينا هو يسير إذ لقيهم راكب مقبل فحرّك سراقة دابّته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأخوص فقال ماخبّرك به الراكب قال زعم ان خوارج خرجت بالقُطقُطانة قال بعيد قال ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخاً وأكثر وكان الأخوص أحد الجُبناء فثنى رأس دابته وقال ردّوا طعامنا نتغدى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لأصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القَسْرىّ فقال قد خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجّه خيلا تركض نحو دير اللُّجّ لتعرف الخبر فانصرفوا وأعلموه انه لا أصل للخبر فقال للأخوص من أعلمك هذا قال سراقة قال وأين هو قال فى منزلي فأرسل اليه من أتاه به فقال أنت أخبرته عن الخارجة قال مافعلت أصلح الله الأمير فقال له الأخوص أوتكذّبني بين يدى الأمير قال خالد ويحك اصدقني قال نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن فى اطمارنا هذه فأحببت ان أردّه فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به وكان سراقة ظريفاً شاعراً وهو الذى يقول

قالوا سُراقةُ عِنّينٌ فقلتُ لهمْ ... أللهُ يعلم أنّى غيرُ عِنّينِ
فان ظننتمْ بىَ الشيءَ الذى زعموا ... فقرّبونى من بيتِ ابن يامِينِ

وذكروا ان شبيب بن يزيد الخارجي مر بغلام مستنقع فى ماء الفرات فقال له ياغلام اخرجْ الىَّ أسائلك فعرفه الغلام فقال إنّي أخاف أفآمن أنا ان خرجت حتى ألبس ثيابى قال نعم فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه ألاّ يصيبه أحد من أصحابه بمكروه .. قال وكان رجل من الخوارج قال في قصيدة له

ومِنّا يزيدُ والبَطينُ وقَعنَبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنينَ شَبيبُ

فسار البيتُ حتى سمعه عبد الملك بن مروان فأمر بطلب قائله فأُتي به فلما وقف

بين يديه قال أنت القائل ومنّا أميرُ المؤمنين شبيب قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين قال فكيف قلت قال قلت ومنّا أميرَ المؤمنين شبيب فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلّص بحيلته وفِطنته لإزالة الإعراب عن الرفع الى النصب .. وزعموا ان عمرو بن معدى كرب الزُبيدى هجم فى بعض غاراته على شابّة جميلة منفردة فأخذها فلما أمعن بها بكت فقال ما يُبكيك قال أبكي لفراق بنات عمي كلهن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهنّ فانقطعنا عن الحي قال وأين هنّ قالت خلف ذلك الجبل وددتُ إذ أخذتني أخذتهنّ فأخذ الى الموضع الذي وصفته فما شعر بشئ حتي هجم على فارس شاكٍ فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروباً من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدّم فاستنقذ الجارية .. وعن عطاء ان مخارق بن عفّان ومَعْن بن زائدة لقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يروا مثلها شباباً وجمالا فصاحا به ليخلّى عنها ومعه قوسٌ فرمي بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وَتَره وسلّم الجارية وأسند فى جبل كان قريباً منه فابتدرا الجارية وفى أذنها قُرْط فيه درة فانتزعه بعضهما من أذنها فقالت وما قدر هذا لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعده فنسيه من الدَّهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخرجه وعقده في قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاء وخليا عن الجارية .. قيل واستودع رجل رجلا مالا ثم طالبه به فجحده فخاصمه الى اياس ابن معاوية القاضي وقال دفعت اليه مالا في مكان كذا وكذا قال فأي شئ كان فى ذلك الموضع قال شجرة قال فانطلق الى ذلك الموضع وانظر الى تلك الشجرة فلعل الله أن يوضح لك هناك ماتبين به حقك أو لعلك دفنت مالك عند الشجرة فنسيت فتذكر اذا رأيت الشجرة فمضي وقال اياس للمطلوب منه اجلس حتى يرجع صاحبك فجلس واياسٌ يقضي وينظر اليه بين كل ساعة ثم قال ترى صاحبك بلغ موضع الشجرة قال لا فقال يا عدو الله أنت الخائن .. قال أقلنى أقالك الله فأمر بحفظه حتى جاء خصمه فقال له خذه بحقك فقد أقر .. قال واستودع رجل رجلا كيساً فيه دنانير فغاب وطالت غيبته فشقّ المستودعُ الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وخيّطه

والخاتم على حاله فجاء الرجل بعد ستة عشرة سنة فقال مالى وطالب به فأعطاه الكيس بخاتمه فنظر اليه واذا ماله دراهم فأحضره مجلس اياس فقال اياس للطالب ماذا تقول قال أعطيته كيساً فيه دنانير فقال منذ كم قال منذ ستة عشرة سنة قال فُضّا الخاتم ففضاه فقال أنثرا ما فيه فاذا هي دراهم بعضها من ضرب عشر سنين وأكثر وأقل فأقرّ بالدنانير وألزمه اياها حتى خرج منها .. قال وأودع رجل رجلا من أمناء اياس مالا وحج فلما رجع طالبه فجحده فأتى اياساً فأخبره فقال أيعلم انك أخبرت غيرى بذلك قال لا قال فهل علم انك أعلمتنى قال لا قال أفنازعته بحضرة أحد قال لا قال فانصرف واكتم أمرك ثم غد الىّ ودعا اياس أمينه ذلك فقال قد حضر مال كثير وقد رأيت أن أودعك اياه وأصيّره عندك فارتد له موضعاً وأتني بمن يحمله معك فمضى الأمين وعاد الرجل الى اياس فقال له انطلق الي صاحبك فطالبه بمالك فان أعطاك والافقل انك تعلمنى فأتاه فقال له اعطنى مالى والا أتيت القاضي فأعلمته فدفع اليه ماله وصار الى اياس فقال قد رد مالى علىّ وجاء الأمين الى اياس لموعده فانتهره وقال اخرج عني يا خائن .. وأراد معاوية أن يوجه ابنه يزيد الى غزو الصائفة وكره يزيد ذلك وأنشأ يقول

تجنّى لا تزال تعُدّ ذنباً ... لتقطعَ وصلَ حبلك عن حبالي
فيوشِكُ أن يُريحَكَ من أذاتى ... نُزولي فى المهالِكِ وارتحالي

وخرج وخرج الناس معه وفيمن خرج أبو أيوب الانصارى فلما قرب من قسطنطينية اشتكى أبو أيوب فأتاه يزيد عائداً فقال له ما حاجتك قال اما دنياكم فلا حاجة لى فيها ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدفن بجنب قسطنطينية رجل صالح وقد رجوت أن أكونه فقدِمنى ما قدرت عليه فمات فلما فرغ من جهازه ووضع على سريره قدّم الكتائب بين يديه فنظر قيصر ورأى أمراً عجيباً وشيئاً يحمل والناس بالسلاح تحته فأرسل اليه ماهذا الذى نرى قال يزيد هذا صاحب نبينا صلى الله عليه وسلم أوصى أن ندفنه الى جنب مدينتكم ونحن ننفذ وصيته أو نموت دونه فأرسل اليه العجب من الناس وما يذكرونه من دهاء أبيك وهو يبعثك فى هذا البعث تدفن صاحب نبيك بجنب مدينتي فاذا وليتَ عنه نبشتُه فطرحتُه للكلاب فأرسل اليه يزيد انى ما أردت أن أُجنّه

حتى أودع مسامعك كلامي وكفرت بالذى أكرمتُ له هذا الميت لئن تعرضت له لاتركت في أرض العرب نصرانياً الا سفكت دمه واستصفيت ماله وسبيت حُرمه فأرسل اليه قيصر كان أبوك أعرف بك منى واني أحلف بحق المسيح عليه السلام أن لا يحرسه سنةً أحدغيرى .. وعن بعض مشايخ المدينة قال كانت عند عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضوان الله عليهما جارية مغنية يقال لها عُمارة فلما وفد عبد الله على معاوية خرج بها معه فزاره يزيد ذات يوم وأقام عنده فأخرجها اليه فلما نظر اليها وسمع غناءها وقعت فى نفسه فأخذه عليها ما لم يملك نفسه وجعل يمنعه من أن يبوح به مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها فلم يزل يُكاتمه الى أن مات معاوية وأفضى اليه الأمر وتقلد الخلافة يزيد فاستشار بعض من يثـق به فى أمرها فقال ان أمر عبد الله لا يُرام وأنت لا تستجيز اكراهه ولا يبيعها بشيء أبداً وليس يغنى في هذا الأمر الا الحيلة قال اطلب لي رجلاً عاقلا من أهل العراق ظريفاً أديباً له معرفة ودراية فطلبوه فأتوه به فلما دخل عليه استنطقه فرأى بياناً وحلاوة وفقهاً فقال له انى دعوتك لأمر ان ظفرت به فهو حظوتك آخر الدهر ويدٌ أكافيك عليها ثم أخبره بأمره فقال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن جعفر ما يرام ما قِبَلَهُ الا بالخديعة وإن يقدر على ما سألت رجل فأرجو أن أكونَه والقوة بالله فأعِنّى يا أمير المؤمنـين بالمال قال خذ ما أحببت فأخذ واشترى من طُرَفِ الشام وثياب مصر ومتاعها للتجارة ومن الرقيق والدواب وغير ذلك حاجته وشخص الى المدينة فأناخ بعَرْصَة عبد الله بن جعفر واكترى منزلا الى جانبه ثم توسل اليه وقال أنا رجل من أهل العراق وقدمت بتجارة فأحببتُ أن أكون في جوارك وكنفك الى أن أبيع ماجئت به فبعث عبـد الله الى قهارِمته وقال اكرموا جارنا وأوسعوا عليه المنزل فلما اطمأنّ العراقيّ وسلم عليه أياما وعرّفه نفسه هيأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق والطافا وبعث بها اليه وكتب رقعة يقول فيها ياسيدى أنا رجل تاجر ونعمة الله عليّ سابغة وعندى احتمال وقد بعثت اليك بشيء من اللطف وهو كذا ومن الثياب والعطر وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطية الظهر فاتخذها لرحلك وأنا أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبلت هديتي ولم توحشنى بردها فاني أدين الله عز وجل بحبك وحب أهلك

بيتك وان أفضل ما في سفرى هذا أن أستفيد الأنس بك وأتشرف بمواصلتك فأمر عبد الله بقبض هديته وخرج الى الصلاة فلما رجع مرّ بالعراقيّ فى منزله فقام اليه وقبل يده وسلم عليه واستكثر منه فرأى أدباً وظُرْفاً وحلاوة وفصاحة فأعجب به وسرّ بنزوله عليه فجعل العراقيّ يبعث كل يوم بلطف الى عبد الله وبطُرَف فقال عبد الله جزى الله ضيفنا هذا خيراً فقد ملأنا شكراً وأعيانا عن مجازاته فانهما لكذلك اذ دعاه عبد الله ودعا بعمارة وجواريه فلما تغنيا وطاب لهما وسمع غناء عمارة تعجّب وجعل يزيد في عجبه اذ رأى ذلك يسر عبد الله الى أن قال له رأيت مثل عمارة قال لا والله ياسيدى مارأيت مثلها وما تصلح الا لك وما ظننت انه يكون فى الدنيا مثل هذه حسنَ وجهٍ وحذق عمل قال كم تساوى عندك قال مالها ثمن الا الخلافة قال تقول هذا لما ترى من رأيي فيها ولتجلب سرورى قال والله ياسيّدى انى لأحب سرورك وما قلت لك الا الحقّ وبعد فانى رجل تاجر أجمع الدرهم الى الدرهم طلباً للربح ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها قال عبد الله بعشرة آلاف دينار قال نعم ولم يكن فى ذلك الزمان جارية بعشرة آلاف دينار فقال عبد الله كالمازح أنا أبيعكها بعشرة آلاف دينار قال قد أخذتها قال هي لك قال قد وجب البيع وانصرف العراقيّ فلما أصبح لم يشعر عبد الله الا والمال قد وافاه فقال عبد الله بعث العراقيّ بالمال قالوا نعم بعشرة آلاف دينار وقال هذه ثمن عمارة فردّها اليه وقال انما كنت أمزح معك وما أعلمك أن مثلى لا يبيع مثلَها قال جعلت فداك ان الجدّ والهزل فى البيع سواء قال له عبد الله ويحك لا أعلم بوضع جارية تساوى مابذلت ولو كنت بائعها من أحدٍ لآثرتك ولكني كنت أمازحك وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي وموقعها من قلبي قال له العراقيّ فان كنتَ مازحا فانى كنت جاداً وما اطّلعت على مافى نفسك وقد ملكتُ الجارية وبعتُ بالثمن وليست تحل لك وما من أخذها بد فمنعه اياها فخرج العراقيّ وهو يقول أستحلفك فى مجلس أمير المؤمنين فلما رأى عبد الله الجدّ منه قال بئس الضيف ما طرقنا طارق ولا نزل بنا ضيف أعظم بليّة علينا منك تحلفني فيقول الناس اضطهده وقهره وألجأه الى أن استحلفه أما والله ليعلمن انى سأبلى فى هذا الأمر الصبر وحسن العزائم وجميل العزاء ثم أمر قهرمانه بقبض المال وتجهيز الجارية بما

يشبهها من الثياب والخدم والطيب والمركب فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار ثم سلمها الى قهرمانه وقال أوصل الجارية اليه مع ما معها وقل هذا لك ولك عندنا عِوَضٌ مما ألطفتنا به فقبض العراقيُّ الجارية وخرج فلما برز من المدينة قال لها يا عمارة اني والله ما ملكتك قط ولا أنت لي ولا مثلي يشترى جارية بعشرة آلاف دينار وما كنت لأقدم على عبد الله بن جعفر فأسلبه أحب الناس اليه لنفسي ولكني دسيس من قِبل أمير المؤمنين يزيد وأنت له وفي طلبك بعثني فاستتري مني فان دخلني الشيطان في أمرك أو تاقت نفسي اليك فامتنعي ثم مضى بها حتى ورد دمشق فتلقاه الناس يحملون جنازة يزيد وقد استخلف ابنه معاوية فأقام الرجل أياما ثم تلطف للدخول عليه فشرح له القصة فقال هي لك فارتحل العراقي وقال للجارية اني قلت لك ماقلت حين أخرجتك من المدينة لأني لم أملكك وقد صرت الآن لي وأنا أشهدك انى قد وهبتك لعبد الله بن جعفر فخرج بها حتى قدم المدينة فنزل قريباً من عبد الله فدخل عليه بعض خدمه فقال هذا العراقي ضيفك الصانع بنا ماصنع لاحيّاه الله قد نزل فقال مه أنزلوا الرجل وأكرموا مثواه فأرسل الى عبد الله ان أذنت جُعلت فداك لي في الدخول عليك دخلة خفيفة أشافهك فيها بحاجتي وأخرج فأذن له فلما دخل عليه خبره بالقصة وحلف له بالمحرّجات من الايمان انه مارأى لها وجهاً الا عنده وهاهي ذه فأدخلها الدار فلما رآها أهل الدار والحشم تصايحوا ونادوا عُمارة عُمارة فلما رأت عبد الله خرّت مغشياً عليها وجعل عبد الله يمسح وجهها بكُمّه ويقول ياحبيبتي أحلُم هذا فقال له العراقيّ بل ردّها الله اليك بوفائك وكرمك فقال عبد الله قد علم الله كيف كان الأمر فالحمد لله على كل حال ثم أمر ببيع عِيرٍ له بثلاثة عشر ألف دينار وأمر بها للعراقي فانصرف الى العراق وافر العرض والمال .. أبو محارب قال قال معاوية بن أبي سفيان ان عمرو بن العاص قد احتجن عنّا خراج مصر فعزله واستعمل أبا الأعور السُلَمي فبلغ عمرا الخبر فدعا وَرْدان مولاه وقال له ويحك عزلني أمير المؤمنين قال فمن استعمل قال أبا الأعور قال دعني وإياه أصنع له طعاماً ولا تنظر في كتابه حتى يأكل قال نعم فلما قدم عليه أخرج الكتاب بتسليم العمل اليه فقال عمرو مانصنع بالكتاب لو جئتنا برسالة لقبلنا ذلك منك فقال وَرْدان

ضع الكتاب وكُلْ فقال أبو الأعور لعمرو انظر فى الكتاب قال ما أنا بناظر فيه حتى تأكل فوضعه الى جانبه وجعل يأكل فاستدار وردان فاخذه فلما فرغ أبو الأعور من غدائه طلب الكتاب فلم يجده فقال أين كتابى فقال له عمرو أو ليس جئتنا زائراً لنحسن اليك قال بل استعملنى أمير المؤمنين وعزلك قال مهلاً لا يظهرن هذا منك فانه قبيح ونحن نصِلُكَ ونحسن اليك فرضى بالصلة وبلغ معاوية الخبر فاستضحك وتعجب من فعله وأقر عمرا على عمله .. وعن الشعبي قال كتب المُغيرة بن شُعبة الى معاوية وكان خاف العزل قد كَبرت سنّى ورق عظمي واقترب أجلى وسفّهنى سفهاء قريش وأمير المؤمنين أولى بعمله فكتبَ اليه معاوية أما ماذكرت من كِبَر سنّك فانت أكلت عمرك وأما اقتراب أجلك فلو استطيع دفع الموت عن أحد دفعتُه عن نفسي وعن آل أبي سفيان وما ذكرت من سفهاء قريش فحلماؤها أنزلتك هذه المنزلة (وأما العمل فاصبر رويداً يدرك الهيجا حملْ) فاستأذنه فى القدوم عليه فأذن له فوافاه فقال له معاوية يامغيرة كبُرت سنّك واقترب أجلك ولم يبق منك شئ وسأستبدل بك فانصرف فرأى أصحابه الكآبة فى وجهه فقالوا مالك قال قال لي كيت وكيت قالوا له فما تريد أن تصنع قال ستعلمون قال فأتي معاوية فقال له ياأمير المؤمنين ان الانسان يغدو ويروح ولستَ في زمن أبي بكر ولا عمر فلو أنك نصبت لنا انساناً نصير اليه بعدك كان الرأى على أنى قد كنت دعوت أهل العراق الى يزيد قال ياأبا محمد انصرف الى عملك واحكمْ هذا الأمر لابن أخيك قال فأقبل على البريد يركض وقال قد والله وضعت رجله فى ركاب طويل الركض قال فذاك هو الذي بعث معاوية على أخذ البيعة ليزيد

مساوى العيّ وضعف العقل

قال ثُمامة صاحب الكلام كان المأمون قد هم بلعن معاوية وأن يكتب بذلك كتاباً فى الطعن عليه قال ففتأه عن ذلك يحيي بن أكثم وقال ياأمير المؤمنين العامّة لاتحتمل هذا ولا سيما أهل خُراسان ولا تأمن أن يكون لهم نفرةٌ ونَبْوةٌ لاتُستقال

ولا يُدرى مايكون عاقبتها والرأي أن تدع الناس على ماهم عليه ولا تظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك أصلح في السياسة وآمن في العاقبة وأجرى في التدبير فركن الى قوله فلما دخلت عليه قال يأثمامة قد علمت ما كنا دبرناه في أمر معاوية وقد عارضنا رأيٌ هو أصلح فى تدبير المملكة وأبقى ذكراً فى العامّة ثم أخبرنى ان يحيى بن أكثم حذره وأخبره بنفور العامّة عن مثل هذا الرأى فقلت يا أمير المؤمنين والعامة عندك فى هذا الموضع الذى وضعها فيه يحيى والله لو بعثت اليها انساناً على عاتقه سوادٌ ومعه عَصى لساق اليك منها عشرة آلاف والله ياأمير المؤمنين مارضى الله جل وعز ان سوّاها بالأنعام حتى جعلها أضل سبيلا فقال تبارك وتعالى ﴿ أَمْ تَحسَبُ أَنَّ أَكثرَهُم يسمعونَ أو يعقِلُونَ إن هُمْ إلاّ كالأنعامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سبيلا ﴾ والله لقد مررت يا أمير المؤمنين منذ أيام في شارع الخُلدِ وأنا أريد الدار فاذا انسان قد بسط كساءه وألقى عليه أدوية وهو قائم ينادى هذا الدواء للبياض فى العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر وان احدى عينيه لمطموسة والأخرى مؤلمةٌ وقد تألبوا عليه وانجفلوا اليه فنزلتُ عن دابتي ودخلت بين تلك الجماعة فقلت ياهذا أرى عينيك أحوج الأعين الى العلاج وأنت تصف هذا الدواء وتخبر انه شفاء فما بالك ياهذا لا تستعمله قال أنا فى هذا الموضع منذ عشرين سنة مارأيت شيخاً قط أجهل منك ولا أحمق قلتُ وكيف ذاك قال يا جاهل أتدرى أين اشتكت عينى قلت لا قال بمصر فأقبل علىّ الجماعة فقالت صدق والله أنت جاهل وهموا بي فقلت والله ما علمت ان عينه اشتكت بمصر فتخلصت منهم بهذه الحجة قال فضحك المأمون وقال ما لقيت من الله جل ذكره من سوء الثناء وقبح الذكر أكثر قلت أجل .. وقيل انه كان رجل من المعتزلة وكان له جار يرى رأى الخوارج وكان كثير الصلاة والصيام حسن العبادة فقال المعتزلي لرجلين من أصحابه مُرّا بنا الي هذا الرجل فنكلمه لعل الله جل وعز ينقذه من الهلكة بنا ويهديه من الضلالة فأتوه وكلموه فأصغي الى كلامهم فلما سكتوا انتعل وقام ومعه القوم حتي وقف على باب المسجد فرفع صوته بالقراءة واجتمع اليه الناس وقعد الرجل وصاحباه فقرأ ساعة حتي بكى الناس ثم وعظ فأحسن ثم ذكر الحجاج فقال أحرق المصاحف وهدم

الكعبة وفعل وفعل فالعنوه لعنه الله فلعنه الناس ورفعوا أصواتهم ثم قال يا قوم وما علينا من ذنوب الحجاج ومن أن يغفر الله عز وجل له ولنا معه فإنا كلنا مذنبون لقد كان الحجاج غيوراً على حرم المسلمين تاركا للغدر ضابطاً للسبل عفيفاً عن المال لم يتخذ ضيعة ولم يكن له مالٌ فما علينا أن نترحم عليه فان الله عزوجل رحيم يحب الراحمين ثم رفع يده ودعا بالمغفرة للحجاج ورفع القوم أيديهم وارتفعت الأصوات بالاستغفار ملياً قال الرجل المعتزلي وهو يلاحظني فلما فرغ وانصرف ضرب بيده الى منكبي وقال هل رأيت مثل هؤلاء القوم لعنوه واستغفروا له في ساعة واحدة انتهى عن دماء أمثال هؤلاء والله لأجاهدنهم مع كل من أعاني عليهم

محاسن التيقظ

قيل كان أردشير من أشد خلق الله فحصاً وبحثاً عن سرائر خاصته وعامته وإذكاء للعيون عليهم وعلى الرعية وكان يقول انما سُمي الملك راعياً ليفحص عن دفائن رعيته ومتى غفل الملك عن تعرفه ذلك فليس له من رسم الراعي الاّ اسمه ومن الملك الاّ ذكره ويقال انه كان يصبح فيعلم كل شئ جرى فى دار مملكته من خير وشر ويمسي فيعلم كل شئ أصبحوا عليه فكان متى شاء قام لأرفعهم وأوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت ثم يحدثه بكل ما كان فيه الى ان أصبح وكان بعضهم يقول يأتيه ملك من السماء فيخبره وما كان ذلك إلاّ لتيقظه وكثرة تعهده لأمور رعيته .. ويقال ان الأمم كلها أولها وآخرها قديمها وحديثها لم تخف ملوكها خوفها اردشير من ملوك العجم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه من ملوك العرب والاسلام فان عمر رضى الله عنه كان علمه بمن نأى من عمّاله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاد فلم يكن له فى قُطر من الأقطار ولا ناحية من النواحى أمير ولا عاملٌ إلاّ وله عليه عين لا يفارقه فكانت أخبار النواحي كلها عنده كل صباح ومساء حتى ان العامل كان يتوهم على أقرب الخلق اليه وأخصهم به فساس الرعية سياسة اردشير فى الفحص عنها وعن أسرارها ثم

اقتفى معاوية فعله وطلب أثره فانتظم له أمره وطالت فى الملك مدته .. وكذا كان زياد بن أبى سفيان يحتذى فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر رحمه الله فى تعرّف أمور رعيته ومملكه .. وفيما يُحكي عنه ان رجلا كلمه فى حاجة له فتعرّف اليه وهو يظن انه لايعرفه فقال أصلح الله الأمير أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال أتتعرف الىّ وأنا أعرف منك بنفسك والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وأمك وجدك وجدتك وأعرف هذا البُرد الذى عليك وهو لفلان فبهت الرجلُ وأُرعِد حتي كاد يغشى عليه .. وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يكن بعد هؤلاء الثلاثة أحد فى مثل هذه السياسة حتي ملك المنصور فكان أكبر الأمور عنده معرفة الرجال حتى عرف العدو من الولي والمُوادع والمسالم من المُشاغب فساس الرعية على ذلك ثم درست هذه السياسة حتى ملك الرشيد فكان أشد الملوك بحثاً عن أسرار رعيته وأكثرهم بها عناية وأحزمهم فيها أمراً .. وعلى هذا كان المأمون في أيامه والدليل على أمر المأمون رسالته الى اسحاق بن ابراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث وهو بالشام خبر فيها عن عيب واحدٍ واحدٍ وعن نحلته وعن أموره التى خفيت أو أكثرها على القريب والبعيد ولم يكن أحد من ذوى السلطان الأعظم أشد فحصاً وبحثاً عن أمور الناس حتى بلغ هذا المبلغ فى الاستقصاء وجعله أكبر شغلِه وأكثره فى ليله ونهاره من اسحاق بن ابراهيم .. حدثني موسى بن صالح بن شيخ قال كلمته فى امرأة من بعض أهلنا وسألته النظر لها فقال يا أبا محمد من قصة هذه المرأة ومن فعلها قال فوالله مازال يحدثني ويخبرني عن قصتها ويصف أحوالها حتى بهتُّ .. وحدث أبو البرق الشاعر قال كان يجري علىّ أرزاقاً فدخلت عليه فقال بعد ان أنشدته كم عيالك تحتاج فى كل شهر من الدقيق الى كذا ومن الحطب الى كذا فأخبرني بشئ من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمه كله .. وحدث بعض من كان في ناحيته قال رفعت اليه قصة أسأله فيها أجراً وأرزاقاً فقال كم عيالك فزدت فى العدد فقال كذبتَ فبهتُّ وقلت يانفس من أين علم أنى كذبت فأقمت سنة أخرى لا أجسر على كلامه ثم رفعت اليه القصة فقال كم عيالك فقلت كذا قال صدقت ووقع فى القصة يجري علي عياله كذا وكذا .. ويقال ان كسرى أنوشروان كان نصب رجلا يمتحن

به من فسدت عليه نيته من رعيته وطعن فى المملكة فكان الرجل يُظهر التألهَ والدعاء الى التخلّى من الدنيا والرغبة فى الآخرة وترك أبواب الملوك وكان يقص على الناس ويُبكيهم ويشوب كلامه في خلال ذلك بذم الملك وتركه شرائع ملّته وسنن سيرته ودينه الذي كان عليه وكان هذا الرجل يمتثل ماحدّهُ له ابرويز ليمتحن بذلك خاصته وكان من يسمى يخبر ابرويز بذلك فيضحك ويقول فلان فى عقله ضُعف وأنا أعلم انه وان كان يتكلم بما يتكلم لايقصدني بسوء ولا المملكة بما بوهنها ويظهر الاستهانة بأمره والثقة به والطُمأنينة اليه ثم يوجه اليه فى خلال ذلك من يدعوه فيأبى أن يجيبه ويقول لاينبغى لمن خاف الله أن يخاف أحداً سواه فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر الخلوة بهذا الرجل والزيارة له والانس به فاذا خاليا تذاكرا أمر الملك فابتدأ الناسك فطعن فيه وأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشايعه فيقول الناسك اياك وان يظهر هذا الجبار على كلامك فانه لايحتمل لك مايحتمله لى لخفف منه على دمك فيزداد الآخر اليه استنامة وبه ثقة فاذا عَلم الناسك انه قد بلغ من الطعن على الملك مايستوجب به العقوبة فى الشريعة قال لمن يحضرُه اني قاعد غدا مجلساً للناس أقص عليهم فاحضروه ويقول لمن هو أشد به ثقة احضر أنت فانك رجل رقيق عند الذكر حسن النية ساكن الريح بعيد الصوت وان الناس اذا رأوك قد حضرت زادت نياتهم خيراً وسارعوا الى استجابتي فيقول الرجل انى أخاف من هذا الجبار فلا تذكره ان حضرت وكانت العلامة بينه وبين أبرويز ان أبرويز قد كان وضع عيوناً يحضرون متى جلس فكان الناسك يقص على العامة ويزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة والخائن حاضر فيأخذ الناسك فى ذكر الملك فينهض الخائن وتحيه عيون أبرويز فتخبره بما كان فاذا زال الشك عنه في أمره وجهه الي بعض البلدان وكتب الي عامله قد وجهت اليك برجل وهو قادم عليك بعد كتابي هذا فأظهر بِرّه والانس به والثقة اليه والسكون الى ناحيته فاذا اطمأنّت به الدار فاقتله قتلة تُحيي بها بيتَ النار وتصل بها حرمة النوبهار فان من فسدت نيته بغير علة فى الخاصة والعامة لم تصلح بعلة ومن فسدت نيته بعلة صلحت بخلافها .. قال وحدثنا الوضّاح بن محمد بن عبد الله قال سمعت أبا بديل بن حبيب يقول كنا اذا خرجنا من عند أبي جعفر

المنصور صرنا الى المهدىّ وهو يومئذ ولى عهدٍ ففعلنا ذلك يوماً فأبرز لى المنصور يده فانكببت عليها فقبلتها فضرب يدى بيده فعلمت انه لم يفعل ذلك الا لشئ فى يده فوضع فى يدى كتاباً صغيراً تستره الكف فلما خرجت قرأت الكتاب فاذا فيه اذا قرأت كتابى هذا فاستأذن الى ضياعك بالرىّ فرجعت فاستأذنت فقلت يا أمير المؤمنين ضياعى بالرى قد اختلّت ولى حاجة الى مطالعتها فقال لا ولا كرامة فخرجت ثم عدت اليه اليوم الثانى فكلمته فرد علىّ مثل الجواب الأول فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت صلاحها لأقوى بها على خدمتك فقال اذا شئت فقلت يا أمير المؤمنين فلى حاجة أذكرها قال قل قلت أحتاج الى خلوة فنهض القوم وبقى الربيع فقلت أخلنى قال ومن الربيع قلت نعم فتنحى الربيع فقال ان جدت لى بدمك ومالك فقلت يا أمير المؤمنين وهل أنا ومالى الا من نعمتك حقنتَ دمى ورددت علىّ مالى وآثرتنى بصحبتك فقال انه يهجس فى نفسى ان المرّار بن جَهور يهم بخلعى وليس لى غيرك لما أعرف بينكما فأظهر اذا صرتَ اليه الوقيعة فىّ والتنقّص لى حتى تعرف ماعنده فاذا رأيته يهمّ بخلعى فاكتب الىّ ولا تكتبنّ على بريدولا مع رسول ولا يفوتنى خبرك فى كل يوم فقد نصبت لك فلانا القطان فى دار القطن فهو يوصل كتبك قال فمضيت حتى أتيت الرىّ فدخلت على مرّار فقال أفلتّ قلت نعم والحمد لله ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فى المنصور حتى أظهر ماكان المنصور ظنّ به فكتبت اليه بذلك فلما وصلت منه الى ما أردت أتيت ضياعى ثم رجعت اليه بعد أيام فقال نجّاك الله من الفاجر قلت نعم وأرجو أن لا تقع عينه علىّ أبداً فكنت أعرّض به فيزيدنى مما عنده ثم قال لى هل لك أن تخرج الى متنزّه طيب قلت نعم فخرجت أنا وهو نتسايرحتى صرنا الى موضع مُشرف قد بنيت له عليه قبة فأحدّ النظر الى ما هناك ثم قال يا أبا بديل أترى الفاجر يظن انى أعطيه طاعة أبداً ماعشت اشهد انى قد خلعته كما خلعت خُفى هذا من رجلى قال فرجعت الى منزلى وأنا فى كل يوم أكتب بخبره قال وقد كنت أعددت تسعة فرسان من بنى يربوع ورجلا من بنى أسد فواطأتهم أن نبطش به وكتبت الى المَصمُغان أن يأتينا فى جنده الى الموضع الذى اتفقنا عليه قال وأخذ المرّار الدواء فى ذلك اليوم وسبق اليه الأسدىّ بالخبر وقال احذر فقد اتخذ لك كيت وكيت قال فدخلت

عليه فاذا هو على كرسى فعرفت الشرّ فى وجهه والمكر فى نظره فقال هيه يا أبا بديل مع إكرامي لك أردت أن تقتلنى قال فتضاحكت وقلت بلغ من مكره ان دس اليك هذا الاسدىّ لقد عملت فيك حيلته ثم حرّكه بطنه فقام الى الخلاء وقال لا ترمْ فلما ولّى وثبتُ وخرجت مسرعاً فقال الحاجب أسرعت قلت نعم فى حاجة للأمير وركبت فرسى فرأيت القوم قد وافوا كلهم الا الأسدىّ فعلمت انه صاحبي فلما خرج سأل عنى فأُخبر بمضي فوجه خيلا فى طلبى فمال اليربوعيون فدفعوهم ومضيت حتي صرت الى المصّغان وكتبت الي أبى جعفر المنصور كتاباً مكشوفاً فكتب انى قد عرفت ما وصفته وقد صح الأمر ثم كتب الي خازم بن خزيمة فصار اليه حتي أخذه .. على بن بُريهة الهاشمي قال قال صاحب عذاب أبى جعفر دعاني أبو جعفر المنصور ذات يوم واذا بين يديه جارية صفراء وقد دعالها بأنواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقينى فو الله ماأريد الا الالفة ولئن صدقتيني لأصلن الرحم ولأتابعن البرّ اليه واذا هو يُسائلها عن محمد بن عبد الله وهي تقول ما أعرف مكانه ودعا بالدَّهق وأمر به فوضع عليها فلما كادت نفسها أن تتلف قال أمسكوا عنها وكرّه ما رأى وقال لأصحاب العذاب مادواء مثلها اذا صار الي مثل حالها قالوا الطيب تشمه والماء البارد يصب على وجهها وتسقى السويق فأمر لها بذلك وعالج بعضه بيده وقال لأصحاب العذاب ألا أعلمتمونى بما يناها فأكف عنها قالوا قد علمنا انها لا تقوى على هذا ولكنا هبناك فما زالوا يرددون عليها نفسها حتى أفاقت وأعاد عليها المسئلة فأبت الا الجحود فقال لها أتعرفين فلانة الحجامة فاسود وجهها وتغيرت فقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك فى بني سُليم قال صدقتِ هي والله أمتى ابتعتها بمالي ورزقي يجرى عليها فى كل شهر وكسوة شتائها وصيفها على أمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أخباركم ثم قال أوَتعرفين فلانا البقال قالت نعم هو في بني فلان قال هو والله مضاربى بخمسة دنانير أمرته أن يبتاع بها كل ما يحتاج اليه من البيوع فأخبرنى ان أمة لكم يوم كذا وكذا من شهر كذا صلاة المغرب جاءت تسأله حناء وورقا فقال لها ما تصنعين بهذا فقالت كان محمد بن عبد الله فى بعض ضياعه بناحية البقيع وهو يدخل الليلة فأردنا هذا لنتخذ منه ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فاسقط فى يدها وأذعنت

بكل ما أراد .. قيل وان أبا جعفر كتب فى حمل عبد الله بن الحسن وأهل بيته من المدينة الى حضرته فلما أخرجوا كثر عليهم البكاء فقال عبد الله أفيقوا من البكاء وأوغلوا فى الدعاء فانى أشهد الله على ما أردت من إحياء الحق وإماتة الباطل فجرى القدر بما جرى فجدى الحسن والحسين قُتلا بسم وسيف فالحمد لله الذى جعل منايانا جهاداً ولم يجعلها مهاداً .. وأخبرنا ابراهيم بن السندىّ بن شاهك وكان من العلماء بأمر الدولة قال قال لى المأمون نبئت انك عالم بأمر الدولة ورجال الدعوة قلت ذلك الذى يلزمنى يا أمير المؤمنين بعد الفرض أن أعرف أيام مواليّ ومحاسن ساداتى قال فهاتِ ما عندك ثم أنشأ يحادثني ويسائلني عن أمور خفيـة لم تخطر ببالى قط فكان منها أن قال ما اسم أم قحطبة بن شبيب قلت لا أعـلم قال لُبابة بنت سِنان ثم قال ما اسم أبى عَوْن قلت لا أدرى قال فلان فو الله مازال يسائلنى عن خفىّ أمر الدولة ولا يجد عندى جواباً ولا يزيدنى على التبسم فكلما فعل ذلك زاد في عينيّ وضعفت عند نفسي قال فكان آخر ما قال أخبرك ان بعض أهلنا ذات يوم رأت وهي حامل متمّ كانه أتاها آتٍ فى منامها فقال لها يولد في هذه الليلة خليفة ويموت خليفة ويستخلف خليفة فمات الهادى فى تلك الليلة واستخلف الرشيد وولدت أنا .. وعن ابراهيم بن السندىّ بن شاهك قال لما اختار يحيى بن أكثم العشرة من الفقهاء وأحضرهم مجلس المأمون لمذاكرة الفقه جعل له يوماً فى الجمعة يحضرون مجلسه فقال لي المأمون يا ابراهيم احضر فلست بدون أكثرهم فكنت أحضر وكان قد اختار من أيام الجمعة يوم الثلاثاء قال فحضرت يوماً فلما أمسك المأمون عن المسائل نهض القوم وكان ذلك اذنه بانصرافهم فوثبت معهم فقال بيده مكانك يا ابراهيم فقعدت وقام يحيى وساءه تخلفى فقال لى ودخل ابراهيم بن المهدي هات ذكر من فى عسكرنا ممن يطلب ماعندنا بالرياء فقلت ما عندى وقال ابراهيم ما عنده فقال ما أرى عند أحد ما يبلغ ارادتى ثم أنشأ يحدث عن أهل عسكره حتى والله لو كان قد أقام فى رحل كل رجل حولا لما زاد على معرفتـه وقال انه كان مما حفظت عنه فى ثلب أصحابه انه قال تسبيح حُميـد الطوسىّ وصلاة قحطبة وصيام النوشجانى ووضوء بِشر المريسى وبناء مالك بن شاهك المساجد وبكاء ابراهيم بن بريهـة على المنبر وجُمَع الحسين بن قريش

التيمي" وقصص مرجًا وصدقة علي" بن هشام وحملان اسحاق بن ابراهيم في سبيل الله وصلاة أبي رجاء الضحى فقال لي رجل من عظماء العسكر حين خرجنا من الدار هل رأيت أو سمعت قط ملكا أعلم برعيته وأشد تنقيراً من هذا قلت اللهم لا فحدثت بهذا الحديث بعض أهل الخطر فقال وما تصنع بهذا وقد كتب الى اسحاق بن ابراهيم في الفقهاء بمعائبهم رجلا رجلا حتى انه أعلم بما في منازلهم منهم .. قال وحدثنا سليمان بن علي النوفلي" قال سمعت عمرو بن مسعدة يقول قال لنا المأمون يوماً من الأيام من أنبل من تعلمون نبلا وأعفهم عفةً قال فقلنا وأكثرنا فبعضنا مدحه وقرظه وقدمه على كل خليفة وامام وعددنا ما نعرف من مكارم الاخلاق فقال ما كمل المناقب الا لبني هاشم غير انا لم نردها ولا أردنا خلفاءها قال علي" بن صالح أعرف القصة في عمر بن الخطاب رحمه الله فأشار بوجهه وأعرض وذكر كلاماً ليس من جنس هذا الكتاب فذكره ثم قال ذاك والله أبو العباس عبد الله بن طاهر دخل مصر وهي كالعروس الكاملة فيها خراجها وبها أموالها جمة ثم خرج عنها فلو شاء الله أن يخرج عنها بعشرة آلاف ألف دينار لفعل ولقد كان لي عليه عين ترعاه فكتب الي" انه عرضت عليه أموال لو عرضت علي" أو بعضها لشرهت اليها نفسي فما علمته خرج عن ذلك البلد الا وهو بالصفة التي قدمه فيها الا مائة ثوب وحمارين وأربعة أفراس فمن رأى أوسمع بمثل هذا الفتى في الاسلام فالحمد لله الذي جعله غرس يدي وخريج نعمتي .. وقال بشر بن الوليد كان والله المأمون الملك حقاً ما رأيت خليفة قط كان الكذب عليه أشد منه على المأمون وكان يحتمل كل آفة تكون بالانسان الا الكذب قال فقال لي يوماً صف لي أبا يوسف القاضي فاني لم أره فوصفته له فاستحسن صفته وقال وددت أن مثل هذا بحضرتنا فنتزين به ثم أقبل علي" وقال ما في الخلافة شيء الا وأنا أحسن أن أدبره وأبلغ منه حيث أريد وأقوى عليه الا أمر أصحابك يعني القضاة وما ظنك بشيء يتحرّج منه علي" بن هشام ويتوقى سوء عاقبته ويتكالب عليه الفقهاء وأهل التصنع قال قلت ياأمير المؤمنين وما أدري ما تقصده فأجيب عنه قال لكني أدريه وأدريك ولا والله ما تجيبني عنه ولا فيه بجواب مقنع ثم قال ولّينا رجلا أشرت به قضاء الأبلّة وأجرينا عليه في الشهر ألف درهم وماله صناعة ولا

تجارة ولا كان له مال قبل ولايتنا اياه .. وولينا رجلا آخر قضاء دمشق وأجرينا عليه ألف درهم فى الشهر أشار به الىّ محمد بن سماعة فأقام بها أربعة عشر شهراً فوجهنا من يتبع أمواله فى السر والعلانية ويتعرف حاله فأخبر انه وجد ماظهر من ماله فى هذا المقدار من دابة وغلام وجارية وفرش وأثاث قيمته ثلاثة آلاف دينار وولينا رجلا أشار به الىّ فلان نهاوند فأقام بها أربعة وعشرين شهراً فوجهنا من يتبع أمواله فأخبرنا ان فى منزله خدماً وخصياناً بقيمة ألف وخمسمائة دينار سوى نتاج قد اتخذه فهات ماعندك من الجواب فقلت ماعندى يا أمير المؤمنين جواب قال ألم أعلمك ثم قال وأكبر من هذا وأطم انى فزعت الي على بن هشام فى رجل أوليه القضاء فقال قد أصبت واحداً والله يشهد انه سرّنى ورجوت أن يكون بحيث أحبّ قلت فأغدُ به علىّ قال أفعل ثم غدا فقلت أين الرجل فقال لم أجده في الفقه بالموضع لذى يجب أن يتصل صاحبه بأمير المؤمنين قال فأنكرت عليه وأظهرت الغضب فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل الذى ذكرته لك بالأمس هو علىّ بن مقاتل وكان عندى من أهل العفاف والستر فانصرفت بالأمس على أن أحضره فوجهت اليه وأنا لا أشك انه سيظهر الكراهية فى ما أراده أمير المؤمنين وان كان يستبطن غيرها ويستعفى كفعل من يتصنع أو يكره ذلك بالحقيقة فلما جاءني ألقيت اليه الذي أردته له فما تمالك ان وثب فقبّل رأسي فعلمت انه لا خير عنده وانه لو كان من أهل الفضل والخير لعد الذى دُعِيَ اليه احدى المصائب فلم أر لنفسي ان أحضره ولا ان يستعان بمثله فقلت جزاك الله خيراً عن امامك أحسن ماجزى امرأً عن امامه وعن دينك ونفسك قال بشر فبهتّ وانقطعتُ ولم آحِرْ كلمةً فقال لا ولكن ان أردت العفيف النظيف الزاكي التقي الطاهر فقاضي الرّيّ هو بالحالة التي فارقتُه عليها والله ماغيّر ولا بدّل فأما قولكم فى يحيى بن أكثم فما ندري ماعيبه إلا ان ظاهره انه أعف خلق الله عن الصفراء والبيضاء حمل الينا من أموال الحشوية أربعمائة ألف دينار فأي نفس تسخُو بهذا قال بشر فقلت يا أمير المؤمنين مالك فى الخلفاء شبيه إلاّ عمر بن الخطاب فانه كان يفحص عن عمّاله وعن دفين أسرار حُكامه فحصاً شافياً فكان لايخفى عليه ما يُفيدُ كل امرىء وما ينفق وكان من نأى عنه كمن دنا منه فى بحثه

وتنقيره فقال المأمون ان أهم الأمور كلها أمور القضاة والحكام إذ كنا قد ألزمناهم النظر فى الدماء والأموال والفروج والأحكام فوددت إني أجد مائة حاكم وإنى أجوع يوماً وأشبع يوماً .. حمدون بن اسماعيل النديم قال حضر العيد فعبى المعتصم بالله خيله تعبية لم يسمع بمثلها ولم يُرَ لأحد من ولد العباس شبيهٌ بها وأمر بالطريق فمسح من باب قصره الى المصلى ثم قسم ذلك على القوّاد وأعطى كل واحد منهم مصافّه فلما كان قبل الفِطر بيوم حضر القوّاد وأصحابهم فى أجمل زي وأحسن هيئة فلزموا مصافّهم منذ وقت الظهر الى ان ركب المعتصم بالله الى المصلّى فكان الموضع الذي وقع لابراهيم ابن المهدي من بعد الحرَسِيّ بحذاء مسجد الخوارزمي وابراهيم واقف وأصحابه في المصاف فلما أصبح المعتصم أمر القوّاد الذين لم يرتبوا فى المصاف بالمصير الى المصلّى على التعبية التي حدها ولبس ثيابه وجلس على كرسي ينتظر مُضِيّ القوّاد فلما انقضى أمرُهم تقدم الى الرجالة في المسير بين يديه فتقدم منهم سبعة آلاف ناشب من الموالي كل ثلاثمائة منهم فى زي مخالف لزى الباقين وأربعة آلاف من المغاربة وأمر الشيعة فكانوا وراءه بالأعمدة وعدتهم أربعة آلاف وركبتُ لا أدرى منزلتى أين هي ولا أعرف مرتبتى ولم أعلم أين أسير من الموكب فلما وضع رجله فى الركاب واستوى على سرجه التفت الىّ وقال ياحمدون كن أنت خلفى فلزمت مؤخر دابته فلما خرج من باب القصر تلقّاه القوّاد وأصحاب المصاف يخرج الرجل من مصافه فاذا قرب نزل وسلّم عليه بالخلافة فيأمره بالركوب ويمضي حتى وصل الى ابراهيم بن المهدى فنزل وسلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام فقال كيف أنت يا ابراهيم وكيف حالك وكيف كنت فى أيامك اركب فركب فلما جاوزه التفت الىّ فقال ياحمدون قلت لبيك يا أمير المؤمنين قل تذكر قلت أى والله ياسيدى وأمسك فنظرت فى ماقال فلم أجدنى أذكر شيئاً فى ذلك الموضع مما يشبه ما كنا فيه فنغص علىّ يومي وما رأيت من حسنه وسرورى بالمرتبة التى أهلّنى بها وقلت الخلفاء لايعاملون بالكذب ولا يجوز أن يسألنى عند انصرافى عن هذا الأمر فلايكون له عندى جواب ولاحقيقة وتخوّفتُ أن ينالني منه مكروه فلم أزل واجماً فى طريقى الى وقت انصرافه ثم أجمعت على مغالطته ان أمكننى وأعمل الحيلة فى التخلص ان يسألنى

فلما استقر فى مجلسه وبسط السماط وجلس القوّاد على مراتبهم للطعام أقبلت أخدم وأختلف ليست لى همة غير ما كان قاله لى لا أغفل عن ذلك حتى انقضى أمر السماط ورفع الستر ونهض أمير المؤمنين ودخل الحُجرةَ ومضى الى المرقد فلم ألبث ان جاء الخادم وقال لى أجب أمير المؤمنين فمضيت فلما دخلت ضحك الىّ وقال ياحمدون رأيت قلت نعم ياسيدى قد رأيت فالحمد لله الذي بلغ بي هذا اليوم وأرانيه فما رأيت ولا سمعت لأحد من الخلفاء والملوك بأجل منه ولا أبهى ولا أحسن قل ويحك رأيت ابراهيم بن المهدى قلت نعم ياسيدى قال رأيت سلامه علىّ وردّى عليه ونزوله الىّ قلت نعم فقال انه لما كان من أمره ما كان يعنى الخلافة قسم الطريق في يوم عيد من منزله الى المصلى كقسمتى إياه فى هذا اليوم بين قوّاده فوقع موضعي منه الموضع الذى كان به هذا اليوم فلما حاذانى نزلت فسلمت عليه فرد علىّ مثل مارددتُه حرفاً حرفاً على ماقال لى قال فدعوت له وانفرج عنى ما كنت فيه وتخلى عنى الغم والكرب ثم قال ياحمدون إني لم آكُل شيئاً وأنا أنتظر أن تأكل معي فامض الى حجرة الندماء فانك تجد ابراهيم هنالك فاجلس اليه وعابثه وضاحكه وأجر له هذا الحديث وقل له انك رأيته في ذلك اليوم فعل بى فعلي به فى هذا اليوم وانظر الى وجهه وكلامه وما يكون منه فعرفنيه على حقيقته واصدقنى عنه وعجل ولا تحتبس قلت نعم ياسيدي فمضيت وقد دُفعت الى أغلظ مما كنت فيه لعامي بان ابراهيم لو كان من حجرٍ لأثر فيه هذا القول وتغيّر وظهر منه ما يكره وخفت أن يكون يأتي بما يسفك به دمه فمضيت حتى دخلت الحجرة فجلست الى ابراهيم وفعلت ما أمرني به وأنا مبادر خوفاً من خادم يلحقني أو رسول فلا يمكنني معه تحسين الأمر وما يظهر لى منه فقلت لابراهيم كيف رأيت ياسيدى هذا اليوم أما أعجبك حسنه وما كان في تعبية أمير المؤمنين قال بلى والله انه أعجبني فالحمد لله الذي بلغنيه وأرانيه وأطنب فى الدعاء للمعتصم فلما أمسك قلت ياسيدى أذكرك في أيامك وقد ركبت فعبيت شبيها بهذه التعبية وقسمت الطريق مثل هذه القسمة فوقع لأمير المؤمنين الموضع الذى وقع لك واجتزت به فنزل اليك وسلم فرددت عليه كرده عليك فى هذا اليوم قال فوالله ان كان إلاّ أن قلتُ حتى اربدّ لونه وجف ريقه واعتقل لسانه وبقي لايتكلم بحرف مليا

ثم قال بلسان ثقيل لكأنى في ذلك الموضع فى ذلك اليوم فالحمد لله الذى رأيته لأمير المؤمنين فعل الله به وفعل قال فتغنّمت ذلك وقمت وأنا ألتفت ونهضت حتى أتيت المعتصم فقال لي هِيه ياحمدون فقلت يا أمير المؤمنين أتيت ابراهيم وقلت له ما أمرتني به فأظهر سروراً ودعا وقال كيت وكيت فقال والله قلت والله قال بحياتي قلتُ وحياتك يا أمير المؤمنين قال فكيف رأيت وجهه فلم أدر ما أقول فقلت يا أمير المؤمنين بالله لما تركتني من وجه عمك الذى لا يتبين فيه فرح ولا حزن فاستضحك ثم أمسك وتخاص ابراهيم ودعا بالطعام فأكلنا ثم رقد فلما انتبه وجلس دعا بابراهيم وسائر الندماء فشرب وبر ابراهيم وألطفه

مساوى التيقظ وتركه

قيل لبعض بني أمية ما كان سبب زوال ملكهم فقال قلة التيقظ وشُغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكُفاتنا فآثروا مرافقهم علينا وظَلَم عُمّالنا رعيتنا ففسدت نيّاتهم لنا وحُمِلَ على أهل خراجنا فقلّ دخلُنا وبطل عطاء جُندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فاعانوهم علينا وقصدنا بغاتنا فعجزنا عن دفعهم لقلة نُصّارنا وكان أول زوال ملكنا استتار الأخبار عنّا فزال ملكنا عَنّا بنا

محاسن الرسل

يقال ان ملوك العجم كانت اذا احتاجت الى أن تختار من رعيتها من تجعله رسولا تمتحنه أولا بأن توجهه الى بعض خاصتها ثم تقدم عيناً على الرسول يحضر ما يؤديه من الرسالة ويكتب كلامه فاذا رجع الرسول بالرسالة جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته فقابل بها الملك ألفاظ ذلك الرسول فان اتفقت معانيها عرف بها الملك صحة عقله وصدق لهجته ثم جعله رسولا الى عدوه وجعل عليه عيناً يحفظ ألفاظه ويكتبها ثم يرفعها الى الملك فان اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم ان رسوله قد صدقه عن عدوه ولم

يزد عليه جعله رسولا الى ملوك الأمم ووثق به ثم بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجة ويصدّق قوله .. وكان اردشير يقول كم من دمٍ سفكه الرسول من غير حله ولا حقه وكم من جيوش قد قُتلت وعساكر قد انتهكت ومال قد انتهبَ وعهد قد نُقض بجناية الرسول وأكاذيبه وكان يقول على الملك اذا وجه رسولا الى ملك آخر أن يردفه بآخر وإن وجه رسولَين اتبعهما بآخرين وان أمكنه أن لا يجمع بينهما فى طريق ولا ملاقاة والاّ يتعارفان فيتّفقا ويتواطآ فى شئ فعل .. ثم عليه ان أتاه رسول بكتاب أو رسالة من ملك فى خير أو شر أن لا يحدث حدثاً فى ذلك حتى يكتب اليه مع رسول آخر ويحكي به كتابه الاول حرفاً حرفاً فان الرسول ربما خرق ما أُملّ عليه وافتعل الكتب وحرض المرسل على المرسل اليه وأغراه به وكذب عليه ومنها قال أبو الأسود وقد سمع رجلا ينشد

إذا كنتَ فِى حاجةٍ مُرسِلاً فأرسلْ حَكيما ولا تُوصِهِ

فقال قد أساء القول أيعلم الغيب اذا لم يوصه كيف يعلم ما فى نفسه ألا قال

إذا أرسلتَ فى أمرٍ رَسولاً فأفهمْهُ وأرسِلْهُ أديبَا
ولا تترُكْ وصيتَه بشيءٍ وان هو كان ذا عقل أريبَا
وان ضَيَّعت ذاك فلا تلمْهُ على أن لم يكن عَلمَ الغيوبا

وقال يحيى بن خالد البرمكي ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال الهدية والرسول والكتاب

مساوى الرسول

وحكى عن الاسكندر انه وجه رسولا الى بعض ملوك المشرق فجاءه رسوله برسالة فشك فى حرف منها فقال له الاسكندر ويحك ان الملوك لا تخلو من مقوّم ومسدّد اذا مالت بطانتها وقد جئتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة غير ان فيها حرفاً ينقضها أفعلى يقين أنت من هذا الحرف أو أنت شاكّ فيه فقال الرسول بل على يقين قال فأمر

الاسكندر أن تكتب ألفاظه حرفاً حرفاً وتعاد الى الملك مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له فلما قرأ الكتاب على الملك فمرّ بذلك الحرف أنكره فقال للمترجم ضع يدى على هذا الحرف فوضعها فأمر أن يقطع ذلك الحرف بسكين فقطع من الكتاب وكتب الى الاسكندر رأسُ المملكة صحة فطنة الملك وأسّ الملك صدق لهجة رسوله اذ كان عن لسانه ينطق والى أذنه يؤدى وقد قطعت بسكينى مالم يكن من كلامي اذ لم أجد الى قطع لسان رسولك سبيلا فلما جاء الرسول بهذا الى الاسكندر دعا الرسول الأول فقال ما حملك على كلمة أردت بها فساد مَلكين فأقر الرسول ان ذاك كان لتقصير رآه من الموجه اليه قال الاسكندر فأراك سعيت لنفسك لا لنا فلما فاتك بعض ما أملت جعلت ذلك ناراً فى الأنفس الخطيرة الرفيعة ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه

محاسن الحجاب

يقال ان ملوك العجم كانت تأخذ أبناءها بأن يعاملوها بما تعامل به عبيدها وان لا يدخل أحد من الولد عليها الا عن اذنها وان يكون الحجاب عليهم أغلظ منهم على من دونهم من بطانتها وخدمها لئلا تحملهم الدالّة على تعدّى ميزان الحق فانه يقال ان يزدجرد رأى بَهرام بموضع لم يكن له فقال له مررت بالحاجب قال نعم قال وعلم بدخولك قال نعم قال فاخرج اليه فاضربه ثلاثين سوطاً ونحه عن الستر ووكل بالحجاب ازاذمرد ففعل بهرام ذلك وهو اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة ولم يعلم الحاجب فيم غضب عليه الملك فلما جاء بهرام بعد ذلك أن يدخل دفع ازاذمردُ فى صدره دفعة أوقذه منها وقال له ان رأيتك بهذا الموضع ضربتك ستين سوطاً لجنايتك على الحاجب الاول وثلاثين لئلا تطمع فى الجناية علىّ فبلغ ذلك يزدجرد فدعا بازاذمرد فخلع عليه ووصله .. ويقال ان يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب فكان اذا أراد الدخول عليه قال لبعض جواريه انظرى هل تحرك أمير المؤمنين فجاءت الجارية حتى فتحت الباب ومعاوية قاعدٌ فى حجره مصحف وبين يديه جاريةٌ تصفّح عليه فأخبرت يزيد بذلك فجاء يزيد حتى دخل

على معاوية فقال يا بني انما جعلتُ بيني وبينك باباً كما بيني وبين العامة لتدخل عليّ وقت اذنك فهل ترى أحداً يدخل عليّ من ذلك الباب قال لا قال فكذلك انت .. وذكروا ان موسى الهادي دخل على المهديّ وهو خليفة فزبره الحاجب وقال إياك أن تعود الى مثلها الا باذن أمير المؤمنين لخاصته .. وذكروا ان المأمون لما اشتدّ به الوجع سأل بعض بنيه الحاجب أن يدخله عليه ليراه فقال لا والله ما الى ذلك سبيل ولكن ان شئت أن تراه من حيث لا يراك فاطلعْ عليه من ثقب في ذلك الباب فجاء حتى اطلع عليه وتأمله وانصرف .. وحكي عن إيتاخ انه بصر بالواثق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقرب منه ولا ان يقف به فزبره وقال تنح فوالله لولا اني لم أتقدم اليك لضربتك مائة سوط .. وكانت الاعاجم تقول ما شيء أضيع للملكة ولا أضيع للرعية من صعوبة الحجاب ولا شيء أهيب للرعية من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقت من الوالي بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم واذا وثقت منه بصعوبة الحجاب هجمت على الظلم وركب القويّ منهم الضعيف فخيرُ خلال السلطان سهولة الحجاب .. قال وقال خالد ابن عبد الله القسريّ لا يحجب الوالي الا لثلاث خصال اما رجل عيّ فهو يكره أن يعرف الناس منه ذلك واما رجل مشتمل على سوءة فهو يكره أن يطلع الناس منه على ذلك واما رجل يكره مسألة الناس اياه .. قيل واستأذن أبو سفيان بن حرب على عثمان ابن عفان رحه الله فحجبه فقيل له حجبك أمير المؤمنين فقال لا عدمت من قومي مَن اذا شاء حجبني .. قال وقال الرشيد لبشر بن ميمون لما ولاه الحجبة يا بشر صُنْ طلاقة اسمك بحسن فعلك واحجب عني من اذا قعد أطال واذا طلب أجال فِكرَهُ ولا تستخِفّنّ بذوي المروءة والحرمة فانهم ان مُدِحوا تلبَّوا وان ذُمّوا لَزالوا .. وذكروا عن الربيع الحاجب ان المنصور دعا محمد بن عيسى بن عليّ الى الغداء فقال يا أمير المؤمنين قد أكلت فلما خرج أخذه الربيع وحمله على ظهر رجل وضربه كما تضرب الصبيان فظن أهل بيته ان المنصور أمره بذلك فخرج يبكي الى أبيه فجاء أبوه عيسى بن عليّ فخلع سيفه بين يدي المنصور وصاح فقال ما أمرت بذلك ولم يفعل الربيع ذلك الا لأمر فلما سئل الربيع عن ذلك قال أمرته أن يتغدى معك فقال قد أكلت وانما دعوته لتشرفه

وترفع منه ولم تدعه لتشبعه فأدبته اذ لم يؤدبه أبوه فقال المنصور أحسنت قد علمت انك لا تخطئ .. قال وقال المهدي للفضل بن الربيع حين ولاه الحجبة اني موليك ستر وجهي وكشفه فلا تجعل الستر بيني وبين الناس سبب اراقة دمائهم بعبوس وجهك في وجوههم فان لهم دالّة الحرمة وحرمة الاتصال وقدّم أبناء الدعوة وثنّ بالأولياء واجعل للعامة وقتاً اذا وصلوا أعجلهم ضيقهُ عن التلبث والتمكث .. وكان أول من حجبه الحسن بن عثمان ثم الفضل بن الربيع وكان الهادى ولى حجبته الفضل بن الربيع بعد الربيع وقال له لا تحجب عنى الناس فان ذلك يزيل عنى التزكيـة ولا تلق الىّ أمراً اذا كشفته وجدته باطلا فان ذلك يوهن الملك ويضر بالرعية .. قيل وقال الواثق لابن أبى دؤاد من أولى الناس بالحجبة فقال مولًى شفيق يصون بطلاقة وجهـه من ولاه ويستعبد الناس لمولاه فنظر الى إيتاخ وكان واقفاً على رأسه فقال قد ولاك أبو عبدالله الحجبة فكان ايتاخ يعرف ذلك له ويتقدم بين يديه الى أن يبلغ مرتبته .. قال وقال رجل لزياد ان حاجبك انما يبدأ بالاذن لمعارفه فقال قد أحسن المعرفة تنفع عند الكلب العقور والأسـد الهصور وبين لحيي البعير الصؤول كن من معارفه فقد قيل التعارف نسب وقبح الله معرفة لا تنفع .. وكان ليحيى بن خالد حاجبٌ قبل الوزارة فلما صار الى الوزارة رأى كأنه تثاقل عن حجابته فقيل له لو اتخذت حاجباً غيره قال كلا هذا يعرف اخوانى القدماء .. وقال الشاعر فى مثله

هَشٌّ اذا نزلَ الوُفود ببابهِ سَهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخدّامِ
واذا رأيتَ شقيقهُ وصديقهُ لم تدرِ أيهما أخو الأرحامِ

وقال خيط القنديل فى محمد بن عبد الله بن طاهر

يا أيُّها الملكُ المحجوبُ آملهُ وراء بابكَ همٌّ غيرُ مُشتركِ
وكم أقولُ فلا يُجدِى فينجدُنى ولا أرى مُدنياً من قبةِ الملكِ
وقـد تحصَّنَ منى فى محصَّنةٍ خلقاءَ خلفَ وشيجِ السُمرِ والحسَكِ
أصبحتَ كالشمسِ لا تخفى على أحدٍ لكنَّ مَطلَعَها فى سُرَّةِ الفلكِ
يا ليتَ ريحَ سليمانٍ مسخَّرةٌ اليهِ تحملُنى أو مَنكِبَ مَلكِ

فَلَستُ دُونَ أُناسٍ كان سَهمُهُمُ سَهمَ النجيحِ فنالوا غايةَ الدَّرَكِ
فإنْ ظُلمتُ ولم أُنصفْ فقد ظلمَتْ بِنتُ النبيِّ كما قد قيلَ في فدَكِ

مساوى الحجبة

قال ثمامة جلس المأمون يوماً وقد حضر الناس فأمر عليّ بن صالح بادخال اسماعيل ابن موسى فغلِط وأدخل اسماعيل بن جعفر وكان المأمون من أشد الناس له بغضاً فرفع يده الى السماء فقال اللهم أبدلني بعليّ بن صالح مطيعاً ناصحاً فانه بصداقته لهذا آثر هواه على هواى فلما دنا قبّل يده فقال هات حوائجك فقال ضيعتي بالفتنة قُهرتها وغُصبتُ عليها فأمر بردها عليه ثم قال اذكر حاجتك فقال دينٌ كثير قد لحقني في جفوة أمير المؤمنين اياى فأمر بقضاء دينه وقال حاجتك قال يأذن لي أمير المؤمنين في الحجّ قال قد أذنا لك وحاجتك أيضاً قال وَقْفُ أبي كان في يدى فأُخرج عنى قال يرد عليك ان رضى ورثةُ أبيك ثم قال الذي أمكننا في أمرك قد جدنا به ووقف أبيك الى ورثته ثم قال لعليّ بن صالح يا عبد الله مالى ولك متى رأيتني أنشط لاسماعيل بن جعفر وهو صاحبي بالأمس بالبصرة قال يا أمير المؤمنين ذهب عنى اسماعيل بن موسى قال ذهب عنك ما كان يجب عليك حفظه وحفظت ما كان يجب أن لا تحفظه فأما اذ أخطأت فلا تعلم اسماعيل بن جعفر القصة فظن انه عنى اسماعيل بن موسى فأخبر اسماعيل بن جعفر حرفاً حرفاً فأذاعها اسماعيل وبلغ المأمون فقال الحمد لله الذي وهب لي هذه الاخلاق التي أحتمل عليها عليّ بن صالح وأبا عمران الطوسيّ وحُميد بن عبد الحميد ومنصور بن النعمان .. وحدثنا مسعود بن بشر عن ابن داجّة قال خرج الينا يعقوب بن داود من عند المهديّ ونحن على بابه فقال ماصدر هذا البيت

* ومُحترَسٌ من مثلِهِ وهو حارِسُ *

فان أمير المؤمنين سأل عنه فلم يكن عند أحد منهم جواب فقلت أنا أخبرك قال البردخت الشاعر والبردخت الفارغ بالفارسية

أقِلّي عليَّ اللّومَ يا أمَّ مالكٍ وذُمّي زماناً سادَ فيهِ الفَلافِسُ
وساعٍ إلى السلطانِ ليس بناصحٍ ومُحترَسٍ من مثله وهْوَ حارِسُ

الفلافس من بني نهشل بن دارم كوفيّ وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ .. وقال الأشهب بن رميلة النهشليّ

ياحارِ يا ابْنَ أبي رَبيعةَ انه يَزْنى اذا اختلط الظلامُ ويشرَبُ
جَعلَ الفلافسُ حاجبين لبابِه سبحان من جعل الفلافس يَحجُبُ

فدعا به الحارث وقال قد علمت انه كذب عليك ولكن لا حاجة لى فيك فاخرج عني وقال الشاعر في مثله

سَأترُكُ هذا الباب مادامَ إذنهُ على ما أرى حتى يلينَ قليلاَ
اذا لم نجدْ للاذنِ عندكَ موضعاً وجدْنا إلى ترك المجيءِ سَبيلا

.. وقال آخر

سَأترُكُ باباً أنت تملكُ إذنهُ وان كنتُ أعمى عَن جَميع المسالكِ
فلو كنتَ بَوابَ الجنان تركتُها وحوّلْتُ رجلي مُسرعاً نحوَ مالِكِ

وكتب أبو العتاهية الي أحمد بن يوسف

لئن عُدْتُ بعدَ اليومِ اني لظالمُ سأصرفُ وجهي حيث تُبنَى المكارِمُ
مَتى يَنجحُ الغادي لدَيك بحاجَةٍ ونصفُكَ محجوبٌ ونصفكَ نائمُ

وكتب رجل الى عبد الله بن طاهر

اذا كانَ الجوَادُ لَهُ حجابٌ فما فضلُ الجوادِ على البخيلِ

.. فأجابه

اذا كان الجوادُ قَليلَ مالٍ ولم يقدر تعلّل بالحجابِ

وكتب عبد الله بن محمد بن أبي عُيينة الى صديق له

أتيتكَ زائراً لقضاءِ حقٍّ فحالَ السِترُ دونَكَ والحِجاب
ولستُ بِساقطٍ في قدرِ قَومٍ وان كَرِهوا كما يقعُ الذبابُ

وقال آخر

وأحضرُ بابَ ابراهيم جهلاً بما فيه وأرشو الحاجبينِ
فأخرج ان خرجتُ بغيرِ شيءٍ وأدخلُ ان دخلتُ بدرهمينِ

وقال آخر

يدلُّ على انه كاتبُ سوادٌ بأظفارهِ راتبُ
فان كان هذا دليلٌ لهُ فإسكافنا كاتبٌ حاسبُ
حجابٌ شديدٌ لأبوابهِ وليسَ لبابِ آستهِ حاجبُ

•• وقال آخر

لقلعُ ضِرسٍ وضنكُ حبسٍ ونزعُ نفسٍ وردُّ أمسِ
وأكلُ كفٍّ وضيقُ خفٍّ وفقدُ إلفٍ وألفُ فلسِ
وقودُ قردٍ ونسجُ بُردٍ ودبغُ جلدٍ بغيرِ شمسِ
وشربُ سُمٍّ وقتلُ عمٍّ وكلُّ غمٍّ ويومُ نحسِ
ونفخُ نارٍ وحملُ عارٍ وبيعُ جارٍ برُبعِ فلسِ
أيسرُ من وقفةٍ ببابٍ يلقاكَ بوابُهُ بعبسِ

وقال أيضاً

لما رأيتُك ذاهباً ورأيتُني أجفى ببابِك
عدَّيتَ رأسَ مطيتي وحجبتُ نفسي عن حجابِك

•• وقال آخر

لئن كانَ التشرُّفُ في الحجابِ لقد أصبحتَ في الشرفِ اللبابِ
لقد عاتبتُ نفسي في وقوفي فقلتُ لها وقفتِ بأيِّ بابِ
ببابٍ تُسلبُ الموتى عليهِ ويُستلَبُ العُراقُ من الكلابِ

منصور بن باذان

أما وزمزمَ ابنِ شيبةَ وقُبحِ لحيةِ عُقبةَ
كأنما شعرُ قِردٍ مُلصقٌ حولَ ذنبهْ
ووجهُهُ حينَ يبدو كقُبحِ أولِ شربهْ

لئنْ أطلتَ حجابي ما أنتَ إلاّ ابنُ قحبهْ
وكيفَ تبني المعالي يانجلَ كلبٍ لكلبهْ
وهلْ يكونُ كريماً يافومِ حمّالُ قِربهْ

وله أيضاً

ياذا الذي قصّرَ في مجدِهِ وزادَ في عِدّة حُجّابه
أقسمتُ لا أقربَ بابَ امرىءٍ يحجبني البوّابُ عنْ بابهِ
فأدخلَ اللهُ رُوَيسَ امرىءٍ يحجبُ مثلي في أُستِ بوّابه

ولأبي عبد الله مريقة في عليّ بن أحمد المعروف بابن الحواري شاعر وكان حجبه فتعرّض له وقد ركب فقال

أسَلُ الذي صرفَ الأعنّـسةَ بالملوا كِبِ نحوَ بابكَ
وأراكَ نفسكَ دائماً مالمْ يكنْ لكَ في حسابكَ
وأذلّ موقفيَ العزيـ ـزَ عليّ في أقصي رِحابكَ
ألاّ تطيلَ تجرعي غُصَصَ المنيّةِ منْ حجابكَ

محاسن الولايات

قال ابراهيم بن السندي بعث اليّ المأمون فأتيته فقال يا ابراهيم انى أريدك لأمر جليل والله ماشاورت فيه أحداً ولاأشار بك أحد فاتق الله ولاتفضحنى فقلت ياسيدى لو كنت شر خلق الله ماتركت موضع قادح فكيف ونيتى فى طاعة أمير المؤمنين نية العبد الذليل لمولاه قال قد رأيت ان أوليك خبر ماوراء باب داري فانظر ان تعمل بما يجب عليك لله جل وعزّ ولى ولا تراقب أحداً فقلت ياسيدى فاني أستعين بالله عز وجل على مرضاته ومرضاتك فبعثت أصحاب الأخبار فى الأرباع ببغداد فرفع اليّ بعضهم ان صاحب ربع الحوض أخذ امرأة مسلمة مع رجل نصراني من تجار الكَرْخ فافتدى نفسهَ بألف دينار فرفعت اليه ذلك فدعا عبد الله بن طاهر فقال له النظر في هذا الذي

رفعه صاحب الخبر فقرأه وقال رفع يا أمير المؤمنين الباطل والزور وأغراك بي فعمل قوله فيّ وملأ قلبك فبعث اليّ وقال يا ابراهيم ترفع اليّ الكذب وتحملني على عمّالي فكتبت رُقْعةً دفعتها الى فتح الخادم ليوصلها اليه قلت فيها انما يحضر الأخبار في الأرباع المرأة والطفل وابن السبيل وغير ذلك ولو كانت الأخبار لاترفع إلاّ بشهود عدول ماصح خبر ولا كتب به ولكن مَجرَى الأخبار أن يحضرها قوم على غير توطّيء فان أمرني أمير المؤمنين أن لا أكتب اليه بخبر إلاّ بعدول وبُرْهان فعلت ذلك وعلى هذا فلا يرتفع في السنة خبر واحد فلما قرأ الرقعة فكّر فيها ليلته وجاءني رسوله مع طلوع الشمس فأتيته من باب الحمام فلما رآني قال اطمأنّ وقام فصلى ركعتين أطال فيهما ثم سلّم والتفت اليّ وليس في المجلس غيري فقال يا ابراهيم انما قمت للصلاة ليسكن بهرك ويقوى مَتنُك ويُفرج روعك فتمكن في قعودك وكنت قاعداً على ركبتي فقلت لا أضع قدر الخلافة ياسيدي ولاأجلس إلاّ جلوس العبد بين يدَي مولاه ثم قام فصلّى ركعتين دون الاوليين ثم قال هذه رقعتك تحت رأسي قد قرأتها أربع مرات وقد صدقت في ما كتبتَ به ولكني امرؤٌ أداري عمّالي مداراة الخائف وبالله ما أجد الى ان أحملهم على المحجة البيضاء سبيلا فاعمل على حَسَب ذلك ولِنْ لهم تَسْلَمْ منهم وفي حفظ الله اذا شئت فانصرفتُ فدعوت أصحاب الأخبار فتقدمت اليهم في مداراة القوم والرفق بهم واللين لهم .. وعن اسحاق بن أيوب بن جعفر بن سليمان قال دخل محمد بن واضح دار المأمون وخلفه أكثر من خمسمائة راكب كلهم راغبٌ اليه وراهب منه وهو إذ ذاك يلي أعمالا من أعمال السواد فدعا به المأمون فقال يا أمير المؤمنين اعفِني من عمل كذا وكذا فانه لاقوّة لي عليه فقال قد أعفيتُك واستعفى من عمل آخر وهو يظن انه لايعفيه فأعفاه حتى خرج من كل عملٍ في يده في أقل من ساعة وهو قائم على رجله فخرج وما في يده شيء من عمله فقال المأمون لسلم الحوائجي اذا خرج فانظر الى موكبه واحصِ من معه وكان المأمون قد رآه من مستشرف له حين أقبل فخرج سالم وقد استفاض الخبر بعزله عن عمله فنظر فاذا لايتبعه إلاّ غلام له بغاشية فرجع الى المأمون فأخبره فقال ويلهم لو تجمّلوا له رَيثَما يرجع الى بيته كما خرج منه ثم تمثّل فيهم

ومَنْ يَجْعَلِ المعروفَ فى غيرِ أهلِهِ يُلاَقِى الذى لاقَى مُجيرُ أُمِّ عامِرِ

ثم قال صدق رسول الله وكان للصدق أهلاً حين قال لاتنفع الصنيعة إلاّ عند ذى حَسَب أو دين .. وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج عن الحجاز انه وفد وفدٌ منهم فيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام وجلس بين يديه فقال ياأمير المؤمنين من أنا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أجهلتنا أو تغيَّرت بعدنا قال وما ذاك قال وليت علينا الحجاج يسير فينا بالباطل ويحملنا على أن نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك فان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك مُلكك قال فانصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال فقدم الى منزله وأصبح الحجاج غادياً على الوفد فى منازلهم يجزيهم الخير ثم أتى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلنى بكم خيراً لي منكم وأبدلكم بى غيرى وولاني العراق .. وعن الوضّاحى عن معمر بن وهيب قال كان عبد الملك عند ماأستعفى أهل العراق من الحجاج بن يوسف قال لهم اختاروا أىّ هذَين شئتم يعنى أخاه محمد بن مروان أو ابنه عبد الله مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج ياأمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا من سعيد بن العاص الى عثمان بن عفّان فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل فقتلوه فقال عبد الملك صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

مساوى الولايات

قال كتب عبد الصمد بن المعذّل الى صديق له وَلِىَ النفّاطات فأظهر لها

لَعَمْري لقدْ أظهرْتَ تيهاً كأنّما تولّيتَ للفضلِ بن مَرْوانَ مِنبرَا

وما كنتُ أخشَى لو وَليتَ مكانهُ علىّ أبا العباس أن تتغيَّرا

بحفظِ عيونِ النفطِ أحدثتَ نخوةً فكيفَ بهِ لو كانَ مِسكاً وعنبرَا

دَعِ الكِبرَ واستبقِ التواضعَ انه قبيحٌ بوالي النَّفط ان يتكبَّرا

قال وسئل عمار بن ياسر عن الولايات فقال هي حُلوة الرضاع مرّةُ الفطام .. ولابن المعتزّ في مثله

كَمْ تائهٍ بولايةٍ وبعزْله يعدُو البريدُ
سُكْرُ الولايةِ طيبٌ وخُمارُها صَفْعٌ شديدُ

ولغيره

لاتجزَعَنَّ فكلِ والٍ يُعزَلُ وكما عُزلتَ فعَنْ قريب يُعزَلُ
انّ الولايةَ لاتدُومُ لواحدٍ انْ كنتَ تنكِرُهُ فأينَ الأولُ
وكذا الزّمانُ بما يَسُرُّكَ تارةً وبما يَسُوءُكَ مرةً يتنقّلُ

محاسن بعد الهمة

قال حدثنا أحمد بن اسحاق التستريُّ قال دخل أحمد بن أبي دُؤاد على الواثق فقال له الواثق بالله ياأبا عبد الله اني حنثت في يمين فما كفارتها فقال مائة ألف دينار فقال ابن الزيات والله ماسمعنا بهذا في الكفارات انما قال الله جل وعز وتلا الآية في كفارة الأيمان فقال تلك كفارة مثله في بعد همته وجلالة قدره أو مثل آبائه ثم ما تكون كفارة اليمين على قدر جلال الله من قلب الحالف بها ولا نعلم أحداً الله جل وعز في قلبه أجل من أمير المؤمنين فقال الواثق تحمل الى أبي عبد الله يتصدق بها .. قال ودعا يحيي بن خالد البرمكي ابنه ابراهيم يوما وكان يسمى دينار بن برمك لجماله وحسنه ودعا بمؤدبه وبمن كان ضُم اليه من كتّابه وأحبابه فقال ماحال ابني هذا قالوا قد بلغ من الأدب كذا وكذا ونظر في كذا وكذا قال ليس عن هذا سألت قالوا قد اتخذنا له من الضياع كذا وغلّته كذا قال ولا عن هذا سألت انما سألت عن بعد همته وهل اتخذتم له في أعناق الرجال منناً وحببتموه الى الناس قالوا لا قال فبئس العشراء أنتم والاصحاب هو والله الى هذا أحوج منه الى ماقلتم ثم أمر بحمل خمسمائة ألف درهم

اليه ففرقت على قوم لايدرى من هم .. قال وقال المأمون لولده وعنده عمرو بن مسعدة ويحيى بن أكثم اعتبروا فى علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي انهم والله مابلغوا مراتبهم عندى الا بأنفسهم انه من تبع منكم صغار الامور تبعه التصغير والتحقير وكان قليل مايفتقد من كبارها أكثر من كثير مايستدرك من الصغار فترفعوا عن دناءة الهمة وتفرغوا لجلائل الامور والتدبير واستكفوا الثقات وكونوا مثل كرام السباع التى لاتشتغل بصغار الطير والوحش بل بجليلها وكبارها واعلموا ان أقدامكم ان لم تتقدم بكم فان قائدكم لايقدمكم ولا يغنى الولى عنكم شيئاً مالم تعطوه حقه وأنشد

نحنُ الذينَ اذا تخمَّطَ عُصبَةٌ ... منْ مَعْشرٍ كنا لها أنكالاَ
ونرى القُرُومَ مخافةً لقُرُومنا ... قبلَ اللّقاء تقطّرُ الأبوالاَ
نَرِدُ المنيّةَ لانخافُ وُرُودها ... تحتَ العجاجة والعُيونُ تَلالاَ
نعطى الجزيلَ فلاَ نمنُّ عطاءنا ... قبل السؤال ونحملُ الأثقالاَ
واذا البلاَدُ على الأنام تزلزلتْ ... كنّا لزلزلةِ البلادِ جبالاَ

ولبعضهم في أبي دُلف

لهُ همَمٌ لامنتهي لكبارها ... وهمتهُ الصغرى أجلُّ من الدهر
له راحةٌ لو أنّ معشارَ جودِها ... على البركان البرُّ أندى من البحر
ولو أنّ خلْقَ الله فى مسكِ فارس ... فبارزَهُ كان الخلقيّ من العُمر
أبا دُلف بُوركتَ في كل وِجهةٍ ... كما بُوركتْ فى شهرها ليلة القدر

ولغيره

لاتهدمَنْ بنيان قوم وجدتهمْ ... بنَوا لكَ بنياناً وكُنْ أنتَ بانيا
وان زَهدَ الأقوامُ فى طلب العُلي ... فسامِ بكفّيكَ الندى والمعاليا

عبد الله بن طاهر

فتًى خصّه الله بالمكْرُماتِ ... فمازَجَ منهُ الحيا والكرمْ
اذا همّةٌ قصّرتْ عن يدٍ ... تناوَلَ بالمجدِ أعلى الهِمَمْ
ولاَ ينكتُ الأرضَ عند السؤال ... ليثني زُوّارَهُ عَنْ نَعَمْ

بَدَا حين أثرَى باخوانهِ فقلّلَ عنهمْ شباةَ العدَمْ
وذكّرهُ الحزمُ غِبّ الأمورِ فبادَرَ قبلَ انتقالِ النّعَمْ

قال وحدثنا بعض أهل ذى الرياستين قال كان ذو الرياستين يبعث بى وبأحداث من أهل بيته الى شيخ بخراسان ويقول تعلموا منه الحكمة فكنا نأتيه ونستفيد منه الآداب فلما كان بعد ذلك قال لنا أنتم أدباء وقد تعلمتم الحكمة ولكم نعمة فهل فيكم عاشق فاستحيينا من قوله وسكتنا فقال اعشقوا فان العشق يطلق لسان البليد ويسخي البخيل ويشجع الجبان ويبعث على التلطف واظهار المروءة فى المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك وانظروا أن تعشقوا أهل البيوتات والشرف قال فخرجنا من عنده وصرنا الى ذى الرياستين فسألناه عما أفادنا فهبناه أن نخبره فقال تكلموا فقلنا انه أمرنا بكذا وكذا فقال صدق وبرّ أتعلمون من أين قال لكم ذلك قلنا يخبرنا به الوزير فقال كان لبهرام جور ابنٌ قد رشحه للملك من بعده واعتمد عليه فى حياته وكان خامل المروءة ساقط الهمة فضم اليه عدة من المؤدبين والحكماء والعلماء ومن يعلم الفروسية فبينا بهرام فى مجلسه اذ دخل عليه بعض أولئك المؤدبين المضمومين الى ابنه فسأله عن خبر ابنه وأين بلغ من الحكمة والأدب فقال أيها الملك قد كنت أرجو أن يتوجه أو يَعي بعض ما ألقيته وألقيه اليه حتى حدث من امره ما آيَسنى منه قال وما هو قال بصر بابنة فلان المرزبان فهويها فهو الآن يهذى بها ليله ونهاره فقال الآن رجوتُ فلاحَه اذهب فشجّعه بمراسلة المرأة وخوفه بي فذهب المؤدب فانتهى الى ما أمره به وبعث بهرام الى أبي الجارية ودعاه فقال انى مزوج ابنتى ابنكِ فأتها وُمرها أن تراسل ابني وتطمعه فى نفسها فاذا استحكم طمعه فيها ورجا الالتقاء تجنت عليه وقالت انى لا أصلح الا لملك عظيم القدر بعيد الهمة حسن المودّة أديب النفس شجاع البطش ولَستَ كذلك ولا هناك ثم عرّفني الكأن منك فى ذلك فمضى المرزبان الى ابنه فأعلمها بذلك وبما قاله له الملك فراسلت الفتى وأطمعته ثم قالت له ما أمرها به أبوها فلما سمع الفتي ذلك أنِف أنَفاً شديداً وتقاصرت اليه نفسُه فأقبل على تعلّم الأدب والحكمة والفروسية حتى صار رأساً فى ذلك فلما بلغ الغاية التي لا بعدها رفع قصته الى أبيه يشكو تخلّف حاله وقصور يده

عما تشتهيه فوقّع له أبوه بإزاحة علته والتوسعة عليه ثم بعث الى المؤدّب فدعاه فقال قل لابني يرفع اليّ قصة يسألني فيها إنكاحه ابنة المرزبان فقال له المؤدّب ذلك فكتب قصة رفعها الى الملك يسأله تزويجها منه وان يصل جناحه بذلك وانها ممن تصلح لمثله فأمر الملك باحضار المرزبان وسأله أن يزوّج ابنه من ابنه ففعل وجهزها الملك بأجل مايكون من الجهاز وقال لابنه اذا أنت خلوت بها فلا تُحدِثن شيئاً حتى آتيك فلما كان ذلك الوقت دخل الملك على ابنه فقال يا بُنيّ اياك وان تصغر شأن هذه المرأة عندك فانها من أعظم الناس منّة عليك وان الذى كان من مراسلتها اياك فانما كان عن أمرى وبإذنى وتدبيري فاعرف حقها وحق أبيها وأحسن معاشرتها وبرّها ثم خرج الملك وخلا الفتى بأهله ثم قال ذو الرياستين سَلُوا الآن الشيخ عن السبب الذي حمله على ما أمركم به قال فسألناه فحدثنا بحديث ذى الرياستين

مساوى سقوط الهمة

قال وكان القاسم بن الرشيد ساقط الهمة دني النفس وكان المأمون على أن يعهد اليه ويؤكد له ما كان الرشيد جعله له من ولاية العهد وكان لا يزال يبلغه عنه ما يكره مرة في نفسه وأخرى فى حشمه قال فرفع اليه فى الخبر يوماً انه قال لقوّام حمّامِهِ نوّروا الناس بالمجّان ففعلوا ذلك فلم يبق محتاج إلاّ جاء يتنوّر فلما علم انهم كثروا أخرج عليهم الأسد من باب كان يدخل منه الى الحمام فخرج الناس عراة مغمًى عليهم مع ماعليهم من النورةِ هاربين من الأسد فصاروا الى شارع قصره وقد أشرف عليهم وهو يضحك فحدثنا الحسن بن قريش قال دعاني المأمون وقال يا هذا مالى ولهذا الفتى الى كم أحتمل منه هذا الأذى قال فقلت قوّمْه يا أمير المؤمنين ان رأيت في ذلك صلاحاً قال نعم فقلت ياسيدى انه عضو منك وأنت به وأولي الناس بتقويمه قال فجعل ينهاه ويأبى أن ينتهي فلما كثر هذا من فعله عزم على خلعه فكتب الى هَرْثمة بن أعين فى ذلك كتاباً نُسخته أما بعد فان أمير المؤمنين يستوفق الله جل وعز فى جميع أموره وتسخيره فيها خاصها

وعامتها لطيفها وجليلها استخارة من يوقن ان البركة وخيرة البدء والعاقبة فى قضائه وما يلهمه من ارشاد وتسديد رأى وإثبات صواب وقد رأى أمير المؤمنين عند ما استخار الله تبارك اسمه فيه من أمر القاسم بن الرشيد فيما كان اليه من ولاية العهد خلعه عن ذلك وصرفه عنه فأظهر ذلك فيمن بحضرتك وأمر بالكتاب الى العمال فى نواحى عملك وثغورك وولاة الأمصار فقد أمل أمير المؤمنين أن يكون ذلك توفيقاً من الله تبارك اسمه ورشداً ألهمه اياه اذ كان به توفيقه وعليه معوّله واليه رجوعه فيما يبرم ويمضى فامتثل ماحدّه لك أمير المؤمنين وانته اليه واكتب بما يكون منك فيه ان شاء الله .. قال ونظر المأمون يوماً الى ابنه العباس وأخيه المعتصم فابنه العباس يتخذ المصانع ويبنى الضياع والمعتصم يتخذ الرجال فقال شعراً

يَبنى الرجالَ وغيرُهُ يَبني القرى ... شَتّان بين قُرى وبين رجالِ
قَلِقٌ بكثرةِ مالِهِ وضياعِهِ ... حتى يُفرِّقهُ على الأبطالِ

.. وأنشد فى مثله

لما رأيتُكَ لا تجودُ بنائل ... وتضنُّ بالمعروفِ ظنَّ الساقطِ
ورأيتُ همتَكَ التى تعلو بها ... سَوطَ الثريدِ وشمَّ ريحَ الغائطِ
واذا تُكلِّفُ حاجةً ضيَّعتَها ... بتغافل عنها كأنك واسطي
لا للمكارم تشرئِبُّ بنهضة ... ولدَى المكاره كالحمارِ الضارطِ
أيِّستَ نفسي من رجائك دهرها ... ونقشتُ شِبهك صورة فى حائط

.. وقال آخر سامحه الله عز وجل

اذا أنتَ لا تُرجَى لدَفعِ مُلمّةٍ ... ولا أنتَ فى المعروف عندكَ مَطمعُ
ولا أنتَ ذو جاهٍ يعاشُ بجاهِهِ ... ولا أنتَ يومَ الحشرِ ممن يُشَفَّعُ
فموتُكَ فى الدنيا وعيشك واحدٌ ... وعودُ خلالٍ من نوالك أنفعُ

.. ولآخر سامحه الله وعفا عنه

كلما قلتُ وَيكَ للكلبِ إخساً ... لحظتنى عَينـاكَ لحظةَ شهمَه
أتراني أظُنُّ أنكَ كلبٌ ... أنتَ عندي من أبعدِ الناسِ همَّه

محاسن كرم الصحبة

قال ابن أبي طاهر حدثوني عن عبد الله بن مالك قال كنت أتولى الشرطة للمهدي وكان يبعث الي في ندماء الهادي ومغنيه انى أضربهم وأحبسهم صيانة له عنهم فبعث الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه عنهم فلا ألتفتُ الى ذلك وأمضي الي ما يأمر به المهدي فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث الي يوماً فدخلت عليه متكففاً متحنطاً فاذا هو على كرسي والنطع والسيف بين يديه فسلمتُ فقال لاسلم الله عليك تذكر يوم بعثت اليك فى أمر الحراني لما أمر أمير المؤمنين رضي الله عنه بضربه فلم تجبني فى فلان وفى فلان وجعل يعد ندمائه ولم تلتفت الى قولي قلت نعم يا أمير المؤمنين أفتأذن لي فى استيفاء الحجة قال نعم قلت نشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك ان وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث الي بعض بنيكَ بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيتُ أمرك قال لا قلت فكذلك أنا لك وكذا كنت لأبيك وأخيك فاستدناني فقبلتُ يده وأمر بخلع فصُبّت علي وقال قدوليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً فخرجت من عنده وصرت الى منزلي مفكراً فى أمره وأمرى وقلت حدث والقوم الذين عصيته فى أمرهم ندماؤه ووزراؤه وكتابه فكاني بهم حين يغلب عليه الشرابُ وقد أزالوه عن رأيه في وحملوه فى أمرى على ما كنت أتخوفه قال فانى لجالس وبين يدي بُنيّة لى والكانون بين يدي ورقاق أشطره بكامخ وأسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت ان الدنيا قد اقتلعت بي وزلزلت لوقع حوافر الدواب وكثرة الضوضاء فقلت هاه كان والله ماظننت فاذا الباب قد فتح واذا الخدم قد دخلوا واذا أمير المؤمنين الهادي على حمار فى وسطهم فلما رأيتهم وثبت عن مجلسي مبادراً وقبلت يده ورجله وحافر حماره فقال يا أبا عبد الله اني فكرت في أمرك فقلت يسبق الى قلبك انى اذا شربت وجاءني أعداؤك أزالوا ماحسن من رأيي فيك فأقلقتك وأوحشك فصرت الى منزلك لأؤنسك وأعلمك ان السخيمة قد زالت عن قلبي فهات اطعمنى ما كنتَ تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل لنعلم اني قد تحرّمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك فأدنيت اليه ذلك الرقاقَ والشُكُرّجةَ التى فيها

الكامخ فأكل منها ثم قال هاتوا الزلّة التى أزللتها لابي عبد الله من مجلسى فأدخل الىّ أربعمائة بغل موقورة دراهم فقال هذه زلتك فاستعن بها على أمرك واحفظ هذه البغال عندك فلعلى أحتاج اليها لبعض أسفارى وانصرف راجعاً فأخبرنى موسى بن عبد الله ان أباه أعطاه بستانه الذى كان وسط داره فبنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى القيام عليها مدة حياة الهادى ٠٠ وحدث من حضر مجلس المأمون وقد أمر باحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما حضر قال يا عباس خذ هذا اليك واستوثق منه ولا يفوتنك وبكّر به واحذر كل الحذر قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يكن يقدر ان يتحرك فقلت فى نفسي مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيراً فمن أنت من أهلها قال لا تزد أن تسألنى فقلت له أتعرف فلاناً فقال ومن أين عرفت ذلك الرجل فقلتُ كانت لى قصة معه فقال ما أنا بمعرّفك خبرَه أو تعرفنى قصتك فقال ويحك كنتُ مع بعض الولاة بها نخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يُدْخِلَنى فى زِنبيلٍ من قصر الحجاج وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب فانى لفى بعض الطريق اذا جماعة يعدُون خلفى فما زلت أحاضرهم حتي مررت على هذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثنى أغاثك الله فقال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لى امرأته ادخل الحَجَلة فدخلتها وأتي الرجال خلفى فما شعرت الا به وهم معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق الا البيت الذى كنت فيه فقالوا هاهنا فصاحت المرأة وانتهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم فى الحجلة خائفاً فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث ان دخل الرجل وقال لا تخف فقد صرتَ الى الأمن والدّعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله عنى خيراً ثم ما زال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجملها ولا يفتر من القصفِ والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر الى أن سكنت الفتنة وهدأت فقلت له أتأذن لى في الخروج لأتعرّف خبر غلماني ومنزلى فلعلى أن أقف لهم على أثر أو خبر فأخذ علىّ المواثيق بالرجوع اليه فخرجت

وطلبتُ غلماني فلم أر لهم أثراً فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني بغير الكنية ثم قال لي ما تَعْزِم فقلت قد عزمت على الشخوص الى بغداد فان قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد تفضلت عليّ هذه المدة فأسألك أن تعطيني ما أُنفقه في طريقي وما ألبسه فقال يصنع الله عز وجل ثم قال لغلام له أسود انعل الفرس الفلاني وتقدمَ الى من في منزله باعداد السفر فقلت في نفسي ما أشك الا انه يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكد فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال يا أبا فلان قمْ فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي ما أعطاني شيئاً مما سألته ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان اليّ خفَاتين مقطوعة جُدَداً وراناتٍ وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم البغل فحمل عليه الصناديق وفوقها مِفرَشين ودفع الى نسخةً بما في الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذي كان أنعله بسرجه ولجامه وقال اليّ اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما في أمري وركب معي فشيّعني وانصرفت الى بغداد وأنا على مكافأته ومُجازاته فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان الى مكان فلما سمع الرجل الحديث قال قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا مؤنة عليك فقلت وكيف ذلك قال أنا والله ذلك الرجل ثم قال لي أنبتك فتعرّف اليّ وأقبل يذكرني بأشياء يتعرف بها اليّ حتى أنبته وعرفته فما تمالكتُ أن قمت اليه فقبلت رأسه وقلتُ له ما الذي أصارك الى هذا فقال هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت اليّ وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وحملتُ اليه وأمري عنده غليظٌ جداً وهو قاتلي لا محالةَ وقد خرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من عبيدي من ينصرف الى منزلي بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تنعم وتبعث اليه حتى يحضر فأتقدم اليه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي قال فقال العباس يصنع الله ثم قال على بجمّادين فأتوا بهم فحل قيوده وما كان عليه من أنواع الانكال ودعا بالحجام فأحضر وأخذ من شعره ثم قال عليّ بمولاه فأنفذ في طلبه من يحضره قال الرجل

فلما أن أخذ شعري أدخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتنفيت به ثم حضر مولاى وقعد يبكي فقال العباس عليّ بفرسي الفلانيّ والفرس الفلاني والبغل الفلانى حتى عدّ عشراً ثم قال عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا ثم أمر لي ببَدْرةٍ فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته خذه واعبُر به الى جسر الانبار فقلت له ان أمرى غليظ وان أنت احتججت بأني هربت بعث أميرُ المؤمنين فى طلبي كل من على بابه فأُرَدّ وأُقتل فقال انج بنفسك ودعنى أدبّر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك فان احتجتَ الى حضورى حضرتُ فقال لصاحب الشرطة ان كان الأمر على هذا فليكنْ في موضع كذا وكذا فان سلمتُ فى غداةِ غدٍ فسبيل المحبة وان قُتلت كنت قد وقيته بنفسى كما وقانى بنفسه وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد قال الرجل فأخذنى صاحب الشرطة فصيرنى فى مكان يَثق به وتفرّغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وتكفن قال العباس فلم أفرغ من ذلك حتى وافتنى رُسل المأمون في السحر وقالوا أمير المؤمنين يقول هات الرجلَ فسكتُّ وأتيت الدار واذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه فقال الرجلَ فسكت فقال ويحك الرجلَ فقلت يا أمير المؤمنين اسمع منى فقال أعطى الله عهداً لئن ذكرت انه هرب لأضربنّ عنقك فقلت لا والله ما هرب فاسمع منى حديثى وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله فى أمرنا قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا وقصصت عليه القصة وعرّفته انى كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى اذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الانبار وقلت أنا من سيدى أمير المؤمنين بين أمرين إما صفح عنى وإما قتلنى وأكون قد كافيته ووقيته بنفسى كما وقانى بنفسه فلما سمع المأمون الحديث قال ويحك لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا لِمَ لا عرّفتنى خبره فكنت أكافيه عنك فقلت يا أمير المؤمنين انه والله هاهنا قد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتيج الي حضوره حضر قال وهذه والله منه أعظم من الاولي فاذهب اليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتصير به الىّ حتى أتولى

مكافأته عنك فصرت اليه وقلت ليسكن روعك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيره ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ثم جئنا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه الى جانبه وآنسه وحدثه حتى حضر الغداء ثم قال الطعام فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفاه ثم قال المأمون علي بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بجميع آلتها وبعشرة بدر وبعشرة تخوت وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلتهم فدفع ذلك اليه وكتب الى عامله بالوصاية عليه وأوغر خراجه وكتب الى صاحب البريد أن ينفذ كتبه وصرفه الي بلده قال العباس فكان اذا ورد له كتاب في خريطة يقول لي المأمون يا عباس هـذا كتاب صديقك .. وحدث رجل عن جعفر العطار قال بينا يحيي بن أكثم يماشي المأمون في بستان موسى والشمس عن يمينه والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيي وهما يتحدثان اذ رأى المأمون أن يرجع في الطريق الذى جاء منه فلما انتهى الى الموضع الذى قصده قال ليحيي انك جئت وعن يسارك الشمس وقد أخذت منـك فكن أنت الآن في منصرفك حيث كنت وأكون أنا حيث كنت أنت فقال يحيي والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أقيك بنفسي من هول المطلع لفعلت فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة فقال لا والله لابد من أن آخذ منها كما أخذت منك وتأخذ من الظل كما أخذت منه فصار المأمون في موضعه وصار يحيي في موضع المأمون وتماشيا وأخذ بيده فوضعها على عاتقه حتى صار الى المجلس .. وحدث رجل من آل اسوار بن ميمون عن عمه عبد الله بن اسوار قال دخلت على يحيي بن خالد البرمكي يوماً فقال اجلس وكنت أحد كتابه فقلت ليست معي دواة فقال ويحك في الأرض صاحب صناعة تفارقه آلته وأغلظ لي في حرف علمت انه أراد به خطي وأراني بعض التناقل في كتاب ظهر لي به انه أراد خطي على الأدب لا غير ثم دعا بدواة فكتبت بين يديه كتاباً منه الي الفضل ابنه ورأى مني بعض الضجر فيما كتبت فتوهم ان ذلك من أجل الكلمة التي كلمني بها فأراد أن يمحو عن قلبي ما توهمه علي فقال عليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت ثلاثمائة الف درهم فوقع بخطه الى الفضل في الكتاب

وكلكم قد نال شبعاً لبطنه ... وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

ثم قال ان عبد الله ذكر ان عليه ديناً يخرجه منه ثلاثمائة ألف درهم فاذا نظرت في كتابي هذا وقبل أن تضعه من يدك فأقسمت عليك الا ما حملت ذلك الى منزله من أخصّ مال قِبلك قال فحملها الفضل اليّ وما أعلم لها سبباً الا تلك الكلمة .. وحدث ابراهيم بن ميمون قال حدثني جبريل بن بختيشوع قال اشتريت ضيعةً فنقدت بعضَ الثمن وتعذر عليّ بعضه فدخلت على يحيى وعنده ولده وأنا أفكر فقال لي مالي أراك مفكراً فقلت أنا في خدمتك وقد اشتريت ضيعة بسبعمائة الف درهم ونقدت بعضَ الثمن وتعذر عليّ بعضه فدعا بالدواة وكتب يعطي جبريل سبعمائة الف درهم ثم دفع الكتاب الى ولده فوقّع فيه كل واحد منهم بثلاثمائة الف درهم فقلت جعلت فداك قد أدّيت عامة الثمن وانما بقي عليّ أقله فقال اصرف ذلك في بعض ما ينوبك ثم صرت الى الرشيد فقال ما أبطأ بك قلت يا أمير المؤمنين كنت عند أبيك واخوتك ففعلوا بي كذا وكذا قال فما حالي أنا ثم دعا بدابّته فركب الى يحيى فقال له يا أبت خبرني جبريل بما كان فما حالي من بين ولدك فقال يا أمير المؤمنين مُرْ له بما شئت يحمل اليه فأمر بحمل مال الى جبريل .. وكان ابراهيم بن جبريل على شرطة الفضل فوجهه الى كابُل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة ثم ولاه سجستان فلما انصرف منها كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف الف درهم فلما قدم بغداد وبني داره في البغويين استزار الفضلَ بن يحيى ليُريه نعمته عليه وأعدّ الهدايا والطرَف وآنية الذهب والفضة والوُصَفاء والوَصائف والدواب والقِباب والثياب وما تهيأ لمثله ووضع الأربعة الآلاف ألف درهم في ناحية من الدار فلما تغدّى الفضل قدم اليه تلك الهدايا فأبى أن يقبل منها شيئاً وقال لم آتِك لأسلبك فقال أيها الأمير انها نعمتك عليّ قال ولك عندنا مزيد قال فلم يزل يطلب اليه فأخذ من جميع ذلك سوطاً سِجزيًّا فقال هذا من آلة الفرسان فقال ابراهيم أيها الأمير فهذا المال من مال الخراج تأمر بقبضه قال هو لك فأعاد عليه القول مراراً فقال مالك بيتٌ يَسَعهُ فوهب له المال بعد ان كان قد صار اليه الف الف درهم .. قال ودخل قوم من حاشية المنصور وخدمه عليه فرأى منهم رجلا عليه سوادٌ خَلَق فقال له يا فلان مالي أرى سوادك متقطعاً أما تقبض رزقك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن أبي توفي وترك

ديناً فبعت تركته في قضاء دينه وصرفت أكثر رزقي الى حُرمته وولده من بعده فقال أعدْ عليّ ما قلت فأعدته فقال ما أحسن ما فعلت اغدُ عليّ في غدٍ فغدا عليه فوجد الربيع جالساً على الكرسيّ فقال قد سأل عنك أمير المؤمنين فادخل فدخل فوجده قائماً يصلّي فقضي صلاته وقال ألم آمرك أن تغدو فقال يا أمير المؤمنين ما قصرت في الغدو عند نفسي قال خذ ما تحت تلك المضرّبة واذا السراج يزهر وسرير صغير في ناحية المجلس ينام عليه فرفعت المضربة فاذا دنانير فجعلت أحثوها في كمي ثم دعوت له وخرجت فبصر بصفرة دينار في ضوء السراج فدعاني فقال انظر ما على السرير فاذا دينار فأخذته فقال ادن مني فدنوت منه فعرك أذني تعريكا شديداً فقال تترك ديناراً وفيه نفقة يومك قال فأخذت الدينار ووزنتُ الدنانير واذا هي الف دينار عددها تسعمائة وتسعة وتسعون ديناراً في عافية وأخذت واحداً بعرك الاذن .. قيل وقال علقمة بن لبيد لابنه يابني ان نازعتك نفسك يوماً الى صحبة الرجال لحاجتك اليهم فاصحب مَن ان صحبته زانك وان تخففت له صانك واذا نزلت بك خلة مانَك وان قلتَ صدّق قولك وان صُلت به شدد صَولك اصحب من اذا مددت يدك لفضلٍ مدّها وان رأى منك حسنةً عدّها وان بدت منك ثلمةٌ سَدها اصحب من لاتأتيك منه البوائقُ ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق .. وقال بعض الحكماء اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة فانه تاركك كما ترك صاحبه .. وقال آخر اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه .. وقال بعضهم أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل .. وقال بعضهم أنا أطوع لك من الرِداء وأذل من الحِذاء .. قيل وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات ماخبرُك مع صاحبك قال لا يقصر في الاحسان اليّ قال يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

مساوى الصحبة

قال كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً فى عمله فحدّث المدائنى قال وزن يوسف بن عمر درهماً فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق فضُرب أهلها مائة سوط .. قيل وخطب فى مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد اضربوا عنقه فضربت عنقه .. قال وقال لهمّام بن يحيي وكان عامله يا فاسق أخربت مِهرَجانقَذَق قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وتقول أخربت مهرجانقذق فلم يزل يوسف يعذبه حتى قتله .. قال وقال لكاتبه ما حبسك عنى قال اشتكيتُ ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا له بالحجام وأمره بقلع ضرسَين من أضراسه .. وعن المدائنى قال حدثني رضيعٌ كان ليوسف بن عمر من بني عَبس قال كنت لا أحجب عنه وعن حُرمه فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصيٍّ أسود يقال له حُدَيج فقرب اليه واحدةً فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلّفك أم أشخصك معي فقالت صحبة الأمير أحبّ اليَّ ولكنى أحسب ان مقامي وتخلفى أعفى وأخفُّ عليّ قال أحببتِ التخلف للفجور اضرب يا حديج فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بأخرى قدرأت مالقيت صاحبتها فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل يخرجني قال أحببتِ الجماع ما تريدين أن يفوتكِ اضرب ياحديج فضربها حتى أوجعها ثم أمر بالثالثة أن يأتيه بها وقد رأت مالقيت المقدّمتان فقال لها أُريد الخروج أفأخلفك أم أشخصك قالت الأمير أعرف أى الأمرين أخف عليه قال اختارى لنفسكِ قالت ماعندى لهذا اختيار فليختر الأمير قال قد فرغت أنا الآن من كل شئ ومن كل عمل ولم يبق عليّ الا أن أختار لك اوجع ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل وكأنما كان يضربني من شدة غيظي عليه فولت الجارية وتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك ما تقرّ والله عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول يا حديج قال قالت كذا وكذا قال يا ابن الخبيثة مَن أمرك أن تخبرني ياغلام خذ السوط من يده واوجع به رأسه فمازال

يضربه حتى اشتفيت

محاسن السخاء

روى عن نافع قال لقى يحيى بن زكرياء عليه السلام ابليس فقال له اخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الىّ كل مؤمن بخيل وأبغض الناس الىّ كل منافق سخيّ قال ولم ذاك قال لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له .. وقال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخيٌّ أحب الى الله تعالى من عابد بخيل وأدوى الداء البخل .. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماأشرقت شمس إلا وبجنبتيها ملكان ينداديان وانهما ليسمعان الخلائق الا الثقلين الجن والانس اللهم عجل لمنفقٍ خلفاً اللهم عجل لممسكٍ تلفاً وملكان ينداديان يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ماقلّ وكفى خير مما كثر وألهى .. وعن الشعبي قال قالت أم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته وكانت تعتق كل يوم رقبة وتحمل على فرس فى سبيل الله وكانت تقول البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة .. قيل واعتقت هند بنت المهلب في يوم واحد أربعين رقبة .. وروى عن أمّ ذرّ قالت أرسل ابن الزبير الي عائشة بثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فقسمته بين الناس حتى أمست وما عندها من جميع ذلك درهم واحد فقالت ياجارية هلمي فطريني فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها يا عائشة أما استطعت مما قسمت أن تشتري لحماً بدرهم فقالت لا تغضبي فلو ذكرتني لفعلت وقيل أنها تصدقت بسبعين الف درهم وان درعها لمرقع .. وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمانٌ واتلاف ومذمة .. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عليّ كن شجاعاً فان الله جل وعز يحب الشجاع ياعلي كن سخياً

فان الله عز وجل يحب السخاء يا على كن غيوراً فان الله عز وجل يحب الغيور ياعلى وان سائل سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت لها أهلا .. وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة فى الجنة أغصانها فى الدنيا من أخذ منها بغصن قاده ذلك الغصن الى الجنة .. قيل وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء فى بخلهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل لكان عظيما .. وقال صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخى فان الله جل وعز يأخذ بيده كلما عثر .. وقال بهرام جور من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الأشياء فلينظر الى ما جاد الله عز وجل به من المواهب الجليلة النفيسة والنسيم والريح وما وعدهم فى الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطنعه لنفسه .. قال وقال الموبذ لأبرويز أكنتم وآباؤكم تمنون بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة فقال لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك لأنفسنا وفى كتاب ديننا ان من أظهر معروفاً خفياً ليتطاول به على المنعَم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا يُعدّ فى الأبرار ولا يُذكر فى الأتقياء والصالحين .. قال وسئل الاسكندر ما أكثر ما سررت به من ملكك قال اقتداري على اصطناع الرجال والاحسان اليهم .. قال وقال ارسطاطاليس فى رسالة له الى الاسكندر اعلم ان الأيام تأتي على كل شئ فتُخلق الآثار وتميت الأفعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فأودع قلوبهم محبة بمآثرك يبق بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشريف آثارك .. قيل ولما قدّم بزرجمهر الى القتل قيل له أنت فى آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به فقال أي شئ أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل .. قيل وتنازع رجل من أبناء الأعاجم واعرابيٌّ فى الضيافة فقال الاعرابي نحن أقرى للضيف قال وكيف ذلك قال لأن أحدنا ربما لم يملك الا بعيراً فاذا حلّ به ضيف نحره له قال العجمى فنحن أحسن مذهباً فى القِرَى منكم قال وما ذاك قال نسمي الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به .. وقال بعض الحكماء قام بالجود من قام بالمجهود .. وقيل من لم يضن بالموجود هو الجواد .. وقال المأمون الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود .. وقيل شكا رجل الى اياس بن

معاوية كثرة ما يهب ويصل وينفق فقال ان النفقة داعية الى الرزق وكان جالساً بين بابين فقال للرجل اغلق هذا الباب فأغلقه فقال هل تدخل الريح البيت قال لا قال فافتحه ففتحه فجعلت الرياح تخترق فى البيت فقال هكذا الرزق انك اذا أغلقت الباب لم تدخل الريح وكذلك اذا أمسكت لم يأتك .. قيل ووصل المأمون محمد بن عباد المهلبي بمائة الف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال يا أبا عبد الله ان بيوت المال لا تقوم لهذا فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء ظن بالمعبود .. وعن أمية بن يزيد الأموي قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفاً فيه وعد وقلة طمع فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته وقال اعطه أربعمائة دينار فاستكثرناها وقلنا كنت رددت عليه ردًّا ظننا انك تعطيه شيئاً قليلا فاذا أنت قد أعطيته أكثر مما أمل فقال انى أحب أن يكون فعلى أحسن من قولي .. وبحاتم يضرب المثل فى السخاء فحدثنا عن بعض رجالات طيء قال كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفراً اذا قاتل غلب واذا غنم أنهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقدح سبق واذا أسرَ أطلق وكان أقسم أن لا يقتل واحدَ أمّهِ ولما بلغ حاتماً قول المتلمس

وأعلمُ علمَ حقٍ غيرَ ظنٍّ ... وتقوى اللهِ من خيرِ العَتادِ
لَحفظُ المالِ خيرٌ من بُغاهُ ... وطَوْفٍ فى البلادِ بغيرِ زادِ
قليلُ المالِ تُصلحُه فيَبْقى ... ولا يَبقى الكثيرُ على الفَسادِ

قال ماله قطع الله لسانه حرّض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفنى المال قبلَ فَنائهِ ... ولا البخلُ فى مالِ الشحيحِ يزيدُ
فلا تَلْتَمِسْ بُخلاً بعَيشٍ مقتّرٍ ... لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألم ترَ أن الرزقَ غادٍ ورائحٌ ... وانّ الذى يُعطيك غيرُ بعيدِ

قيل ولما مات حاتم خرج رجل من بني أسد يعرف بابى البحتري فى نفر من قومه وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره فقال والله لأحلفنّ للعرب أني نزلت بحاتم وسألته القِرَى فلم يفعل وجعل يضرب برجله قبره وهو يقول

أعجل أبا سَفَانَةٍ قِراكا فسوف أُبني سائلي ثناكا

فقال بعضهم ما تنادى إلا رِمّة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه فزعاً فقال يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتماً أنشدني

أبا البُحتُرِيِّ وأنت امرؤٌ ظلومُ العشيرةِ شتّامُها
أتيتَ بصحبك تبغي القِرَى لدَى حفرةٍ صَخِبٍ هامُها
تُبغّى لىَ الذمَّ عندَ المَبيتِ وحوْلَك غوْثٌ وأنعامُها
فإنا سَنشبعُ أضيافَنا ونأتِي المطيَّ فنعتامُها

قيل ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره قِرىً فنحرَ ناقة الضيف وعشاه وغداه ثم قال له انك أقرضتني ناقتك فغديتك فاحتكم قال راحلتين قال لك عشرون أرضيتَ قال نعم وفوق الرضى قال فلك أربعون ثم قال لمن بحضرته من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فأتوه بأربعين فدفعها الى ضيفه .. وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عَنزة ناداه أسير لهم يا أبا سفّانة أكلنى الاسار قال ويلك والله ماأنا فى بلادى ومامعي شئ وقد أسأت أن نوّهت بي فذهب الى العنزيين فساومهم به واشتراه منهم وقال خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى أؤدىَ فِدَاءه ففعلوا فأتاهم بفدائه .. وقيل في المثل هو أجود من كعب بن مامة وكان من اياد وبلغ من جوده انه خرج فى ركب وفيهم رجل من أهل النمر بن قاسطٍ فى شهر ناجر والنّجَر العطش فضلوا وتصافنوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أصاب كعباً نصيبه قال اعط أخاك يصطبح فيؤثره على نفسه حتى أضرّ به العطش فلما رأى ذلك استحثّ راحلتَه وبادر حتى رفعت له أعلام الماء وقيل له رِدْ كعبُ فانك وارد فغلبه العطش فمات ونجا رفيقه .. وقيل فى المثل هو أسمح من لافِظة وهى العنز تُستدعى للحلب فتجيء اليه وهي تلفظ بجرّتها فرحا بالحلب .. وقال الشاعر

يداكَ يَد خيرُها يُرتجى وأخرَى لأعْدَائها غائظَه
فأما التى خَيرُها يُرتجى فأجودُ جوداً من اللافِظَه
وأما التى شَرُّها يُتّقي فنفسُ العدوِّ بها فائظَه

قيل وخرج معاوية بن أبي سفيان ذات يوم فقام اليه رجل فقال قد أملتك لمهم فما عوضي من ذلك قال إبلاغك أمنيتك فتمنى قال الف دينار قال هي لك ومثلها استظهاراً لبقاء النعمة عليك .. وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه يا بني ان ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم ودوابكم تحت غيركم أحسن منها تحتكم .. وكان يقول لولده لا تتكلوا على ماسبق من فعلي وافعلوا ما ينسب الي ثم قال متمثلاً

إنما المجدُ ما بنى والدُ الصدْ ... قِ وأحيى فعالَهُ المولودُ

ويقول ابتداء الفضل يدٌ موفورة والبذل بعد الطلب يد مقبوضة .. فأما صلات الخلفاء وسخاؤهم فانه حدثنا هارون بن محمد بن اسماعيل بن موسى الهادى قال حدثني علي بن صالح قال كنت يوماً على رأس الهادى وأنا غلام وقد جلسنا المظالم ثلاثة أيام عاثر العقار فيها فدخل عليه الحراني فقال يا أمير المؤمنين ان العامة لا تقاد أو قال لا تنقاد لما أنت عليه لم تنظر في أمر المظالم منذ ثلاثة أيام فالتفت الي وقال يا علي ائذن للناس علي بالجفلى لا بالنقرى فخرجت من عنده وأنا أطير على وجهي لا أدرى ما قال لي فقلت أرجع فأسأله عما قال فيقول تحجبني ولا تعلم كلامي ثم أدركني ذهني فبعثت الى أعرابي كان وفد علينا فسألته عن الجفلى والنقرى فقال الجفلى جفالة الرجال والنقرى ترتيبهم فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت فدخل الناس على بكرة أبيهم فلم يزل ينظر في المظالم الى الليل فلما تقوض المجلس قلت يا أمير المؤمنين كلمني بكلام لم أعرفه فبعثت الى اعرابي كان عندي ففسره لي وفهمني فكافه عني يا أمير المؤمنين فقال نعم مائة الف درهم تحمل اليه فقلت يا أمير المؤمنين أعرابي جلف وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه فقال ويحك أجودُ وتبخل .. قال وحدثنا عبد الله بن عمرو البلخي عن ابن دأب انه كان يأكل مع الهادى وينادمه وكان يدعو له بتكاء وما كان يفعل ذلك في مجلسه بغيره وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة كثير النادرة جيد الشعر حسن الانتزاع قال فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار فلما أصبح وجه قهرمانه الى باب موسى وقال له ألق الحاجب فقل له يوجه الينا بهذا المال فلقي الحاجب فأداه برسالته فتبسم وقال هذا ليس الي فانطلق الي صاحب التوقيع ليخرج اليك كتاباً الى الديوان فتدبره ثم تفعل فيه

كذا وكذا فرجع الى ابن دأب فأخبره فقال دعها ولا تعرض لها قال فبينا موسى في مستشرف له اذ نظر الى ابن دأب قد أقبل وليس معه الا غلام واحد فقال لابراهيم الحرّاني أما ترى ابن دأب ما غيّر من حاله شيئاً وقد بررناه بالأمس لنرى أثر ذلك عليه فقال ابراهيم ان أمرني أمير المؤمنين تعرضت له بشيء من أمره قال لا هو أعلم بأمره ودخل ابن دأب وأخذ في حديثه الى أن عرض له موسى بذكر ذلك فقال أرى ثوبك غسيلا وهذا شتاء يحتاج فيه الى الثوب الجديد اللين فقال يا أمير المؤمنين باعي قصير عما احتاج اليه قال وكيف وقد صرفنا اليك من برنا ما ظننا ان فيه صلاح شأنك قال ما وصل اليّ ولا قبضته فدعا صاحب بيت مال الخاصة وقال عجل له الساعة ثلاثين الف دينار فأحضرت وجعلت بين يديه .. وقال الحسن بن يحيى بن عبد الخالق حدثني محمد بن القاسم بن الربيع قال أخبرني محمد بن عمرو الروميّ قال حدثني أبي قال جلس الهادي مجلساً خاصاً فدعا بابراهيم بن جعفر بن أبي جعفر وابراهيم بن سلم بن قتيبة بن مسلم والحرّاني فجلسوا عن يساره ومعهم خادم للهادي أسود يقال له أسلم اذ دخل صالح صاحب المصلّى فقال هارون بن المهديّ قال أئذن له فدخل وسلم عليه وقبل يده وجلس عن يمينه بعيداً فأطرق موسى ثم التفت اليه وقال يا هارون كأني بك تحدث نفسك بتمام الرؤيا وتؤمل ما أنت منه بعيد ودون ذلك خَرْطُ القَتادِ تؤمل الخلافة قال فبرك هارون على ركبتيه وقال يا موسى ان تجبرت وُضِعتَ وان تواضعت رُفِعت وان ظلمت خُتلتَ واني أرجو أن يفضي اليّ الأمر فأُنصفَ من ظلمتَ وأصلَ من قطعت وأصيّر أولادك أعلى من أولادي وأزوجهم بناتي وأبالغ ما يجب من حق الامام المهديّ فقال له موسى ذلك الظن بك يا أبا جعفر ادن مني فدنا وقبل يده ثم ذهب يعود الى مجلسه فقال لا والشيخ الجليل والملك النبيل أعني أباك المنصور لا جلستَ الا معي فأجلسه في صدر المجلس معه ثم قال يا حراني إحمل الى أخي الف الف دينار واذا افتتح الخراج فاحمل اليه النصف واعرض عليه ما في الخزانة الخاصة وسائر الخزائن من مالنا وما أخذ من أهل بيت اللعنة فيأخذ منه ما أراد قال ففعل ذلك فلما قام قال لصالح ادن دابته الى البساط قال عمرو الروميّ وكان هارون يأنس به قلت يا سيدي ما الرؤيا التي قال لك

قال المهدى رأيت فى منامي كأنى دفعت الى موسي قضيباً والى هارون قضيباً أورقَ من قضيب موسى وأعلى منه فأما قضيب هارون فأورقَ من أوله الى آخره وكان قضيب موسى دون قضيب ذلك فدعا المهدى الحكم بن موسى العنزىّ وهو الذى بني أبوه واسطاً للحجاج فقال له عبر هذه الرؤيا قل يملكان جميعاً فأما موسى فتقل أيامه وأما هارون فيبلغ مدى آخر ما عاش خليفة وتكون أيامه أحسن أيامٍ وأنضرها ودهره أحسن دهر قال فلم يلبث الا أياماً يسيرة حتى مات موسى وتولى الأمر هارون فزوج حمدونة من جعفر ابن موسى وفاطمة من اسماعيل ووفى بكلّ ماقال فكان دهره أحسن الدهور .. محمد بن علىّ بن الحسين العلوى قال كنت عند عمر بن الفرج الرَخجِيّ في اليوم الذى عقد فيه المأمون لأخيه أبى اسحاق على ثغر المغرب ولابنه العباس على الشام والجزيرة ولعبدالله بن طاهر على الجند ومحاربة بابك وعند عمر جماعة من الهاشميين فتذاكرنا أمر هؤلاء الثلاثة فقال عمر فرق أمير المؤمنين فى هؤلاء الثلاثة ما لم يفرق مثله أحدٌ منذ كانت الدنيا أمر لأخيه أبي اسحاق بخمسمائة الف دينار ولابنه العباس بخمسمائة الف دينار ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة الف دينار فمن سخت نفسه بمثل هذا .. وكان للبرامكة في هذا الشأن مالم يكن لأحد من الناس منها انهم كانوا يخرجون بالليل سراً ومعهم الأموال يتصدقون بها وربما دقوا على الناس أبوابهم فيدفعون اليهم الصرةَ فيها بين الثلاثة آلاف الى الخمسة آلاف والأكثر من ذلك والأقل وربما طرحوا ما معهم فى عَتبِ الأبواب فكان الناس لاعتيادهم ذلك يغدون الى العتب اذا أصبحوا يطلبون ما ألقى فيها .. ومنهم خالد بن يرمك فانه حدثنا يوسف بن سلام الزعفرانى قال حدثني أبى قال قال خالد بن برمك يوماً وهو بالري وأراد الخروج الى مجلس له واخراج دوابه الى الخضرة ونحن قيام بين يديه من يخرج مع هذه الدواب قال أبى أنا وليس أحد يجترئ أن يتكلم فقال اخرج معها فخرجت وكنت أحسن اليها فلما رددتها حمد أثرى فيها فقلت أيها الأمير لي حاجة فقال وما حاجتك قلت أمي مملوكة لقوم بالبصرة وحاجتى أن يشتريها الأمير قال وكم ثمنها قلت ثلاثة آلاف درهم قال ثلاثة آلاف درهم قلت نعم قال اعطوه ثلاثة آلاف درهم وقال لي أشترها الآن وأعتقها ثم قال ما تريد قلت الحج أحج وتحج هي أيضاً قال اعطوه

ثلاثة آلاف درهم قلت نحتاج الى خادم يخدمنا قال اعطوه ثلاثة آلاف درهم لثمن خادم قلت نحتاج الى ثمن كسوة قال اعطوه ثلاثة آلاف درهم لكسوتهم فلم أزل أقول وأعدّ شيئاً شيئاً حتى قلت واحتاج الى منزل وأحتاج الى فرس وهو يقول اعطوه ثلاثة آلاف درهم حتى أخذت ثلاثين الف درهم .. قال وحدثنا يزيد البرمكي قال كسا خالد كل ثوب كان له حتي لم يبق عليه من كسوته الا طيلسان خَلَق فاتصل خبره في كسوته بامرأته أم خالد بنت يزيد وكانت بالرى فبعثت اليه بكسوة من الرى طيلسان مطبق لم أر مثله جودة وحسناً وسعةً وكان خالد ذا بسطة في الجسم فكان يحتاج الي أسبغ ثوبٍ وأتمه فوضع بين يديه فنظر اليه ثم رفع رأسه الىّ فقال يا يزيد كيف ترى هذا الطيلسان قلت ما رأيت مثله وان للأمير اليه لحاجة قال خالد أصنع به ماذا قلت تلبسه أيها الأمير قال أنا والله الى غير هذا أحوج قلت وما هو قال ان تقوم الساعة على شريف من أشراف الناس أو حر من أحرارهم فتتحفه به فيقوم فيلبسه كل يوم عيد أو يخرج اذا خرج نحو أهله فيلبسه عند قدومه عليهم فيقول هذا كسوة خالد هذا والله أفضل وأشرف من لبسي اياه قال فكساه بعض عُفاته .. ومنهم يحي بن خالد فانه حدثنا علىّ ابن الحسين الأشقر عن عبد الله بن اسوار قال كنت أخط بين يدى يحي وكان خطى يعجبه فبينا أنا جالس بين يديه اذ ناوله رجل كتاباً فثنى أعلاه وجعل يقرؤه فدخل الفضل ابنه فسلم وجلس ثم أقبل على رجل يحدثه وطرفُ يحي فى الكتاب الذى بيده فقال الفضل لذلك الرجل انى لأعجب كثيراً من أمر نحن فيه كان الرجل يصل الرجل بخمسين الف درهم فتغنيه وعشيرته فيكتفون بها ويرى ذلك فى وجوههم ويتبين عليهم أثره ونحن نصل الرجل بخمس مائة ألف درهم والأكثر فلا نرى ذلك فى وجوههم قالنفت اليه يحي وقطع قراءة الكتاب فقال يا أبا العباس اذا كان أمل الرجل الف الف درهم وأعطيته خمسمائة الف لم تقع منه موقعاً وانما يرى فى وجه الرجل ما بلغ به الأمل فعجب أهل المجلس من كرمه وقوله وما زالوا يحكونه عنه .. وحدث ابن مزروع عن أبيه قال كنت أسيرُ فى موكب يحي بن خالد فعرض له رجل من العامة ومعه كتاب فقال أصلح الله الأمير اختم هذا الكتاب فبادر اليه الشاكرية يزجرونه

من حواشي موكبه فقال دعوه قبل أن لا ننتفع به يعني خاتمه واستدناه فختمه له وتعجب مسايروه من اغتنامه المعروف وعلمه بأفعال الرجال .. وحدث صالح بن سليمان قال وذكر ليحيي وهو مجاور بمكة أن بجُدّة قوماً يصيدون السمك ويبيعونه ويشترون طعامهم به فان لم يجدوا صيداً مكثوا أياماً لا يأكلون يشدُّ الرجل على بطنه حجراً ولا يسألون الناس شيئاً وربما مات أحدهم جوعاً فقال هؤلاء أعجب قوم سمعت بهم ينبغي أن نلتمس الثواب فيهم فبعث فحمل اليه بعضهم فسأله عن حالهم فأخبره فقال وكم أنتم فذكر عدة فقال وكلكم على هذه الطريقة قال نعم قال فما يغنيكم قال تحفر لنا بركة يجتمع فيها ماء السماء فان الماء يعز بالبلاد الا على من كانت له مصنعة فيشرب منها ويبيع فضلها وينتفع بثمنه قال فبكم يكتفي أحدكم في الشهر قال بأربعة دراهم لكل رجل وللمرأة ستة دراهم قال فاني قد أجريت لكل رجل عشرة دراهم ولكل امرأة ثمانية عشر درهماً فهل تتزوجون قال نعم قال فكم مُهور نسائكم قال أربعمائة درهم قال فاني آمر باعطائكم ما أجريت عليكم لسبع سنين ولمهور نسائكم عشرين الف درهم قال من يدفع هذ المال الينا فأشار الى غلام أمرد معه فقال ادفع الى هذا المال فدفع اليه فقال أتأذن أن أشتري أصلحك الله من هذا المال تابوتاً أجعله فيه قال نعم وأمر باتخاذ بركة لهم بلغت النفقة عليها عشرين الف درهم .. وحدثنا يزيد البرمكي قال قدم الواقدي من المدينة بأسوأ حال فصار الى يحيي وهو لا يعرفه فوضع الطويلة على رأسه فركب يحيي وخرج فرآه جالساً على باب داره في زي القضاة فقام الواقدي وأثنى عليه ودعا له ومر يحيي في موكبه الى دار أمير المؤمنين ثم انصرف واذا الواقدي في مجلسه ذلك فقام اليه ودعا له وأثنى عليه فدخل في منزله وجلس الواقدي فسأل يحيي عنه وقال من هذا الشيخ الرث الهيئة فلم يعرفه أحد فقال ويحكم لا أشك الا انه شيخ أصيل معه علم وفقه ودعا بكيس فيه أربعة آلاف دينار وأمر وكيلا له أن يدفعها اليه وكان قُصارى الواقدي ومناه أن يصله بالف درهم فخرج الرسول ووضع الكيس في حجره فلما رأى عظم الكيس أقبل يدعو ليحيي ويُثني عليه ثم قام وانصرف الى منزله وقد أخذته الرعدةُ والحرص أن يرى ما في الكيس فيعرف منتهاه فلما صار الى حجرته استعار من بعض جيرانه ميزاناً وصنجات

ثم فتح الكيس واذا أربعة آلاف دينار فكاد أن يغشى عليه من السرور فرمّ من حاله واتخذ ثياباً سوية وعمد على أن ينصرف الى المدينة فلما كان من الغد بكّر على يحيي ليودعه فدخل وأنشد فرآه عالماً فقيهاً مسامراً بليغاً فأعجب به فقام ليودعه فقال أقم عندنا ولك فى كل حول هذا المقدار فأقام عنده .. وحدثنا يعقوب بن اسحاق قال رأى رجل من الموالى ليحيي رؤيا وكان يحيي على حال الخوف والوجل من الهادى فقص الرؤيا على أبيه فقال يا بني هذه والله رؤيا عجيبة وأخلق به لأن الرشيد في حجره وولاية العهد له قال يا أبت أفترى أن أخبره بها قال يا بنيّ لا تفعل فان السلطان غليظ عليه وهو يرميه بالزندقة وأنا أشفق عليك من اتيانه لأنه لا يقبل مثل هذا فى هذا الوقت فعصى الرجل أباه وأتاه قال الرجل فلما دخلت عليه رأيت المصحف بين يديه يقرأ فيه فعجبت مما قيل فيه فلما خفّ مَنْ عنده دنوتُ منه فقصصت عليه الرؤيا فقال يابن أخى ما أحسن بالرجل أن يلتمس الرزق بالأحسن الأجمل وأقبح به أن يلتمسه على هذا وبما تذكره مما يشبهه فخرجت من عنده وقد سقط وجهي فأتيت أبي فأعلمته فقال بُعداً لك وسحقاً قد نصحت لك فلم تقبل ثم أقبلت اشتمه وتشتمه أمي وأهلي ونشهد عليه انه من الزنادقة المعطلين قال ثم لم يلبث أن توفى الهادى وأفضى الأمر الي الرشيد وصار يحيي الى ما صار اليه فبينا هو فى موكبه يوماً اذ بصر بى فوجه اليّ ودعاني فدخلت عليه وهو على كرسى قد طرح ثوبه وجعل يمسح وجهه فلما دنوت منه قال أين كنت عنا قلت أعزك الله والله ما لقيت منك ما يدعو الى اتيانك قال ويحك انك أتيتنا ونحن فى حال كنا نخوف الجدُر أن يكون فيها من يسعى بنا والاخوان أن يسعوا بنا ويحتالوا علينا ولم يكن الرأى أن أجيبك الا بما أجبتك ووالله ما فارقنى الفكر فى العناية بك والايجاب لك والمعرفة بحقك منذ وقعت عليك عينى ثم أمر سلاّماً باحضار عشرة آلاف درهم فأحضرت وأمر بالكتاب الى سليمان بن راشد بأرمينية فدفع المال اليّ وحملنى وخلع عليّ وقال اذهب فاصلح شأنك وتعال فتسلم كتبك وأمر لي بعشرة من دوابّ البريد فانصرفت الى منزلي وتحتى دابة وعليّ خلعة ومعى عشرة آلاف درهم فقال أبي ما هذا يا بنيّ فأعلمته الخبر فما زلت وأهلي وأبي ندعو له ونشهد انه من الصديقين

والشهداء والصالحين فقلت لبعض جيراننا ما أصنع بعشر دواب البريد فقال اكرِها فانك تصيب فى السكك من تقصر به دوابه عن حاجته فيكترى منك قال فلما كان من الغد عُدتُ اليه فأخذت كتبي وجوازى فلما صرت الى السكة وجدت رجلا كبيراً قد وجه الي تلك الناحية ولم يكتف بما حَمَل عليه من الدوابّ فأكريت منه ثماني دوابّ وخرجت على دابتين أنا على دابة وغلامي على أخرى ولم أزل فى حشم المكترى حتى صرنا الى أول العمل فاذا يحيي قد سبقنى بالكتاب الى سليمان ان رجلا من حاله كيت وكيت وله عندى أيادٍ فاخترتك له فكن عند ظني بك فى أمره وافعل به وافعل قال فوجه سليمان قائداً فى جند عظيم لاستقبالي حتي اذا اتصل به دنوّى استقبلنى فى وجوه أهل البلد فلما دنا منا بادرَ الى الرجل المكترى منى ولم يشك انى هو وسأله فأعلمه المكترى انه فلان بن فلان فقال سليمان توهمتك فلانا قال لست هو ولكنه ذاك وأشار الىّ فأقبل سليمان ركضاً اليّ وتضاءلت منه حياءً لرثاثة حالى فسألنى وأعلمنى انه وجه اليّ وكيله وحمل معه هدايا فقلت ما وصل ذلك الىّ فلما نزلنا وحططنا في بعض تلك المنازل اذا وكيله قد وافى بهدايا واذا دوابّ وبغال موقرة وتخوت وثياب فدخلت البلد وقد حسنت حالى فلما كان من الغد ركب الىّ وقال قد أعلمنى أبو علي أعزه الله عن حالك ووكد علىّ فى كتابه وليس عندى الا اطلاق العمل لك وهاهنا نَشوى الكبرى ونشوى الصغرى وهما من أجل الأعمال بأرمينية ونواحيها فان شئت أن تخرج اليهما فاخرج وان شئت فهاهنا من يبذل عنهما خمسمائة الف درهم قلت لا والله أبقاك الله الا الخمسمائة الالف عجلها لي فأنصرف الى أب شيخ كبير وعيال قد خلّفتهم ورائي قال سليمان ذاك اليك فلما خرج سليمان سألت عن نشوى ونشوى قال فقيل مقاطعتهما خمسمائة الف درهم ويصير الى المقاطع مثلُها ثم لم ألبث من الغد ان أتي رسوله بالمال فخرجت وأهديت يحيي هدايا كثيرة وألطافاً جليلة مما كان برنى به سليمان فلما دخلت اليه تبسم الىّ وقال انّا لم نوجهك لننتفع بك بل وجهناك لتنتفع بنا وسيتصل معروفنا اليك فالزمنا فكسبت بجاهه معما وصل الىّ منه ولم يزل يصلني به عشرين الف الف درهم.. وحدثني أيوب ابن هارون بن سليمان بن علىّ قال جاء يحيي ومعه ابنه جعفر الى عبد الصمد بن علىّ

فسلم عليه وببابه فتى من ولد عبد الله بن على فقام الى جعفر فقبل يده فقال له ائتنى وارفع الىّ حوائجك لأرفعها الى أمير المؤمنين وقد أمرت لك بخمسة آلاف دينار فقال يحيي وقد أمرت لك بمثلها وأجريت عليك ثلاثة آلاف درهم في كل شهر فابعث بمن يقبض ذلك فلما انصرف دعاه عبد الصمد فقال لم فعلت مافعلت فقال أنا ابن أخيك وانما تصلني في السنة بأربعة آلاف درهم وقد أغناني هذا وأبوه فى ساعة واحدة فكيف تلومنى على ذلك .. وحدث يحيي بن محمد قال لما خرج الرشيد الى القاطول قال ليحيي يا أبت لا تفجعنى بك وكن معي فى هذا الوجه لآنس بك فعمد على الشخوص معه فقال لرجاء ابن عبد العزيز وكان على نفقاته كم عندك وكلائنا من المال قال سبعمائة الف درهم قال فاقبضها اليك فعدا اليه فقبل يده ومنصور بن زياد عنده فلما خرج رجاء قال لمنصور قد ظننت ان رجاء توهم انا وهبناله هذا المال وانما أمرناه بقبضه ليكون معنا فى هذا الوجه فقال منصور فأنا أعلمه ذلك قال اذن يقول فقل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقل له شيئاً وترك المال له وكان يحيي يقول اسرف فان الشرف فى السرف .. ومنهم الفضل ابن يحيي البرمكى فانه حدثنا محمد بن على بن عيسى بن ماهان عن محمد بن زيد انه قال دخلت على الفضل بن يحيي وقد خرج من الحمام بعد العصر وهو يقول أعوذ بالله من النار فقلت جعلت فداك اشتر هذا الوجه الحسن من النار فدعا بخمسمائة الف درهم وقال اشتر بها وجهي الساعة فقلت جعلت فداك الوقت ضيق ولكن غداً ان شاء الله فقال لا والله الا الساعة فوجهت الى القضاة فى الجانبين بثلاثمائة الف درهم وحملت الى أبى محمد السمرقندى منها صدراً وأمرتهم عنه بتفريقه وفرقت البقية بحضرتي فلم تغب الشمس حتي فرق ذلك كله .. وحدث محمد بن الحسين بن مصعب قال وقف الفضل بن يحيي بخراسان موقفاً لم يقفه أحد قط خرج الى الميدان ليضرب بالصوالج فأمر بدفاتر البقايا التى على الناس فأحضرت وأمر الحاجب بالخروج الى الناس واعلامهم انه قد وهبها لهم ثم أمر بها فضربت بالنار وكان مبلغ ذلك أكثر من عشرين الف الف درهم .. وحدث بعض الهاشميين عن خلف المصرى قال مررت يوماً بباب يحيي بن مُعاذ فوجدته مغلقاً ولم أر بالباب أحداً فأنكرت ذلك فدنوت الى الباب واستفتحت ففتح لي ودخلت

عليه وسألته عن حاله فذكر انه توارى عن غرمائه فقلت وكم لديّانك عليك فقال ثلثمائة الف درهم ثم مضيت الى الفضل بن يحيى فأخبرته فسكت فلما انصرفت الى منزلى كتب الىّ انك دللتنا على مكرمة فشكرناك على ذلك وأمرنا لك بمائة الف درهم لدلالتك وبعثنا اليك بثلاثمائة الف درهم لتوصلها الى يحيى بن معاذ فأوصلتها اليه فقضى دَينه بها ..

قيل ودفع حمزة بن جعفر بن سليمان الى أبى النضير الشاعر رقعة ليوصلها الى الفضل يسأله فيها الاذن له فى ابتياع ضيعة بفارس وكان مبلغ ما يوزن فى ثمنها مائة الف درهم قال أبو النضير فأخذتها منه فدفعتها الى الفضل فنظر فيها ووضعها فاغتممت لما رأيت من قلة نشاطه لها فلما أصبحت قيل لى خُزّان بيت المال يطلبونك فظننت انه نظر لى بشيء فى خاصتي فأتيتهم فقالوا لى أحضر من يحمل المائة الألف الى صاحب الرقعة فحملتها الى حمزة فصرت اليه فقلت له أصلح الله الأمير وصلَت الىّ صلتك ولا والله ما أدرى كيف أشكرك الا بقول أبي النضير فيك

وللناسِ مَعْروفٌ وَفيهِمْ صَنائِعٌ ... ولَنْ يَجْبُرَ الأَحْزَانَ إلاّ جَدَا الفَضلِ

إذا ما العَطايَا لم تَكُن بَرَمَكِيّةً ... فتلكَ العَطايَا مَا تُمِرُّ وما تُحلِي

قال أبو النضير فالتفت الىّ الفضل فقال يا أبا النضير جزاؤك عندى فوصلنى حتى أغنانى .. وحدث أحمد بن علىّ الشيقى وغيره ممن ينزل بنهر المهدى قال أقبل الفضل بن يحيى يوماً على نهر المهدىّ يريد منزله بباب الشماسيّة فاستقبله فتى من الأبناء قد أُملِكَ ومعه جماعة كثيرة قد ركبوا معه فى السواد والسيوف وهكذا كانوا يفعلون يركبون مع الرجل عند إملاكه ويستعيرون الدوابّ ويسيرون خلفه ويطرّقون بين يديه قل فترجّل الفتى للفضل وقبل يده ورجله فسأله عن شأنه فأخبره فقال كم أصدقت أهلك قال أربعة آلاف درهم فدعا قهرمانه وقال احمل اليه الساعة أربعة آلاف درهم لصداق أهله وأربعة آلاف درهم لشراء منزل ينزله وأربعة آلاف درهم لنفقة تحويل أهله وأربعة آلاف درهم للنفقة على الوليمة وأربعة آلاف درهم ليتصرف بها فى معيشته قال أحمد بن علىّ فأشاروا على الفتى أن يسأله أن يأمر قواده وحشمه بإتيانه فأمرهم بذلك فأتوه وجعلوا يطرحون العشرة الآلاف الدرهم والخمسة الآلاف الدرهم والأقلّ والأكثر فى مجلسه حتى اجتمع له

خمسون الف درهم سوى ما أعطاه الفضل .. وحدث أحمد بن علي قال حدثنا رجل من جيراننا ان الفضل بن يحيى مرّ في يوم صائف منصرفاً من المدينة يريد منزله فقال الرجل لا والله إنْ في منزلي قليل ولا كثير فعطس الفضل فقال يرحمك الله وقد كان سمع يميني فأمر بعضَ غلمانه أن يحملني معه على دابّته فلما صار بي الى قصره أخرج اليّ خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب فانصرفت بها الى منزلي فقالت لي امرأتي والله لقد خرجتَ من عندنا وما تملك قليلا ولا كثيراً فمن أين سرقت هذا قال فأعلمتها القصة فلم تصدق قولي واستراب الجيران بحالي وتناهي الخبر الى السلطان فطمع فيّ وأخذني فحبسني فقلت له انه كان من أمري كيت وكيت فوقع خبري الي الفضل فأمر باحضاري فلما أحضرت ورآني عرفني وأمر باطلاقي ووصاني بخمسة آلاف أخرى وبعشرة أثواب وقال تعهدنا ننفعك فلم يزل ينفعه حتى حدث من أمرهم ماحدث .. وعن أحمد بن محمد بن عبد الصمد ان رجلا كان ينزل على نهر المهدي وكانت عليه نعمة فزالت فلم يقدر على شيء فمطر الناس ثلاثة أيام متتابعة فبقي في منزله لايقدر على الخروج فأضرّ به ذلك وأبلغ اليه الجوع والى عياله فلما كان في آخر الليل جاء الى البقّال بقصعة له ليرهنها عنده على خبز فانتهره البقال وقال ما أصنع بهذه القصعة وأبى ان يعطيه عليها شيئاً قال فعاد الى منزله مغموما لاحيلة له فرفع يده الى السماء وقال اللهم سُقْ اليّ في هذه الليلة عبداً من عبادك تحبه يفرج عني ماأمسيت فيه فما شعرت الا والباب يُدقّ عليّ فاذا رجل على حمار قد حفّ به خدم فقال لي كم عيالك قلت كذا وكذا فاعطاني كيساً قدّرت ان فيه خمسة آلاف درهم فقلت الحمد لله الذي استجاب دعائي وفرج عني فقال لي وما كان قولك ودعاؤك فخبرته الخبر بصنيع البقال وما دعوت الله جل وعز به فاستحلفني انى دعوت بهذا الدعاء فحلفت له فأمر لي بمائة ألف درهم فسألت بعض أولئك الخدم عنه لأعلم هل يقدر على ماأمر لي به أم لا فقال هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكيّ فسكنت الى ذلك وانصرفت الى منزلي ومضيت الى قهرمانه لما أصبحت فقبضت منه المال .. وحدث خلف بن عمر المصري قال كنا عند الفضل ذات ليلة فقال أتعرفون رجلا كانت عليه نعمة فزالت عنه حتى

أردها عليه فقال الأشعريّ وكان قاضياً أعرف أصلحك الله رجلا شريفاً من آل خالد ابن عبد الله القسريّ بالكوفة قد أضرّت به الحاجة وسماه له فكتب الى عامل الكوفة احمل اليّ فلانا على البريد فقد بعثتُ بجوازه فلم يعلم الخالديّ حتى حمله العامل على البريد ووجهه اليه فلما قدم عليه دعاه وسأله عن حاله وأمر له بمائة ألف درهم وقال أقمْ بها مروءتك حتى أنظر في أمرك وأدبر لك مايصلح حالك ثم ولاه كَرْمان فصار اليها وحسنت حاله ثم ان كتاب صاحب البريد بها ورد على الفضل بن يحيى بوفاة الكوفي فقال لنا أتدرون ماقال الفارسى فى مثل له فذكر المثل بالفارسية ثم فسره بالعربية فقال الى أن يُدرك الحشيش قد مات الحمار أردت بهذا الرجل الغنى فمات قبل ذلك واغتمّ لوفاته ولما فاته من الاحسان اليه بعد الذى قد كان أعطاه وأكسبه من مُرافق العمل الذى ولاّه وتقدم بحمل جميع ماخلّفه الى أهله فحمل اليهم .. وحدثنا أبوطالب الجعفريّ قال حدثني سليمان بن أبى جعفر ان محمد بن ابراهيم الامام ركب الى الفضل ابن يحيى يوما وكان قد ركبه دين وحمل حُقّة فيها جوهر فلما وصل اليه قال قد لزمنى دين أحوجنى الى احتيال ألف ألف درهم وعلمت ان التجار لايسمحون باخراج مثلها وان وثقنا الرهن ولك معاملون وتجار مطيعون ومعي رهن فان رأيت ان تأمر بقبضه وحمل هذا المال الينا فأنت أولى بذلك فقال الفضل نعم لنا تجار يطيعوننا ويسارعون الى أمرنا ولكن ماهذا الرهن فوضع الحُقّة بين يديه ففتحها حتى نظر اليها فأعجب بالجوهر الذى فيها ثم أمر باعادتها الى حالها وقال ضع خاتمك عليها فختمها قال فقال الفضل ان نجح الحاجة ان تقيم في منزلى الذى أنا فيه فقال يشقّ عليّ المقامُ فقال وما يشق عليك ان رأيت ان تلبس من ثيابنا شيئاً دعوت لك به والا فأبعث الى منزلك لتؤتى به فأقام عنده ونهض الفضل فدعا وكيله وأمر ان يحمل الى منزل محمد بن ابراهيم ألف ألف درهم مبدّرة ويضعها قُبالة مجلسه ليراها اذا دخل ففعل الوكيل ذلك وانصرف محمد الى منزله مع المغرب فلما دخل وقعت عينه على المال فقال ماهذا قالوا وجّه به الفضل قال أحسن الله جزاءه فانه وان كان وجّه بذلك على مارهناه فقد ظهر لنا من عنايته ماقدرناه فيه قالوا وما الرهن قال الحُقّة قالوا قد ردها تحت خاتمك

فقال أين هي فأتى بالحُقّة ففتحها حتى نظر اليها وفرح فرحاً شديداً فغدا الى الفضل فوجده قد سبقه الى دار أمير المؤمنين فتبعه فلم يزل واقفاً ينتظره حتى خرج الفضل من باب آخر فصار الى منزله وشكر له ما كان منه وانصرف عنه فلما دخل منزله وجد فيه ألف ألف درهم سوى الأولى فقال ماهذا قالوا بعث به الفضل فأتاه فقال له جُعلت فداك أما كان فيما وجّهتَ به أمس كفاية حتى أردفتَهُ بمثله فقال انه والله طالت عليّ ليالي فركبتُ الى أمير المؤمنين وأعلمته حالك فأمرني بالتقدير لك فقدّرت مائة ألف دينار فما زال يقول ويما كسني حتى وقفتُ على ألف ألف فأمر لك بها فلم أنصرف الى المنزل حتى حُمِلَ المال اليك فقال محمد لست أجد لك شكراً أقضي به حقّك غير انه عليّ من الأيمان المغلّظة إنْ وقفتُ بباب أحد سواك أبداً حتى ألقى الله جل وعز ولا أسأل أحداً حاجةً مابقيتُ سواك فكان لايركب الى أحد سوى الفضل ولا يقف بباب أحد غيره .. ومن كرمه ماحُدّثَ به المأمون فكبر عنده واستحسنه وعجب من جوده وسعة صدره فانه بلغنا عن عمرو بن مسعدة قال رفعت قصة الى المأمون منسوبة الى محمد بن عبد الله يمُتّ فيها بجُرمه ويزعم انه من أهل النعمة والقدر وانه مولى ليحيي بن خالد وانه كان ذا ضيعة واسعة ونعمة جليلة وان ضياعه قُبِضت فيما قُبِض للبرامكة وزالت نعمته بحلول النقمة عليهم فدفعها المأمون الى ابن أبي خالد وأمره أن يضم الرجل الى نفسه وان يُجرى عليه ويحسن اليه ففعل ذلك به وصلحت حاله وتراجع أمره وصار نديماً لابن أبي خالد لا يفارقه فتأخر عنه ذات يوم لمولودٍ وُلِدَ له فبعث اليه فاحتجب عنه فغضب عليه ابن أبي خالد وأمر بحبسه وتقييده وإلباسه جُبّة صوف فمكث كذلك أياماً فسأله المأمون عنه فقص عليه قصته وعظم عليه جرمه وشكا ما يراه عليه من التيه والصَلَف والافتخار بالبرامكة والسمو بآبائهم فأمره باحضاره فأحضر في صوفه فأقبل عليه المأمون بالتوبيخ مصغّراً لقدره مسفّهاً لرأيه وعظم في عينه إحسان ابن أبي خالد اليه مع طعن على البرامكة ووضع منهم فأطنب في ذلك فقال محمد ياأمير المؤمنين لقد صَغّرتَ من البرامكة غيرَ مصغّر ووضعت منهم غير موضوع وذممت منهم غير مذموم ولقد كانوا شفاء أسقام دهرهم وغياث إجداب عصرهم كانوا

مفزعاً للملهوفين وملجأً للمظلومين وان أذن لي أمير المؤمنين حدثته ببعض أخبارهم ليستدل بذلك على صدق قولي فيهم ويقف على جميل أخلاقهم ومحمود مذاهبهم فى عصرهم والأفعال الشريفة والأيادي النفيسة قال هات قال ليس بانصاف محدث مقيّد فى جُبّة صوف فأمر فأُخذ قيده فقال ياأمير المؤمنين ألَمُ الجبّة يحول بينى وبين الحديث فأمر فخلع عليه ثم قال حديثك قال نعم يا أمير المؤمنين كان ولائي وانقطاعي الى الفضل فقال لى الفضل يوماً بمحضر من أبيه وأخيه جعفر ويحك يا محمد انى أحب أن تدعوني دعوة كما يدعو الصديق صديقه والخليل خليله فقلت جعلت فداك شأنى أصغرُ من ذلك ومالى يعجز عنه وباعي يقصر عن ذلك وداري تضيق عنه ومنّتي لاتقوم له قال دع عنك ذلك فلا بد منه فأعدتُ عليه الاستعفاء فرأيته جادًّا فى ذلك مقيما عليه وسألاه ذلك واعلماه قصور يدى عن بلوغ مايجب ويشبه مثله فقال لهما لست بقانعٍ منه دون أن يدعونى وايا كما لارابع معنا فأقبل عليّ يحيي وقال قد أبى أن يعفيك وان لم يكن غيرنا فأقعِدنا على أثاث بيتك فلا حشمةَ منّا وأطعمنا من طبيخ أهلك فنحن به راضون وعليه شاكرون فقلت جعلت فداك ان كنت قد عرضت عليّ ذلك وأبيت إلاّ هتكى وفضيحتى فالأقل ان توجلنى حتي أتأهب فقال استأجل لنفسك فقلت سنة فقال ويحك أمعنا أمانٌ من الموت الى سنة فقال يحيي أفرطت فى الأجل ولكنى أحكم بينكما بما أرجو أن لايرده أبو العباس واقبله أنت أيضاً فقلت احكم وفقك الله للصواب وتفضل عليّ بالاستظهار والفسح فى المدة فقال قد حكمت بشهرين فخرجت من عندهم وبدأت برم داري واصلاح آلتي وشراء ما أتجمل به من فرش وأثاث وغير ذلك وهو فى ذلك لايزال يذكرني ويعد الأيام عليّ حتى اذا كانت الجمعة التي تجب فيها الدعوة قال لى يا محمد قد قرب الوقت ولا أحسبه بقى عليك الاّ الطعام قلت أجل ياسيدى فأمرت باتخاذ الطعام على غاية ماانبسطتْ به يدى ومقدرتى وجاءنى رسوله عشية اليوم الذى فى صبيحته الدعوة فقال لى الى أين بلغت وهل تأذن بالركوب قلت نعم بكّر فبكّر هو ويحيي وجعفر ومعهم أولادهم وفتيانهم فلما دخلوا أقبل عليّ الفضل وقال يامحمد ان أول ماأبدأ به النظر الى نعمتك كلها صغيرها وكبيرها فقم بنا اليها حتي أدور فيها وأقف

عليها فقمت معه وطاف فى المجلس ثم خرج الى الخزائن وصار الى بيوت الشراب وخرج في الاصطبلات ونظر الى صغير نعمتي وكبيرها ثم عدل الى المطبخ فأمر بكشف القدور كلها وأبصر قِدْراً منها فأقبل على أبيه وقال هذا قِدْرك الذي يعجبك ولست أبرح دون أن تأكل منه ثم كره أن يأكل فيثلم علىّ فى أكله ويفسد طعامه فدعا برغيف فغمسه فى القدر وناوله اياه ثم فعل ذلك بأخيه ودعا بخِلَال وخرج الى الدار ووقف فى صحنها مفتّناً طرفَه في فنائها وبنائها وسقوفها وأروِقتها ثم أقبل علىّ وقال مَن جيرانك قلت جعلت فداك عن يميني فلان بن فلان التاجر وعن شمالي فلان بن فلان الكاتب وفى ظهر دارى رجل من بني برجا كبير فهو فى بنائه لا يفتر ولا يقصر فقال لي أو تعرفه قلتُ لا قال كان ينبغي لك فى قدرك ومحلك من هذه الدولة ألاّ يجترئ أحد أن يشترى شيئاً فى جوارك الا بأمرك لا سيما اذا كان ملاصقاً لك ولا ترضى لنفسك الا بجار تعرفه فقلت لم يمنعنى من ذلك الا ما كنتُ فيه من الشغل بهذه الدعوة المباركة فقال لى فأين الحائط الذى يتصل بداره فأومأتُ اليه فقال علىّ بنجار فأُتي به فقال افتح هاهنا باباً فأقبل عليه أبوه وقال نشدتُك الله يا بني أن لا تهجم على قوم لا تعرف لهم سبباً وأقبل عليه أخوه بمثل ذلك فامتنع دون فتح الباب فلما رأيته قد ردّ أباه وأخاه أمسكتُ عن مسألته ففتح الباب ودخل وأدخلنى معه فدخلت داراً حار بصرى فيها من حسنها كلها لؤلؤ تُعشى العيون فانتهى الى رواق فيه مائة مملوك فى قَدّ واحد وزيّ واحد عليهم الأقبية الديباج المنسوجة والمناطق المذهبة فلما نظروا الى الفضل عدوا ووقفوا بين يديه واذا شيخ بهيّ قد خرج من بعض تلك المجالس فقبل يده فقال مُرّ بنا ننظر فى مرافق هذه الدار فما دخلت مجلساً من مجالسه الا وقد فرغ تحشيته بالفرش الذى لا يحيط به الوصف وكذلك مرافقها من الستور والبسط وغير ذلك ثم قال للشيخ مُرّ بنا الى عند الدوابّ فدخلنا اصطبلا فيه أربعمائة رأس من الدوابّ والبغال وغيرها فوجدت ذلك الاصطبل أحسن بناء من دارى ثم خرج نحو دور النساء والشيخ بين يديه فلما انتهى الى الباب وقف الشيخ ودخل الفضل وجذبني الى نفسه وأنا معه حتى دخلت بعض تلك الدور فاذا فيها مائة وصيفة كأنهنّ الأقمار قد

أقبلن فى حُلِيهنّ وحللهن فوقفن بين يديه فقال يا محمد هذه الدار أجل أم دارك فقلت يا سيدى وما أنا وما دارى هـذه والله تصلح للأمير لا غَيرِه على تحرُّج منى فى قولى فقال يا محمد هذه الدار بما فيها من الدوابّ والرقيق والفرش والأواني لك ولك عندى زيادة فقلت فى نفسي يهب لي مِلكَ غيره فعلم ما فى نفسى فقال يا محمد انى لما سألتك هذه الدعوة تقدمت الى هذا القهرمان بشراء البراح وأن يعجل الفراغ منه ومن بنائه وحولت اليها ما ترى فبارك الله لك فيها وانصرف بى الى عنـد أبيه وأخيه وحدثهما بما جرى فرأيت أخاه جعفراً قد أمعض من ذلك وتغير وجهه تغيُّراً عرفته ثم أقبل على أبيه يشكو الفضل ويقول يتفرد بمثل هذه المكرمة من دونى فلو شاركنى فيها لكانت يداً أشكرها منه فقال يا أخي بقى لك منها قطبها قال وما هو قال ان مولانا هذا لا يتهيأ له ضبط هذه الدار بما فيها الا بدخل جليل فاعطِه ذلك فقال فرجتَ عنى يا أخ فرج الله عنك فدعا من وقته بصكاك لخمس قريّات واحتمل عنى خراجها فخرج عنى وأنا أيسر أهل زمانى فهل تلومنى يا أمير المؤمنين على ذكرهم والقول بفضلهم فقال المأمون ذهب القوم والله بالمكارم ثم أمر لمحمد بمائة الف درهم وتقدم الى ابن أبى خالد برد مرتبته وتصييره في جملة خواصـه .. وحدثنا غيره قال اصطحب رسول للفضل ورجل كوفىّ فى طريق خُراسان فأقبل الكوفى يسأل عن أفعال الفضل فأخبره بانهابه الأموال الجليلة فى العطايا فقال له الكوفىّ خبرنى عن هذه الأموال التي يهبها يراها وينظر اليها فقال لا قال فمن هناك تهون عليـه فلما وصلا الى الموضع دعا الفضل بالرسول وسأله عما رأى فى طريقه وعما سمع فأقبل يخبره حتي انتهى الى خبر الكوفىّ فذكر له ما قال وكان متكئاً فاستوى جالساً ثم قال يا غـلام ائت صاحب بيت المال فاسأله عن حاصله فقال هو عشرة آلاف الف درهم فقال تحمل الساعة الى دار العامة وتشق عنها البدَر شقّا وتنثرفى وسط الدار قال ففعل ذلك بها ثم قال للرسول هات صاحبك الكوفى فأتي به وأمر الفضل بتفريق ذلك المال على زُوّاره رجلا رجلا واسما اسما على مقاديرهم وما وقع لكل رجل منهم ثم أمر للكوفيّ بمائة الف درهم وقال هذه لك لتنبيهك اياي على هذا الفعل .. ومما قيل فى ذلك

كريمٌ كريمُ الأمهـاتِ مُهذّبٌ تحلّبُ كفّاه الندَى وأنامِلُه

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيتَهُ ... فلُجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُه
جوادٌ اذا ما جئت للعُرفِ طالباً ... حباكَ بما تحوي عليهِ أنامِلُه
ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ رُوحِهِ ... لجادَ بها فليتقّ اللهَ سائلُه

•• وللبحتري في ذلك

لو أنّ كفّك لم تجُدْ لِمؤمّلٍ ... لكفاهُ عارضُ وجهكَ المتهلّل
أو أنّ مجدكَ لم يكن متقادماً ... أغناكَ آخرُ سؤدَدٍ عن أوّلِ

علي بن يحيى النديم قال دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور قال أنشدني قول عُمارة في أهل بغداد فأنشدته

مَن يشترى مني مُلوكَ المَخرَمِ ... أبِعْ حَسَناً وآبني هِشامٍ بدِرهَمِ
وأعطى رَجاءً بعد ذاكَ زيادةً ... وأمنحُ ديناراً بغيرِ تندُّمِ
وان طلبوا مني الزّيادةَ زِدتُهُمْ ... أبادُلفٍ والمستطيلَ بنَ أكثمِ

فقال المتوكل ويلي علي ابن البوال على عقبيه يهجو شقيق دولة بني العباس قلت ياسيدي مَن شقيق دولة بني العباس فقال القاسم بن عيسى فهل عندك من مديحه شيء قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابيّ الذى يقول

أبادُلفٍ انّ السماحةَ لم تزَلْ ... مُغلّلة تشكو الى اللهِ غُلّها
فبشرّها ربي بميلادِ قاسمٍ ... فأرسلَ جبريلا اليها فحلّها

•• ولبكر بن النطّاح في أبي دلف

بطلٌ بصدرِ حُسامهِ وسِنانهِ ... أجلَانِ من صَدَرٍ ومن إيرادِ
وَرِثَ المكارِمَ وابتناها قاسمٌ ... بصفائحٍ وأسِنّةٍ وجِيادِ
يا عِصمةَ العرَبِ التي لو لم تكُنْ ... حيّاً اذاً كانت بغيرِ عمادِ
إنّ العيونَ اذا رأتك حِدادُها ... رَجعَتْ من الاجلالِ غيرَ حِدادِ
واذا رَميتَ الثغرَ منكَ بعَزْمةٍ ... فتّحتَ منهُ مواضعَ الأسدادِ
وكأنّ رُمحَكَ مُنقَعٌ في عُصفُرٍ ... وكأنّ سيفكَ سُلّ من فِرصادِ
لو صالَ من غضبٍ أبودُلفٍ على ... بيضِ السُّيوفِ لَذُبنَ في الأغمادِ

أذكى ونوّرَ للعداوةِ والهوى نارَين نارَ دَمٍ ونارَ رَمادِ

وقال أبو هنّان أنشدته عبد العزيز بن أبي دلف بسُرَّ من رأى فبرّني ثم قال هل خلق مثله قلت لا .. ولغيره فى أبي دُلف

ولو يَجوزُ لقالَ الناس كلهُمُ لولاَ أبُو دُلَفٍ ما أورقَ الشجرُ
قَرْمٌ اذا ماحوَى فى كفّهِ حجراً يفيضُ في كفهِ من جُودِهِ الحجرُ

وأنشد أيضاً رحمه الله

خـلٌّ اذا جِئتَهُ يوماً لتسألَهُ أعطاكَ ما ملكتْ كفاه واعتذَرا
يُخفى صَنائعَهُ واللهُ يظهرُهـا إنّ الجميل اذا أخفيتَهُ ظهَرَا

.. وأنشد

يَداكَ يدٌ غيثُها مُرسَلٌ وأخرى لِأعدائها غائظَه
فأما التي سَيبُها يُرتجى فأجودُ بالمال من لافِظَه
وأما التي شَرها يُتّقى فنفسُ العدُوِّ بها فائظَه

.. وقال آخر

فتىً عاهدَ الرحمن فى بذلِ مالِهِ فليس تراه الدهرَ إلا على العَهدِ
فتى قَصُرَت آمالُهُ عن فِعالِهِ وليس على الحرّ الكريمِ سوَى الجَهدِ

.. وقال آخر

عادَ السُّرورُ اليكَ فى الأعياد وسَعِدتَ من دُنياكَ بالإسعادِ
رِفقاً بِشكرٍ جلّ ما أوليتَهُ رِفقاً فقد أثقلتَهُ بأيادِي
ملأ النفوسَ مهابَةً ومحبـة بَدرٌ بَدا متغـمراً بِسوادِ
ما إن أرى لكَ مُشبهاً فيما أرى أُمُّ الـكرامِ قليلةُ الأولادِ

.. وقال آخر

اذا مَا أتاهُ السّائلونَ توَقّدَتْ عَليهِ مَصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ
لهُ فِي ذُرَى المعروفِ نُعمَى كأنها مَوارِقِع ماء المزنِ فى البلدِ القَفرِ

محاسن صلات الشعراء

قيل دخل جرير على عبد الملك بن مروان وقد أوفده اليه الحجاج بن يوسف فدخل محمد بن الحجاج فقال يا أمير المؤمنين هذا جرير مادحك وشاعرك فقال بل مادح الحجاج وشاعره فقال جرير إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فى انشاده مدحة قال هات آبدأ بالحجاج قال بل بك يا أمير المؤمنين فقال هات ابدأ بالحجاج فأنشده

صَبرْتَ النفسَ يَاابْنَ أبى عَقِيلٍ ... مُحافظَةً فكيف ترى الثوابَا
ولوْ لَمْ تُرْضِ ربَّكَ لم يُنزِّلْ ... مع النصرِ الملائكةَ الغِضابَا
اذا سعَرَ الخليفةُ نارَ حَرْبٍ ... رأى الحجّاجَ أثقبها شِهابَا

فقال صدقت كذاك هو ثم قال للأخطل قمْ فهات مديحاً فقام فأنشد وأجاد وأبلغ فقال أنت شاعرنا وأنت مادحنا قم فاركبه فألقى النصرانيّ ثوبَه وقال خِبَّ يا ابن المراغة فساء ذلك من حضرَ من مُضر وقالوا يا أمير المؤمنين ان النصرانيّ لا يركب الحنيف المسلم فاستحيي عبد الملك وقال دَعْه قال جرير فانصرفت أخزى خلقِ الله حتى اذا كان يوم الوداع دخلت لأودعه فأنشدته

ألستمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المطايَا ... وأندَى العالمين بطونَ راحِ

فقال بلى نحن كذلك أعدْ فأعدت وأسفر لونه وذهب ما كان فى قلبه فالتفت الي محمد بن الحجاج فقال أترى أمّ حزرة يرويها مائة من الابل فقلت نعم يا أمير المؤمنين ان كانت من فرائض كلبٍ فلم تروها فلا أرواها الله فأمر لى بمائة من الابل .. وحدثنا المدائنى عن كيسان عن الهيثم قال حجّ عبد الملك بن مروان ومعه الفرزدق فبينا هو قاعد بمكة في الحجر اذ مرّ به على بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب وعليه مِطرَف خزّ فقال عبد الملك من هذا يا فرزدق فأنشأ يقول

هذا الذى تعرِفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرِفُهُ والحلُّ والحرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهِمِ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
إذا رأتْهُ قريشٌ قالَ قائلُها ... إلى مكارِمِ هذا يَنْتَهي الكرَمُ

يكادُ يُمسِكهُ عِرفانَ راحتِهِ ... رُكنُ الحطيمِ إذا ماجاءَ يستلمُ
يَنمي الى ذُروَةِ العزِّ التى قَعَدَتْ ... عَن نَيلِها عربُ الاسلامِ والعجمُ
مُشتقّةٌ من رسول الله نبعتُهُ ... طابَتْ عناصرُهُ والخيمُ والشيمُ
فى كفّهِ خيزُرانٌ ريحُهُ عبقٌ ... من كفِّ أروَعَ فى عِرنينِهِ شمَمُ
ينشقُّ نورُ الدجى عن نورِ غُرّتِهِ ... كالشمسِ تنجابُ من إشراقِها الظُّلَمُ
يُغضى حياءً ويغضى من مهابتِهِ ... فما يكلَّمُ الا حينَ يبتَسِمُ
من معشرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهمُ ... كُفرٌ وقربهمُ منجًى ومعتصَمُ
يُستدفعُ السوءُ والبلوَى بحبّهمُ ... ويُسترَبُّ به الاحسانُ والنعمُ
لايستطيعُ جوادٌ بعدَ غايتِهم ... ولا يُدانيهمُ قومٌ وان كَرُموا
إن عُدَّ أهلُ الندَى كانوا أئمتَهم ... أوقيلَ من خيرُ أهل الارض قيلَ هُمُ
مقدَّمٌ بعدَ ذكر الله ذكرُهمُ ... فى كلِّ برٍّ ومختومٌ به الكلِمُ

قال فلما فرغ من شعره قال له عبد الملك أورافضيٌّ أنت يافرزدق فقال ان كان حبّ أهل البيت رفضا فنعم فحرمه عبد الملك جائزته فتحمَّل عليه بأهل بيته فأبى أن يعطيه فقال له عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ما كنت تؤمل ان يعطيك قال ألف دينار فى كل سنة قال فكم تؤمل ان تعيش قال أربعين سنة قال ياغلام علىّ بالوكيل فدعاه اليه وقال اعط الفرزدق أربعين ألف دينار فقبضها منه .. قيل ودخل الفرزدق على سُكَينة بنت الحسين فقالت له من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

بنفسى من تجنبُهُ عزيزٌ ... علىّ ومن زيارتُهُ لِمامُ
ومن أمسى وأصبحُ لاأراهُ ... ويطرُقنى اذا هجعَ النيامُ

فقال أما والله لئن تركتنى لأسمعنّك ماهو أحسن منه فقالت أخرجوه عنى ثم عادمن الغد فقالت من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذي يقول

يابيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ ... حذرَ العدى وبه الفؤادُ موكلُ
انى لأمنحُكَ الصدودَ وانني ... قسماً اليك مع الصدود لأميلُ

فقال أما والله لئن تركتني لأسمعنك أحسن منه فقالت أخرجوه عني ثم عاد من الغد وعندها جوار كالتماثيل فأخذت جارية منهن بقلبه فقالت سكينة من أشعر الناس قال أنا قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

إنّ العيونَ التى فى طرفها حورٌ قتلننا ثم لا يُحيينَ قتلانا

فقال يابنت رسول الله ان لى حقاً باقبالى عليك من مكة ولا أراك تدعيني أسمعك شعرى ولا تزيديني على التكذيب مع اني لاخاف لما بى اني لاأبرح ميتا ولى حاجة قالت فما هي قال ان أنا متّ تأمرين بتكفيني في ثيابى هذه وأشار الى الجارية فقالت هى لك وضمت اليها جائزة وكسوة .. وعن أبي الزناد قال اجتمع جرير والفرزدق وجميل وكثيّر ونصيب في منزل سكينة بنت الحسين فخرجت جارية ومعها قرطاس وقالت أيكم الفرزدق فقال هاأنا ذا قالت أنت الذى يقول

أبيتُ أُمنّي النفسَ أنْ سوف نلتقى وهل هو مقدورٌ لنفسى لقاؤها

فان ألْقَها أو يجمعِ الدهرُ بيننا ففيها شفاء النفس منها وداؤُها

قال نعم قالت قولك أحسن من منظرك وأنت القائل

ودّعنى باشارةٍ وتحيّةٍ وتركتنى بين الديار قتيلا

لم أستطعْ رَدَّ الجواب عليهمُ عندَ الوداع وما شفينَ غليلاَ

لو كنتُ أملكهمْ اذاً لم يبرَحوا حتى أودِّعَ قلبيَ المخبولا

قال نعم قال أحسنت أحسن الله اليك وأنت القائل

هما دَلّتاني من ثمانينَ قامةً كما انقضّ بازٌ أقتمُ الريش كاسرُه

فلما استوَتْ رجلاي فى الارض نادتا أحيٌّ فيرجى أم قتيلٌ نحاذِرُه

فقلتُ ارفعوا الاسباب لا يشعروا بنا وولّيتُ فى أعجاز ليل أبادرُه

أحاذرُ بوّابين قد وُكّلا بها وأحمرَ من ساج تبصُّ مسامرُه

فأصبحتُ فى القوم القعود وأصبحتْ مغلّقةً دونى عليها دَساكرُه

قال نعم قالت سوأة لك قضيت حاجتك فأفشيت عليها وعلى نفسك فضرب بيده على جبهته وقال نعم فسوأة لى ثم دخلت وخرجت وقالت أيكم جرير فقال ها أنا ذا

قالت أنت القائل

رُزِقنا به الصيدَ الغزيرَ ولم نكُنْ كمنْ نبلُهُ محرومةٌ وحبائلُهْ
فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومن به وهيهات حيٌّ بالعقيق نُواصلُه

قال نعم قالت أحسن الله اليك وأنت القائل

كأنّ عيونَ المجتلينَ تعرَّضَتْ وشمساً تجلّى يومَ دَجْنٍ سحابُها
اذا ذُكرتْ للقلب كاد لذكرها يطيرُ اليها واعتراهُ عذابُها

قال نعم قالت أحسنت وأنت القائل

سرتِ الهمومُ فبتّ غير نيامِ وأخو الهمومِ يرُومُ كلَّ مرامِ
طرقتْكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارْجعي بسلام
لو كان عهدُك كالذي حدثتنى لوصلتُ ذاك فكان غير ذِمام
تجرى السواك على أغرّ كأنه بَرَدٌ تحدّر من متون غمام

قال نعم قالت سوأة لك جعلتها صائدة القلوب حتي اذا أناخت ببابك جعلت دونها حجابا ألا قلت

طرقتْكَ صائدةُ القلوب فمرحباً نفسى فداؤك فادْخلى بسلام

.. قال نعم فسوأة لى ودخلت وخرجت .. وقالت أيكم كثير فقال هاأنا ذا فقالت أنت القائل

وأعجبنى ياعَزُّ منكِ خلائقٌ حسانٌ اذا عُدّ الخلائقُ أربعُ
دُنوكِ حتى يطمَعُ الصبُّ في الصبا وقطعُكِ أسباب الصباحين تقطعُ
فوالله مايَدْرى كريمٌ مطلتِهِ أيشتد إن قاضاكِ أمْ يتضرّعُ

قال نعم قالت أعطاك الله مناك وأنت القائل

هنيا مريئاً غيرَ داء مخامرٍ لعَزّةَ من أعراضنا ما استحلّتِ
فما أنا بالداعي لعَزّةَ فى الورَى ولاشامتٍ إنْ نَعْلُ عَزّةَ زلّتِ
وكنتُ كذِى رجلينِ رجلٍ صحيحة ورِجلٍ رمي فيها الزمانُ فشلّتِ

قال نعم قالت أحسن الله اليك ثم دخلت وخرجت وقالت أيكم نُصيب فقال ها أنا ذا

قالت أنت القائل

ولولا أنْ يقالَ صَبا نُصيبٌ ... لقُلْتُ بنفسي النّشأ الصغار
ألاَ ياليتني قامرْتُ عنها ... وكان يحِلُّ للناسِ القِمارُ
فصارتْ في يدي وقُمِرْتُ مالي ... وذاكَ الربحُ لوْ عَلِمَ التجارُ
على الإعراضِ منها والتوانى ... فانْ وعَدَتْ فموعِدُها ضِمارُ
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاها ... اذا قَهرَتْ فليسَ بها انتصارُ
اذا ماالزُّلُّ ضاعفنَ الحشايا ... كفاها أنْ يُلاثَ بها إزارُ
ولوْ رأتِ الفَراشةَ طارَ منها ... معَ الأرواحِ رُوحٌ مستطارُ

قال نعم قالت والله ان إحداهن لتقوم من نومتها فما تحسن أن تتوضأ لاحاجة لنا في شعرك

ثم دخلت وخرجت وقال أيكم جميل قلت أنا قالت أنت القائل

لقدْ ذَرَفَتْ عيني وطالَ سُفوحها ... وأصبحَ من نفسي سقيماً صحيحها
ألاَ ليتنا كنا جميعاً وان نمُتْ ... يجاورُ في الموتي ضريحي ضريحها
أظَلُّ نهاري مُستهاماً ويلتقي ... مع الليل رُوحي في المنام ورُوحُها
فهلْ ليَ في كتمانِ حبّيَ راحةٌ ... وهلْ تنفعني بَوْحةٌ لو أبوحها

قال نعم قالت بارك الله عليك وأنت القائل

خليليَّ فيما عِشتُما هلْ رأيتما ... قتيلاً بكى منْ حبِّ قاتلِهِ قبلى
أبيتُ معَ الهُلاّكِ ضيفاً لأهلها ... وأهلى قريبٌ مُوسعون ذووفضل
فياربِّ إنْ تهلكْ بُثينةُ لاأعشْ ... فُواقاً ولاأفرَح بمالى ولا أهلى
وياربِّ إنْ وقّيتَ شيئاً فوَقِّها ... حُتوفَ المنايا ربِّ واجمعْ بها شَملى

قال نعم قالت أحسنت أحسن الله اليك وأنت القائل

ألاَ ليتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادى القُرى إني اذاً لسعيدُ
لكلِّ حديثٍ عندهُنَّ بشاشةٌ ... وكلُّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدُ
وياليتَ أيامَ الصِبا كُنَّ رُجّعاً ... ودهراً تولى يابثينَ يعودُ
اذا قلتُ مابي يابُثينةُ قاتلى ... من الحبِّ قالتْ ثابتٌ ويزيدُ

وان قلت رُدّي بعض عقلي أعش به تناءت وقالت ذاكَ منكَ بعيدُ
فما ذُكرَ الخلاّنُ إلاّ ذكرتها ولا البخلُ إلاّ قلت سوف تجودُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ
يموتُ الهوَى مني اذا ما لقيتها ويحيي اذا فارقتها ويزيدُ

قال نعم قالت لله أنت جعلت لحديثها ملاحة وبشاشةً وقتيلها شهيداً وأنت القائل

ألاَ ليتَني أعمى أصمُّ تقودُني بُثينَةُ لايخفى عليّ مكانها

قال نعم قال قد رضيت من الدنيا ان تقودك بثينة وأنت أعمى أصم قال نعم ثم دخلت وخرجت ومعها مُدْهُن فيه غالية ومنديل فيه كسوة وصرة فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل حتى سالت على لحيته ودفعت اليه الصرة والكسوة وأمرت لأصحابه بمائة مائة .. وقال سوار بن عبد الله قال رؤبة بن العجّاج أرسل اليّ سليمان ابن على وهو بالبصرة فقال هذا رسول الأمير أبي مسلم قدم في إشخاصك قلت سمعاً وطاعة ارجعُ الى أهلي فأُصلح من شأني قال ليس الي ذلك سبيل ثم التفت الى الحرَسيّ فقال هذا صاحبك فشأنك فلم أُنهنهْ أنْ حملتُ على البريد فوافيت الأنبار مع الجمعة الاخرى فأدخلتُ سُرادقا فيه عشرة آلاف رجل في السواد واضعى أذقانهم على قوابع سيوفهم لاينظر بعضهم الى بعض الاّ شزرا ولا يكلمه الا همسا ثم اخترق بي سرادق آخر مثل الاول على مثل حالهم فقلت فى نفسي أحسبه تذكر على بعض قولى في بني أمية فأراد قتلى فأيستُ عند ذلك من الحياة ثم خرجت الي سرادق ثالث فاذا قبة مضروبة فى وسطه فدفعت اليه فسلمت بالامارة عليه فقال لي أنت رؤبة بن العجّاج قلت نعم جعلنى الله فداك أيها الأمير فقال أنشدني كلمتك ـ يرمي الجلاميد بجلمود مِدَق ـ فحقق فى نفسى ما كنت قدّرتُ وظننتُ ثم قلت بل أُنشدك جعلت فداك

لَبيكَ إذْ دَعَوْتني لبيكا تطلبُ حقاً واجباً عليكا

فسكت حتى فرغتُ منها ثم أقبل عليّ فقال أنشدنى قولك يرمي الجلاميد بجلمود مدق قلت بل أنشدك قولى

مازال يَبني خندقاً ويَهدِمُه وعسكراً يُشرِعُهُ ويَهزِمُه

ومَغْنَماً يَجمعُهُ ويَقسِمُه مروانُ لما غَرَّهُ مُنجّمُه

فأمسك حتى فرغت ثم قال أنشدني كلمتك يرمي الجلاميد بجلمودٍ مدق فقلت بل أنشدك

مازالَ يَأتي الأمرَ من أقطارِه عَلى اليمينِ وعلى يَسارِهِ

حتى أقرَّ الملكَ في قَرارِهِ مُشَمِّراً لا يُصطلَى بِنارِهِ

فقال أنشدني ويحك يرمي الجلاميد فأنشدته

وقاتِمِ الأعماقِ خاوِي المُخترَقْ مُشتبِهِ الأعلامِ لمّاعِ الخفَقْ

فأنصت حتى انتهيت الى قولي يَرمي الجلامِيدَ بجلمُودٍ مِدَقْ

فوقفت فقال ان أمير المؤمنين وجهني الى خراسان وبها جبال الحديد من الرجال فدمّثتها حتى جعلتها دَهساً فلم أجد لي مثلا إلا قولك يرمي الجلاميد بجلمودٍ مدق أنا والله ذلك الجلمود أذكر حاجتك قلت جعلت فداك حاجتي أن تردّني الى أهلي فقد خرجت من عندهم وهم على وجل فقال يا غلام عليّ ببدرةٍ فكأنها لم تزل بين يديه فقال يا أبا الجحاف انك أتيتنا والأموال مشفوهة وقد أمرنا لك بشيء وهو زمر ولو أتيتنا ونحن على طُمأنينة لأوطأت العرب عقبيك والدهر بيننا وبينك أطرق مستنب ولك عَوْدة وعلينا معوّل قال رؤبة فو الله ما دريت بما أجيبه ثم قال يردُ على السير الذي جاء عليه فما شعر بي سليمان في الجمعة الثانية الا وأنا عنده فأخبرته الخبر فقال يا أبا الجحّاف هذه ديتك وربحت نفسك .. قال وحدثني عبد الله بن عمرو بن عبيد الله قال حدثني جدي عبيد الله قال لما دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ وأنشده شعره الذي يقول فيه

أنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لبني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

أجازَهُ بسبعين الف درهم فقال مروان

بسبعينَ ألفاً راشني مِن حِبائهِ وما نالها في الناسِ من شاعرٍ قبلي

فحدثنا إدريس بن سليمان بن يحيى بن يزيد بن أبي حفصة قال كان سبب اتصال مروان بخلفاء بني العباس ان جارية يمانية أهديت الى أبي جعفر المنصور فأنشدته شعراً لمروان يمدح به السَرِيّ بن عبد الله يذكر فيه وراثة العباس فسألها لمن الشعر فأخبرته فأمر

باحضار مروان فوافاه بالرَّبَذة حاجاً فلقي الربيع والمنصور عليل العلة التي مات فيها فقال كن قريباً حتى ندعو بك فلم تزل العلة تشتد به حتى مات قبل أن يصل اليه مروان فقال له الربيع الحقْ بالمهدي ولا تخلف عنه وانصرف مروان الى اليمامة فجعلها طريقاً وعليها بشر بن المنذر والياً فأوفده بِشْر فيمن أوفد وأعطى كل رجل الف درهم فقدم مروان على المهديّ وقد مدحه بأربع قصائد قوله

صَحا بعدَ جُهدٍ فاستراحَتْ عواذِلُه وأقصرَ عنهُ حِينَ أقصرَ باطلُه

.. وقوله أيضاً

طافَ الخَيالُ فحيِّهِ بِسلامِ أنّي ألمّ وليسَ حينُ لِمامِ

.. وقوله أيضاً

إعصِ الهوى وتعزَّ عن سُعداكا فلَمِثْلُ حلمكَ عن هواكَ نهاكا

.. وقوله أيضاً

مَرى العَينَ شوقٌ حالَ دونَ التجلد ففاضَتْ بأسرابٍ من الدمعِ جُسَّد

ـ جسد ـ من الجساد يريد انه يخلطها به قال ادريس فاعطى المهديّ مروان ثلاثين الف درهم فانصرف الى اليمامة ثم عاد في سنة أربع وستين ومائة فطلب الوصول بيعقوب ابن داود فاقام نحواً من سنة وغضب المهديّ على يعقوب بن داود قال ادريس فحدثني مروان قال بينا أنا واقف على باب المهدي إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال يابن أبي حفصة ذكرك أمير المؤمنين آنفاً وهو يراك أشعر الناس غير انه يقول لا حاجة لنا فيما قِبلك فانصرف عن بابنا قال فانصرفت مغموماً ثم تذكرت رجلا أتحدث عنده وأنفرج به وآنس لديه فأتيت يزيد بن مزيد فشكوت اليه ما قال لي خالد بن يزيد فقال أدلك على رجل صدوقٍ له رقةٌ لعله ينفعك قلت ومن هو قال الحسن الحاجب فغدوت الى الحسن فشكوت اليه ما حكاه خالد من رأى أمير المؤمنين فقال بل من يعقوب بن داود فقلت بأبي أنت وأمي أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا فيه قال ذاك كما أقول لك فانصرفت وقلت

أتاني منَ المهديّ قولٌ كأنما به أحتزّ أنفي مُذْ من الضغنِ جادعُ

وقلتُ وقد خِفتُ التي لاشوَى لها ... بِلا حَدَثٍ إني الى اللهِ راجعُ
وما لِي الى المهدي لو كنتُ مُذنباً ... سِوَى حِلمهِ الصافي من الناس شافعُ
ولاهوَ عندَ السُّخطِ منهُ ولا الرِضي ... بِغيرِ الذي يَرضى به اللهُ صانعُ
عَليهِ من التقوَى رِداءٌ يَكُنُّهُ ... وللحقِّ نورٌ بينَ عَينيهِ ساطِعُ
يُغضُّ له طرفُ العيونِ وطرفُهُ ... على غيرِه من خَشيةِ اللهِ خاشِعُ
هل الباب مُفضٍ بي اليكَ ابنَ هاشمٍ ... فعُذرِيَ إن أفضى بيَ البابُ ناصعُ
أتيتُ امرأً أطلقتَهُ من وِثاقهِ ... وقد أُنشِبَتْ في أخدَعيهِ الجوامعُ
وجَلّى ضَبابَ العُدمِ عنهُ وراشَهُ ... وأنهضَهُ معروفُك المتتابِعُ
فقلتُ وزيرٌ ناصحٌ قد تتابعَتْ ... عَليهِ بإنعام الإمامِ الصَّنائعُ
وما كانَ لي الا اليكَ ذريعةٌ ... وما مَلِكٌ الا اليهِ الذّرائعُ
وان كان مطوياً على الغدرِ كشحُهُ ... فلم أدرِ منهُ ما تُجِنُّ الأضالِعُ
وقلْ مثلَ ماقال ابن يعقوبَ يوسُفٌ ... لإخوتِه قولاً له القلبُ تابعُ
تنفّسْ فلا تثريبَ إنكَ آمِنٌ ... وإني لَك المعروفَ والقدرَ جامعُ
فما الناسُ الاّ ناظرٌ متشوِّفٌ ... الى كل ما تُسدِي اليَّ وسامعُ

قال وقد قلت في قصيدة أخرى

سَيُحشرُ يعقوبُ بن داودَ خائباً ... يلوحُ كتابٌ بين عَينيه كافرُ
خِيانتُهُ المهديَّ أودَت بذكرِه ... فأمسَى كمنْ قد غَيبتْهُ المقابرُ
بَدا منكَ للمهدِيِّ كالصُّبحِ ساطِعاً ... من الغشِّ ما كانت تُجِنُّ الضمائرُ
وهل لبياضِ الصبحِ إن لاحَ ضَوءُه ... لجابِ الدُّجى من ظُلمةِ الليلِ ساترُ
أمَنزِلةٌ فوقَ التي كنتَ نِلتَها ... تَعاطيتَ لا أفلحتَ مما تحاذرُ

قال ثم أتيت بها الحسن بعد يومين فقال ماصنعت فأنشدتهما اياه قال اكتبهما لي فقلت قد فعلت فقال هاتهما فتناولهما وقال لست واضعهما من يدي حتى أضعهما في يد المهدي ثم مضى وأتيته من الغد فقال ماوضعتهما من يدي حتى وضعتهما في يد المهدي فقرأهما فرق لك وأمر بادخالك عليه فاحضر يوم الاثنين فحضرت فخرج عليَّ فقال قد علم أمير

المؤمنين بمكانك وقد أحبّ أن يجعل لك يوماً يشرفك فيه ويبلغ بك قلت فمتى بأبي أنت وأمي قال يوم الخميس فعدت اليه يوم الخميس فاذا وجوه بني العباس يدخلون على المهدي فلما تتامّ المجلس دعاني فدخلت فسلمت فرد السلام فقال انما حبسك عن الدخول انقطاعك الى الفاسق يعقوب بن داود فافتتحت النشيد بما قلت فى يعقوب فأنشدته ثم أنشدته قولي فيه * طرقتك زائرة فحيّ خيالها * فأعجب بذلك وقال جزاك الله خيراً فقلت اشهدوا هذا والله الشرف أمير المؤمنين يجزيني خيراً ثم أنشدته

* أعادك من ذكر الأحبة عائدُ * فلما صرت الى قولى

أيادى بني العباس بيضٌ سوابغٌ ... على كل قومٍ بادئاتٌ عوائدُ
فهم يعدلون السمكَ من قُبةِ الهدى ... كما يعدلُ البيتَ الحرامَ القواعدُ
سواعدُ عزّ المسلمينَ وانما ... ينوء بصَوْلاتِ الاكُفّ السواعدُ
يَزِينُ بني ساقى الحَجيجِ خليفةٌ ... على وجههِ نورٌ من الحق شاهدُ
يَكونُ غِراراً نَومهُ من حِذارِه ... على قُبةِ الاسلامِ والخَلقُ راقدُ
كأنّ أميرَ المؤمنينَ محمداً ... لرأفته بالناس للناسِ والدُ
على أنه من خالفَ الحقّ منهمُ ... سَقَتهُ به الموتَ الحتوفُ الرواصدُ

أشار الىّ فأمسكتُ فقال يا بني العباس هذا شاعركم المنقطع اليكم المعادى فيكم فآتوا اليه ما يسره فقلت ينبغى اذ سمعوا كلام أمير المؤمنين وعرفوا رأيه أن يصلونى من أموالهم فقال أنا فارض عليهم لك مالا ففرض على موسى ابنه خمسة آلاف درهم وعلى هارون خمسة آلاف ثم فرض على القوم على قدر حالاتهم حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين الف درهم والربيع يكتب كل ما فرض على كل رجل منهم فقال أبو عبيد الله يا أمير المؤمنين انما نحن من أهلك فأدخلنا فيما أدخلتهم فيه فجعل عليه الفاً وعلى الربيع الفين فتمت أربعين الفاً فقلت يا أمير المؤمنين من لى بهذا المال قال هذا وأشار الى الربيع ثم قال ان أمير المؤمنين يعطيك من صلب ماله فأمر لى بثلاثين الف درهم فى ثلاث بدَر فجيء بهنّ فطُرحن قريباً فدعوت وشكرت فقال يابن أبى حفصة ستجيئك صِلاتى وبرّى ويأتيك منى ما يؤديك الي الغنى فقلت يا أمير المؤمنين قد رأيت من قَبولك وبشرك

وسرورك بما سمعت مني ما سأزداد به شعراً وستسمع ويبلغك وقلت يا أمير المؤمنين لا يبلغ ما أعطيتني لشاعر بعدى قال أجل قلت وآذِنّى فى زيارتك قال نعم قلت يا أمير المؤمنين لي عدو فيك وفى أهل بيتك فان رأي أمير المؤمنين أن لا يجعل لأحد علىّ سلطانا دونه قال لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين فقلت اكتب الىّ بذلك كتاباً فأمر بالكتاب بذلك فانصرفت فلما صرت خلف الستر خرج الىّ خادم بمنديل فيه أربعة أثواب ثوب وَشي وثوب خزّ وجبة بياض محشوة وقميص فقال ألبسوه وأعيدوه الىّ فلبست الخزّ والوشي على الثياب التى كانت علىّ وألقيت القميص على أحد منكبيّ والجبة على المنكب الآخر فقال لي يابن أبي حفصة أتدخل على أمير المؤمنين هكذا وقد مثّلت بنفسك فقلت والله لو كانت كرامة أمير المؤمنين أُحُدًا لما خلعت منها شيئاً اطيقُ حملَه ثم دخلت فلما رآني تبسم ثم قال مِطْرَف فابطؤا به فقال المطرف وأنا قائم ثم قال الثالثة المطرف فلما أبطؤا انصرفت وقعدت خلف الستر فلم ألبث ان رفع الستر وخرج أمير المؤمنين على دابة فقمت اليه فلما رآني قال المطرف فما برح حتى أُتيَ به فشُنّ على بين يديه وأمر لي بعشرة من خدم الروم وقطيعة بناحية السواد فبعت القطيعة من عيسى بن موسى بعشرين ألف درهم وبرذون بسرجه ولجامه قال فلم يزل مروان على باب المهدى حتي هلك ٠٠ وعن عبد الله بن هارون قال حدثني عبد الملك ابن عبد العزيز بن عبد الله عن المغيرة قال دخل المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى وأبو السائب والعثمانى بن لؤلؤ الرطب وابن أخت الأحوص على المهدى وهو بالمدينة فقال أنشدوني فانشد المغيرة

وللناسِ بدرٌ فى السماء يرَوْنه ... وأنْتَ لنا بدرٌ على الأرضِ مُقْمِرُ
فبالله يابدرَ السماء وضوءهُ ... تزالُ تكافى عُشْرَ مالكَ أضْمِرُ
وماالبدرإلّادونَ وجهك فى الدجي ... يغيبُ فتبدُو حين غابَ فتُقْمِرُ
ومانظرَتْ عينى الى البدر ماشياً ... وأنْتَ فتَمْشى فى الثياب فتُسْحِرُ

وأنشد ابن أخت الاحوص

قالَتْ كُلاَبَةُ من هذا فقلْتُ لها ... هذا الذى أنْتِ من أعدائهِ زعموا

انى امرؤٌ لجّ بى حبٌّ فأحرَضَني حتى بُليتُ وحتى شفّنى السّقَمُ

وأنشده العثمانى المخزومي

رَمي القلبُ من قلبي السوادَ فأوجعا وصاحَ فصيح بالرّحيلِ فأسمعا
وغرّد حادى البَينِ وانشقّتِ العصا فأصبحتُ مسلوبَ الفؤادِ مُفجّعا
كفى حزناً من حادثِ الدّهرِ أنّني أرى البَينَ لا أستطيعُ للبينِ مدفعا
وقد كنتُ قبلَ اليوم بالبين جاهلاً فيالكَ بيناً ما أمرّ وأوجعا

وأنشده أبو السائب

أصِيخا لداعي حبّ ليلَى فيمّما صدُورَ المطايا نحوَها فتسمّعا
خليلَيّ إنْ ليلَى أقامتْ فانّني مُقيمٌ وإنْ بانتْ فبينا بنا معا
وانْ انثنتْ ليلَى بربعٍ يحوزُها فعيذَ كما باللهِ أنْ تتزعزعا

فقال والله لأغنينكم الليلة ثم قال للمغيرة هل لك من حاجة فانه بلغنى انك بعتَ جاريتك فى دَين كان عليك قال والله ياأمير المؤمنين لقد فعلتُ ذلك قال فلأردّنها عليك فأجاز ثلاثة منهم بعشرة آلاف دينار الا ابن لؤلؤ الرطب فانه سار معه فمرّ بدار فقال لمن هذه الدار فقال للأحوص الذى يقول

يابيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ حذرَ العدى وبه الفؤادُ موكّلُ
وأراكَ تفعلُ ماتقول وبعضُهم مَذِقُ الحديثِ يقولُ مالا يفعلُ

فقال عزّ علىّ لم تأخذ شيئاً ثم قال للربيع اعتق ماتملك ان لم تعطه أنت عشرة آلاف دينار وأنا عشرة آلاف دينار فقبضها وخرج .. قال ودخل ابن الخياط على المهدى فمدحه فأمر له بخمسين ألف درهم فلما قبضها فرّقها على الناس وأنشأ يقول

لَمستُ بكفى كفّهُ أبتغي الغِنى ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفّهِ يُعدي
فلا أنا منهُ ماأفادَ ذوُو الغنى أفدتُ وأعداني فبدّدتُ ماعندى

فأعطاه لكل درهم ديناراً .. قال ودخل سلم بن عمرو الخاسر على المهدي فقال

أليسَ أحقّ الناس أنْ يُدرِكَ الغِنى مُرَجّى أميرِ المؤمنينَ وسائلُه
لقد بسطَ المهديُّ عَدْلاً ونائلاً كأنهما عَدْلُ النبيّ ونائلُه

فقال أما ماذكرت ياسلم من الجود فوالله ماتعدل الدنيا عندى خاتمي هذا وأما العدلُ فانه لايُقاس برسول الله صلى الله عليه وسلم أحد واني لأتحرّاه جهدى ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ثم وفد عليه فى السنة الثانية فانشده

انّ الخلافةَ لم تكنْ بخلافةٍ حتى استقرّتْ فى بني العباسِ
شُدَّتْ مناكبُ مُلكهم بخليفةٍ كالدَّهرِ يخلِطُ لينَهُ بشِماسِ

فأمر له بعشرين ألف درهم وعشرين ثوبا فلما كان في العام الثالث وفد عليه فانشده

أفنى سؤالَ السائلينَ بجودِهِ ملكٌ مواهبُهُ تروحُ وتغتدي
هذا الخليفةُ جودُهُ ونوالُهُ نَفِدَ السؤالُ وجودُهُ لم يَنفَدِ

فأمر له بثلاثين ألف درهم وثلاثين ثوبا .. وعن أحمد بن بكر الباهلى قال حدثني حاجب المهدى قال قال لي المهدى يوما نصفَ النهار آخرج وانظر من بالباب فخرجت فاذا شيخ واقف فقلت ألك حاجة فقال مايمكن انْ أخبر بحاجتى أحداً غير أمير المؤمنين فتركته ودخلت على المهدى فقال لى اخرج فانظر من بالباب فخرجت فاذا الشيخ فقلت ان كان لك حاجة فاذكرها قال لاأذكرها الا لأمير المؤمنين ففعل هذا مرّات فقال المهدى انظر من بالباب فقلت شيخ قد سألته غير دفعة عن حاجته فقال مايمكن ان أخبر بحاجتى أحداً دون أمير المؤمنين فقلت أيدخل قال نعم ومره بتخفيف فخرجت فقلت له ادخل وخفف فدخل وسلم بالخلافة ثم قال ياأمير المؤمنين انا قد أمرنا بالتخفيف

فانْ شئتَ خفّفْنا فكنا كريشةٍ متى تُلقها لأنفاسُ في الجوّ تذهبِ
وانْ شئتَ ثقّلْنا فكنا كصخرةٍ متى تلقها في حومةِ البحر ترسُبِ
وانْ شئتَ سلّمْنا فكنا كراكبٍ متى يقضِ حقاً من سلامِكَ يعزُبِ

فضحك المهدى وقال بل تكرم وتقضى حاجتك فقضى حاجته ووصله بعشرة آلاف درهم .. قال المبرّد حدثني محمد بن عامر الحنفى قال ذكروا ان فتيانا كانوا مجتمعين قد ائتلفوا فى نظام واحد كلهم ابن نعمة وكلهم قد شرد عن أهله وقنع بأصحابه فذكر ذاكرٌ منهم وقال كنا قد اكترينا داراً شارعة على احد طرق بغداد المعمورة بالناس

فكنا لانستكثر ان تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لايقدر على شيء فيقوم أصحابه بأمره لدهر الأطول فكنا اذا أيسرنا أكلنا من الطعام أطيبه ولبسنا من اللباس ألينه ودعونا الملهيين والملهيات وكنا فى أسفل الدار واذا عدمنا الطرب جلسنا فى غرفة لنا نتمتع فيها بالنظر الى الناس وكنا لانخل بالنبيذ فى عسر ولا يسر ولو نبيع الثوب من الأثواب فانا لكذلك يوما اذا بفتى يستأذن علينا فقلنا له اصعد وادخل فاذا رجل حلوُ الوجه سريُّ الهيئة تنبئ رؤيته انه من أهل النعم فأقبل علينا فقال انى سمعت بمجتمعكم وحسن منادمتكم وصحة إلفتكم حتي كأنكم أدرجتم جميعاً في قلب أحدكم فأحببت أن أكون واحداً منكم وأن لاتحتشمونى قال وصادف ذلك منا إقتاراً من القوت واكثاراً من النبيذ فقال لغلام معه هات ماعندك فغبر عنا غير بعيد ثم أتى بسلّة خيزُران فيها طعام من جداء ودَجاج وفراخ ورقاق وأشنان وأخلّة ومحاب فأصبنا من ذلك الطعام ثم أفضنا فى شرابنا وانبسط الرجل فاذا هو أحلى خلق الله اذا حَدّث وأحسنهم استماعا اذا حُدث وأمسكهم عن ملاحاة اذاخولف ثم أفضينا معه الى أكرم مخالعة وأجمل معاشرة فكنا ربما امتحنّاه بان ندعوه الى الشيء الذى نعلم انه يكرهه فيظهر لنا انه لايحب غيره ويُرى ذلك فى أسارير وجهه فكنا نغنى به عن حسن الغني ونتمثل بكلامه ونتدارس أخباره فَشغلنا بظرفه وبما عاشرنا به عن وصفه والسؤال عن تعرّف اسمه ونسبه فلم يكن عندنا من أمره الا معرفة الكنية فانا سألناه عنها فانبأنا انه يكنّي أبا الفضل فقال لنا يوما بعد اتصال الانس ألا أخبركم كيف عرفتكم قلنا له انا لنحب ذاك فقال أحببتُ جاريةً فى جواركم وكانت مولاتها ذات حبائب فكانت تختلف بالرسائل بينها وبين حبائبها وكنتُ أجلس لها فى الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبّرتُ عن ائتلافكم ومساعدة بعضكم بعضاً فكان الدخول عندى فيما أنتم فيه آثر عندي من الظفر بالجارية فسألناه فخبرَنا بمكانها فقلنا له فانا نخدعها لك حتى يظفرك الله بها قال ياإخوتي اني والله على ماترون من شدة الشوق اليها والكلف بها وما قدّرت فيها حراما قط وما تقديرى الا مطاولتها ومصابرتها الى أن يمنّ الله جل وعزّ بثروة فأشتريها فاقام معنا شهرين ونحن به على غاية الاغتباط

وبقربه على غاية السرور ثم احتبس عنا فتألمنا لفراقه كل ممض ولوعةٍ مؤلمة ولم نعرف له منزلاً نلتمسه فيه فيكون فقده أخف علينا فكدر عيشنا الذى كان صافياً قد طاب لنا به وقبح ما كان قد حسن لنا بقربه وانصرام الغم بمحادثته فكنا فيه كما قال القائل

يذكّرُنيهم كل خير رأيتُهُ وشرٍّ فما أنفكُّ منهم على ذكر

فغاب عنا عشرين يوما لا نلتذّهن ثم نحن يوما مجتازون فى الرصافة فاذا به وقد طلع فى موكب نبيل وزي جليل فحيث بصر بنا انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال ياإخوتي ماهنأني عيش بعدكم ولستُ أماطلكم بحديثي وخبرى حتى نبلغ المستقر ثم مال بنا الى مسجد فقال أعرفكم أولا نفسي أنا العباس بن الأحنف وكان من خبرى اني انصرفت من عندكم الى منزلى والمسوّدة قد أحاطت بي فمضوا بى الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيي بن خلد فقال ويحك ياعباس انما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب مأخذك وحسن تأتّيك وان الذى ندبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء واني أخبرك ان ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين وقد جرى بينهما عتب وهي بعزّة دلال المعشوق تأبي ان تعتذر وهو بعزّة الخلافة وشرف الملك يأبي ذلك وقد رُمتُ الأمر من قبلهما فاعيانى وهو أحري ان تستفزّه الصبابة فقلْ شعراً تسهل به هذا السبيل فقضي كلامه ثم دعاه أمير المؤمنين فصار اليه وأعطيت قرطاسا ودواة فاعترانى الزمع ونفر عنى كل شيءٍ من العروض ثم انفتح لى شيءٌ من الأشياء والرُسل تغبّني فجاءتنى أربعة أبيات رضيتها وقعت صحيحة المعنى سهلة الألفاظ ملائمةً لما طُلِب فقلت لأحد الرسل أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات فان كان فيها مقنع وفى قدر ذهاب الرسول ومجيئه حضرني بيتان من غير ذلك الرويّ فكتبت الأربعة الأبيات فى صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فكتبت

العاشقانَ كلاهما متغضّبُ وكلاهما متوجّدٌ مُتجنّبُ
صدّت مغاضبةً وصدّ مغاضباً وكلاهما مما يعالجُ مُتعَبُ
راجِعْ أحبّتَكَ الذين هجرتهم انّ المتيّم قلّ مايتجنّبُ
انّ التجنبَ ان تطاوَل منكما دَبَّ السُّلُوُّ له فعزّ المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك

لابدّ للعاشقِ من وقفةٍ تكونُ بينَ الوصلِ والصرمِ
حتي اذا الهمُّ تمادَى بهِ راجعَ مَن يهوَى على رَغمِ

قال ووجهت بالكتاب فدفعه الى الرشيد فقال والله مارأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأني قصدت به فقال يحيي فأنت والله المقصود به ياأمير المؤمنين هذا يقوله العباس بن الأحنف فى هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الي قولي راجع من يهوى على رغم استفرغ ضحكا ثم قال انى والله أراجعها على الرغم وقال يا غلام نَعلَيَّ فنهض وأذهله الجذَل والسرور عن أن يأمر لي بشئ فدعانى يحيي وقال ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشئ قلت لكن هذا الخبر لم يقع منى بغاية الموافقة قال اذاً أُوفقه ثم جاء انسان فسارّه بشئ فنهض ونهضت لنهوضه فقال يا عباس أمسيتَ أنبل الناس أتدرى ما سارّنى به هذا الرسول قلت لا قال ذكر أن ماردة تلقت أمير المؤمنين لماعلمت بمجيئه فقالت كيف كان هذا يا أمير المؤمنين فأعطاها الشعر وقال هذا الذى جاء بى قالت فمن يقوله قال العباس بن الأحنف قالت فبكمْ كوفيٌّ قال ما فعلت شيئاً قالت اذاً والله لا أجلس حتى يكافأ فأمير المؤمنين قائم لقيامها وأنا قائم لقيامهما وهما يتناظران فى صلتك فهذا كله لك قلت مالى من هذا الا الصلة فضحك وقال هذه أحسن من شعرك فأمر لى أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت هي لي بمال دونه وأمر لى الوزير بمال دون ما أمرت به وحملت على ما ترون من الظهر ثم قال لى الوزير تمام اليد عندك أن لاتخرج من الدار حتى يؤتل لك بهذا المال فاشتُريت لى ضياع تُغلّ عشرين الف درهم ودفع الى بقيّة المال فهذا هو خبرى الذي عاقني عنكم فهلُموا حتى أقاسمكم الضياع وأفرق بينكم المال فقلنا هنّاك الله بمالك كلنا يرجع الى نعمة من أبيه وأهله فأقسم وأقسمنا وقال أنتم إخوتي فيه قلنا أما هذا فنعم فامضوا بنا الى الجارية حتى نشتريها قال فمضينا الى صاحبتها وكانت جارية جميلة حلوة لا تحسن شيئاً أكثر مما بها من الظرف وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار فاستامت بها صاحبتها خمسمائة دينار فأجبناها بالتعجب فحطت مائة فقال لنا العباس يافتيان اني أحتشم

والله أن أقول بعد ما قلتم ولكن هي جارية فى نفسي وبها يتم سروري ان هذه الجارية اريد إيثار نفسي بها وأكره أن تنظر الىّ بعين مَن قد ماكسَ فى ثمنها فدعوني أعطها خمسمائة دينار قلنا قد حطت مائة قال وان فعلت فصادفت مولاتها رجلا حراً فأخذتْ من الثمن ثلاثمائة وجهزتها بالباقى فما زال لنا عشيراً حتى فرّق بيننا وبينه الموت ..وعن المبرّد قال حدثني من أعتمد عليه ان مسلم بن الوليد كان يمدح مَن دون الخليفة وكان يقول ان نفسي تذوب حسرات من انه يحوى خزائن الخلفاء من لا يقاربني فى أدب ولا يوازيني فى نسب ولا يصلح أن يكون شعره خادما لشعرى وكان اذا كسب جمع أصحابه فلم يخرج من منزله حتى يأتى على جميع ما معه فلا يزال فى أكل وشرب وقصفٍ حتى يفنى ما معه فعرف بذلك وكانت البرامكة ويزيد بن مَزيد الشيباني ومحمد بن منصور ابن زياد يبرونه ويعطفون عليه ويتفقدون من حاله فخرج ذات يوم فالقى يزيد بن منصور الحميرىّ بباب الرشيد فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وسأله عن شأنه فخبره وسأله أن يقربه من الخليفة وأن يحتال حتى يعد فى ممازحيه ومن تجرى عليه أرزاقه فقال له الحميرى سأتأتى لوصولك الى أمير المؤمنين فدخل الحميرى فأصاب أمير المؤمنين لَقِسَ النفس قد اشتمل عليه الفكرُ فى سرعة تقضّى أمور الدنيا وانه لا يتشبث منها بشيءٍ الا كان كالظل الزائل والسراب الخادع فقال له جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين أفتظن ان هذا الفكر يحبس عليك الأيام ويمتعك بما لا تستمتع به انما هذا الذى أنت فيه عارض عرض لك وقد كان ملك من الملوك يقال له بهمان وكان من أجل ملوك العجم وكان حكيما يقول الهمُّ مفسدة للنفس ومضلة للفهم ومشدهة للقلب ومن أعظم الخطأ التشاغل بما لا يمكن دفعه وقد قالت الحكماء بالسرور يطيب العيش ومع الهم تمنى الموت وقال له سليمان بن أبى جعفر يا أمير المؤمنين يروى عن لقمان الحكيم انه قال من يملك يستأثر ومن لا يستشر يندم والهم نصف الهرم والفقر الموت الأكبر قال فكانّ الرشيد نشط واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر فتقدم اليه الحميرى وقال يا أمير المؤمنين خلّفت بالباب آنفاً رجلا من اخوالك الانصار متقدماً فى شعره وأدبه وظرفه أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبه ومحادثته اخوانه ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ

قول وأحسن وصف وأقرب رصف يبعث والله على الصبابة والفرح ويباعد عن الهم والترح وكأنه قد وُفّق بيمن أمير المؤمنين وسعادة جده لأن يكون مبرئاً من هذه الشكوى زائداً فى سرور أمير المؤمنين مستدعياً له صِلة رحمه والتشرف بخدمته قال فاستفزّه السرور والقلق الى دخوله عليه واستماع قصيدته وجعل يتابع الرسل بعضهم في اثر بعض حتى دخل وكان حلو الشمائل فوصل اليه فى وقت قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشِرّته ولم يكن فى عداد من قد اضطرب سناً وكان ناهيك من رجل معه فهم وتجربة وتمييز ومعرفة فأمهل حتى سكن ثم أُذن له في الجلوس والانبساط واستدعى منه أن يزيد فى الانس فانبرى مسلم ينشد قصيدته فجعل الرشيد يتطاول لها ويستحسن ما حكاه من وصف شراب ولهو ودمائة وغزَل وسهولة ألفاظ فأمر له بمال وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول اليه وجعل الرشيد وأصحابه يتناشدون قصيدته فسماه يومئذ بآخر بيت من قصيدته صريع الغوانى والرشيد الذي سماه بهذا الاسم والقصيدة هي هذه

أدِيرا علىّ الكأسَ لا تشرَبا قبلى ... ولا تطلُبا من عندِ قاتلتي ذَحلى
فما جزَعي أنّى أموتُ صَبابةً ... ولكنْ على مَن لا يحِلُّ لها قتلى
أحِبُّ التى صدّت وقالت لِتربِها ... دَعيهِ الثريّا منه أقربُ من وصلى
بلى ربما وكلتُ عينى بنظرةٍ ... اليها تزيد القلبَ خَبلاً على خَبل
كتمتُ تباريحَ الصبابةِ عاذِلي ... فلم يدرِ مابى واسترحتُ من العَذْلِ
ومانحةٍ شُرّابَها الملكَ قهوةٍ ... يَهودِيةِ الأصهارِ مسلمةِ البعلِ
رَبيبةِ شمسٍ لم تُهجَّنْ عُروقُها ... بِنارٍ ولم يُجمَعْ لها سَعَفُ النخلِ
بَعثنا لها منا خطيباً لبضعِها ... فجاء بها يمشي العِرَضنةَ في مَهل
قد استُودِعت دناً لها فهو قائمٌ ... بها شفقاً بين الكروم على رِجلِ
فوافَى بها عَذراء خلٌّ أخو نَدىً ... جزيلُ العطا يا غيرُ نِكسٍ ولا وغل
مُعتّقةً لاتشتكي دمَ عاصرٍ ... حَرُورِيّةً فى جَوْفها دمُها يغلي
أغارَتْ على كفّ المدير بكونها ... فصارت له منها أنامِلُ كالذُّبلِ
أماتتْ نفوساً من حياةٍ قريبةً ... وماتت فلم تُطلب بوِترٍ ولا تَبلِ

شققنا لها في الدَّنّ عيناً فأسبلت كما أخضلت عينُ الخريدةِ بالكحلِ
كأنّ فتيقاً بازلاً شُقّ نحرُهُ اذا أسفرت منها الشُّعاعُ على البزلِ
ودارت علينا الكأسُ من كفّ ظبيةٍ مُبتّلةٍ حوراء كالرشإ الطفلِ
كأنّ ظباءً عُكّفاً في رياضها أباريقها أوجسنَ قعقعةَ النبلِ
وحنّ لنا عودٌ فباحَ بسرهِ فكانَ عليه ساقُ جارية عُطلِ
تضاحكهُ طوراً وتُبكيهِ تارةً خدلّجةٌ هيفاء ذاتُ شوىً عبلِ
اذا ما علَتْ منا ذؤابةَ واحدٍ تمشت به مشي المقيد في الوحلِ
فلا نحنُ متنا موتةَ الدهر بغتةً ولا هيَ عادَت بعد علٍّ ولا نهلِ
سأنقادُ للّذات مُتبعَ الهوى لأُمضيَ همًّا أو أصيبَ فتىً مثلي
هل العيشُ الاّ أن تروحَ مع الصبي وتغدُوَ صريعَ الكأسِ والاعينِ النجلِ

قيل وأدخل الفضل بن يحيي أبا نواس الى عند الرشيد فقال له الرشيد أنت القائل

عُتّقتْ في الدَّن حتى هي في رِقةِ ديني

أحسبك زنديقاً قال يا أمير المؤمنين قد قلت ما يشهد لي بخلاف ذلك قال وما هو قال قلت

أيةَ نارٍ قدح القادحُ وأيّ حدٍّ بلغ المازحُ
للهِ درُّ الشّيب من واعظٍ وناصحٍ لو قُبل الناصحُ
فاغدُ لما في الحقّ اُغلوطةً ورُحْ لما أنت له رائحُ
مَن يتق اللهَ فذاك الذي سبق اليه المنجرُ الرابحُ
لا يجتلي الحوراء من خِدرها الا امرؤٌ ميزانُهُ راجحُ
فاسمُ بعينيك الى نسوةٍ مُهورُهنّ العملُ الصالحُ

فقال الفضل يا سيدي انه يؤمن بالبعث ويحمله المجون على ذكر مالا يعتقده ثم أنشد

لقد زادَ في رسم الديار بكائي وقد طال تَردادي بها وعَنائي
كأني مُريغٌ في الديار طريدةَ أراها أمامي مرةً وورائي
فلما بدا لي اليأسُ عدّيتُ ناقتي عن الدار واستولى عليّ عزائي
إلى بيت جارٍ لا تهرُّ كلابهُ عليّ ولا يُنكرن طولَ ثوائي

فما رُمتُهُ حتى أتى دون ماحوتْ يميني وحتى رَيطتي وحذائي
وكأسٍ كمصباح السماء شربتُها على قُبلةٍ أو موعدٍ بلقائي
أتتْ دونها الأيامُ حتى كأنها تساقطُ نورٍ من فتوقِ سماء
ترى ضوءها من ظاهر البيتِ ساطعاً عليكَ ولو غطّيتَهُ بغطاء
تباركَ من ساسَ الأمورَ بقُدرة وفضّل هارونَاً على الخلفاء
نراكَ بخير ما انطوينا على التقى وما ساسَ دُنيانا أبو الأمناء
امامٌ يخافُ الله حتى كأنما يُؤَمّلُ رؤياهُ صباحَ مَساء
أشم طُوالُ الساعدَين كأنما يُناطُ نجادا سيفه بلواء

فخلع عليه الرشيد ووصله بعشرة آلاف درهم والفضل بمثلها فنظر الى جارية تختلف كأنها لؤلؤة فقال ياأمير المؤمنين أماميت فى ليلتي هذه فاذامت فمرْ أن أدفن فى بطن هذه الجارية فقال له الرشيد خذها لابارك الله لك فيها قال أبونواس فأخذتها وانصرفت بمثل الشمس حسناً وفي منزلى غلام مثلُ القمر فتقيني محمد بن بشير الشاعر فقال أتيتك مُهنّأً بما حباك به أمير المؤمنين فقلت نعمة تتبعها نقمة قال ولم ذاك فقلت عندى غلام مثل القمر وهذه مثل الشمس وان جمعتهما أتخوّف ماتعلم وان أفردت الجارية لم آمن عليها وغلامي لابدّ منه قلت أجعلها عند بعض اخوانك الى وقت حاجتك اليها قلت فلعلّ الحارس هو المنحرس منه قال فصيّرها عند عجوز تثِقُ بها قلت لعلى استرعى الذئب قال ثم افترقا فالتقى معه أبو نواس بعد ثلاثة أيام فقال له يامحمد بن بشير ماعلى الارض شر منك شاورتك فى أمر فلم تفتح عليّ فيه شيئاً فلما فارقتك ازدحم عليّ الرأي المصيب قال محمد فما ذا صنعت قال زوّجت الشمس من القمر فحصلتهما لأقضى بهما وطرى قال كان الشئ عليك حلالا فجعلته حراما قال ياأحمق أشاورتك فى الحلال والحرام انما قلت كيف الرأي في تحصيلهما ثم أنشأ

زوّجتُ هاذاك بهذه لكيْ أنكحَ ثنتين فثنتين
أنكحُ هذي مرةً ثم ذا أديرُ رمحاً بين صفّين
متّعتُ نفسي بهما لذّةً يامنْ رأى مطلعَ شمسين

وحدّثنا محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان وهو أمير البصرة قال كان بالبصرة رجل من بني تميم وكان شاعراً ظريفاً وكنت آنس به فأردت ان أخدعه فقلت ياأبا نزار أنت شاعر وظريف والمأمون أجودُ من السحاب الحافل والريح العاصف فما يمنعك منه قال ماعندي ما أتجمل به قلت أنا أعطيك نجيباً فارهاً ونفقة سابغة تخرج اليه وقد امتدحته فانك ان حظيت بلقائه صرت الى أمنيتك قال والله أيها الأمير انى لاأظنك صادقا قلت أجلْ فدعوت بنجيبة فارهة فقال هذه احدى الحسنتين فما بال الأخرى فدعوت له بثلاثمائة درهم قال وهذه الثانية ثم قال أحسبك أيها الأمير قصرت فى النفقة قال هي لك كافية ان قبضت يدك عن السرف قل ومتي رأيت السرف في أكابر بني سعد فكيف فى أصاغرها فأخذ النجيبة والنفقة ثم عمل أرجوزة ليست بطويلة فانشدنيها وحذف منها ذكرى فقلت له فما صنعت شيئاً قال وكيف ذلك قلت تأتي الخليفة وأنت وافد فلا تثنى على أميرك قال أيها الأمير أردتَ أن تخدعنى فوجدتنى خداعا ولمثلها ضرب هذا المثل من ينك العَيْرَ ينك نائكا أما والله مالكرامتي حملتنى وجدتَ لى بمالك الذى مارامه أحد الا جعل الله خدّه الأسفل ولكن لأذكرك قلت فأنشدنى ماقلت فأنشدنى فقلت أحسنتَ وأجدت فتركنى وخرج حتى أتي الشام والمأمون بسَلَغوس فأخبرنى قالَ بينا أنا فى غداة قُرّة قد ركبت نجيبي ولبست أطماري وأنا أريد العسكر فاذا أنا بكهل على بغل فارهٍ مايقر قراره ولا تدرك خُطاه فتلقانى مكافحة ومواجهة وقال السلام عليكم بكلام جهوريّ ولسان بسيط فقلت وعليكم السلام فقال قف إن شئت فوقفت فتضوّعت منه رائحة المسك الأذفر فقال ممن قلت رجل من مُضر قال ونحن من مُضر ثم ماذا قلت من بني تميم قال وما بعدهم قلت من بني سعد قال هيهْ فما أقدمك قلت قصدت هذا الملك الذى ماسمعت بمثله أندى راحة ولا أوسع باحة ولا أطول باعا ولا أمدّ يفاعا منه قال فما الذى قصدته به قلت شعر طيب يلَذّ على أفواه الرواة ويحلو فى آذان المستمعين قال فانشدنيه فمضيت وقلت ياركيك أخبرك اني قصدت الخليفة بشعر قلته ومديح حبَّرته فتقول أنشدنيه فقال وما الذى تأمل فيه قلت ان كان على ماذكر لي فألف دينار قال أنا أعطيك الف دينار ان رأيت الشعر جيداً والكلام

عذبا وأضع عنك العناء وطول الترداد متى تصل أنت الى الخليفة بينك وبينه عشرة آلاف رامح ونابل قلت فلي عليك عهد الله أن تفعل قال لك الله أن افعل قلت ومعك مال قال بغلي هذا خير من الف دينار أنزلُ لك عن ظهره قال فغضبت وعارضتني مرّة بني سعد وخفّة أحلامها وقلت مايساوى هذا البغل هذا النجيب قال فدع عنك هذا ولك الله ان أعطيك الف دينار فانشدته الارجوزة وقلت

مأمونُ ياذا المِنَنِ الشريفَهْ وصاحبَ المرتبةِ المنيفَهْ
وقائدَ الكتيبةِ الكثيفَهْ هَلْ لكَ في أرجوزةٍ ظريفَهْ
أظرَفُ من فقه أبي حنيفَهْ لا والذي أنت له خليفَهْ
ماظُلِمَتْ في أرضنا عفيفَهْ أميرنا مؤنتُهُ خفيفَهْ
وما اجتنى شيئاً سوى الوظيفَهْ فالذئبُ والنعجةُ في سقيفَهْ
* واللّص والتاجرُ في قَطيفَهْ *

فوالله ماأتممت انشادها حتى جاءني زهاء من عشرة آلاف فارس قدسدوا الأفق وهم يقولون السلام عليك ياأمير المؤمنين فأخذني القلقُ ونظر الي شملي تلك الحال وقد تبدد فقال لابأس عليك قلت ياأمير المؤمنين أمعذري أنت قال نعم ثم التفت الي خادم في جانبه وقال له أعطه مامعك فاخرج له كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار وقال هاك سلام عليك فكان آخر العهد به .. حدثنا ابراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحاك قال دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دار المعتصم بالله فخرج علينا كالحاً فجاء إيتاخ وقال الملهون على الباب مخارق وعلوية وفلان وفلان فقال أعزب عليك وعليهم لعنة الله قال فتبسمت الى محمد وتبسم الىّ فقال المعتصم ممّ تبسمت ياحسين قلت من شئ خطر لي قال هاته فانشدته

إنْفِ عن قلبك الحزَنْ بدُنوٍّ منَ السكنْ
وتمتّعْ بكلّ طرْ فِكَ في وجهِ الحسنْ

فدعا بألفي دينار الف لي والف لمحمد بن عمرو فقلت ياأمير المؤمنين الشعر لي فمامعنى الف لمحمد قال لأنه جاء معك وأمر الملهينَ بالدخول فأدخلوا فما زال يومه ذاك ينشد

الشعر ولقد قام يريد البول فسمعته يردده .. قال أبو العيناء أنشدني المعتصم بعقب مدح جرى لبغداد

سقاني بعينيهِ كأسَ الهوَى فظلتُ وبي منه مثلُ اللّمَمْ
بعينيْ مَهاةٍ شقيقتُهُ وشُنبٍ عِذابٍ وفرعٍ أحَمْ

.. قال أبو العيناء فتوهمت انه يعنى سُرَّ من رأى ويكنى عنها بذلك الكلام فقلت ياأمير المؤمنين قال مروان فى جدّك

قريش الابلجُ ذو البهاء غيثُ العُفاة غَدَق الأَنواء
* وهم زمامُ الدولة الزهراء *

فقال قل ياأبا عبد الله فى مدح بني هاشم لك ولغيرك فلقد أصبت مقالا فانشدته لمروان ابن أبي حفصة

الى ملكٍ مثلِ بدر الدجي عظيمِ الفناء رفيعِ الدِّعَمْ
قَريعِ نِزارٍ غداةَ الفِجارِ ولو شئتُ قلتُ جميعَ الامَمْ
له كَفٌّ جودٍ تفيد الغِنى وكَفٌّ تبيدُ بسيف النقَمْ

فقال زدنى فأنشدته

إنتَجعي ياناقُ مُلوكَ غالبِ قريشَ بطحاءَ أولى الاهاضِبِ
والرأسُ ممدودٌ على المناكِبِ مدَّ القباطيِّ على المشاجِبِ

فقال زدنى فأنشدته

ياقُطْبَ رَجراجةِ الملْحاء ومنزلَ البدرِ منَ السماء
* والمجتدى فى السنة العَجْفاء *

فقال حسبك ياأبا عبد الله ثم التفت الى جارية بين يديه فقال عشرة بدَر ووصيفة وفرس ومملوك وخمسون ثوبا الساعة فجيء بذلك كله فأعطاه اياه وانصرف فقال له الناس ياأبا العيناء ماهذا قال مال الله على يد عبد الله الحمد لله والشكر لامير المؤمنين مادامت السماء وما حملت مقلتايَ الماء .. قال أحمد بن أبي طاهر أخبرني مروان بن أبي الجنوب قال لما استخلف المتوكل بَعثت اليه بقصيدة مدحت فيها ابن أبي دؤاد وفى آخرها بيتان

ذكرتُ فيهما ابن الزيات بين يدَي ابن أبي دؤاد وهما

وقيلَ لِيَ الزَّيّاتُ لاقَى حِمامَهُ فقلتُ أتانِي اللهُ بالفتحِ والنصرِ
لقد حفَرَ الزَّيّاتُ بالغدرِ حُفْرَةً فألقَى فيها بالخيانةِ والغدرِ

فلما صارت القصيدة فى يدَى ابن أبى دؤاد ذكر ذلك للمتوكل وأنشده البيتين قال أحضرنيه قال هو باليمامة قال يُحمل قلت عليه دين قال كم قلت ستة آلاف دينار قال يعطاها فأعطيت ذلك وحملت وصرت الى سُرّ من رأى وامتدحت المتوكل بقصيدة أقول فيها

رَحلَ الشبابُ وليتَهُ لم يَرحَلِ والشيبُ حِلّ وليتهُ لم يحلُلِ

فلما صرتُ من القصيدة الى هذا البيت

كانتْ خِلافةُ جعفرٍ كنبوّةٍ جاءتْ بِلا طلبٍ ولا بتَخَلُّلِ
وهبَ الالهُ لهُ الخلافةَ مِثلَما وهبَ النبُوّةَ للنبيّ المرسَلِ

أمر لى بخمسين الف درهم .. قال وكان علىّ بن الجهم يقع فى مروان ويثلبه حسداً لمنزله من أمير المؤمنين فقال له المتوكل يا علىّ أيكما أشعر قال أنا أشعر منه قال ما تقول يا مروان قال اذا حققت شعرك فى أمير المؤمنين لم أُبال بمن زيّف شعرى ثم التفت مروان الى علىّ فقال يا علىّ أنت أشعر منى قال نعم تشك فى ذا قال أمير المؤمنين بينى وبينك قال هو يُحابيك فقال المتوكل هذا من عِيّك ثم التفت الى حمدون النديم فقال ذا حكم بينكما فقال يا أمير المؤمنين تركتني بين لحيي الأسد قال لا بدّ أن تصدقنى قال يا أمير المؤمنين أعرفهما في الشعر أشعرهما فقال المتوكل يا مروان إهجه قال لا أبدأه ولكن يقول فقال علىّ قد كظنى النبيذ ولست أقدر أن أقول قال مروان لكنى أقول

ان ابنَ جَهْمٍ فى المَغيبِ يَعيبُني ويقولُ لى حَسناً اذا لاقانِى
وإذا التقينا ناكَ شِعرى شعرَهُ ونَزَا على شَيطانِهِ شَيطانِي
إنّ ابنَ جَهْمٍ ليسَ يرحمُ أمَّه لو كانَ يَرحمُها لما عادانِى

فقال المتوكل يا مروان بحياتى لا تقصر فقال

يا علىُّ يا ابن بَدْرٍ قلتَ أُمِيّ قُرَشيّه

قلتَ ما ليس بحقٍّ فاسكتي يا نَبطيّه
أُسكتي يا بِنتَ جَهنَمٍ أُسكتي يا حَلقيّه

.. قال فجعل المتوكل يضرب برجله ويضحك وأمر لي بألف دينار .. قال مروان صرت الى المتوكل فقلت

سَقى الله نجداً والسلامُ على نجدِ ويا حبذا نجدٌ على القربِ والبعدِ
نظرتُ الى نجدٍ وبغدادُ دونَها لعلي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
ونجدٌ بها قومٌ هواهمْ زيارتي ولاشيء أحلى من زيارتِهمْ عندي

قال فلما أتممتُ انشادها أمر لي بعشرين ومائة الف درهم وخمسين ثوبا وثلثة من الظهر فرساً وبغلة وحماراً فما برحتُ حتى قلت في شكره

تخيَّرَ ربُّ الناسِ للناسِ جعفرَا فملّكه أمرَ العباد تخيُّرَا

فلما صرت الى هذا البيت

فأمسِكْ ندَى كفّيكَ عنّي ولا تزِدْ فقدخِفتُ أن أطغى وأن أتجبرا

قال لا والله لا أمسك حتى أُغرقك بجودي ولا تبرح أو تسأل حاجةً قلت يا أمير المؤمنين الضيعة التي أمرت باقطاعي اياها من اليمامة ذكر ابن المدبر انها وقفٌ من المعتصم قال فاني أقبلكها بخراج درهم قلت لا يحسن أن يؤدّى درهم فقال ابن المدبر فألف درهم قلت نعم فأمضاها لي ثم قال ليست هذه حاجة قلت فضياعي التي كانت لي وحال ابن الزيات بيني وبينها فأمر بردها عليّ .. قال وقال أبو يعقوب الخطابي كنت جالساً عند معن بن زائدة واذا عليه إزار يساوي أربعة دراهم فقال يا أبا يعقوب هذا ازاري وقد قسمت العام في قومك خاصة أربعين الف دينار فبينا نحن نتحدث اذ أبصر اعرابياً يحط به الآل من خوخة مشرفة له على الصحراء فقال لحاجبه ان كان هذا يريدنا فادخله فدخل الاعرابي وسلم وأنشأ يقول

أصلحكَ الله قلّ ما بيَدِي فلا أُطيقُ العيالَ إذ كثُروا
ألحَّ دَهرٌ رمَى بكلكلِهِ فأرسَلوني اليكَ وانتظروا

قال فاضطرب وقال أرسلوك وانتظروا يا غلام ما فُعل بغلّتنا الفلانية قال حاضرة قال كم

هي قال الف دينار قال اطرحها اليه ثم قال اذهب اليهم بما معك ثم اذا احتجت فارجع .. وعن ابي يعقوب الخطابي قال دخل أعرابيٌّ معه ظبي صغير في نطع الي معن بن زائدة .. وقال

سَمَّيتُ مَعناً بمَعنٍ ثم قلتُ لهُ ... هذا سَمِيُّ امرئٍ في الناسِ محمودِ
أنتَ الجوادُ ومنكَ الجودُ أوَّلُه ... لا بل يمينُك منها صورةُ الجودِ

فأعطاه الف دينار .. قال ودخل يزيد بن مزيد مسجداً باليمن فوجد في قبلتهِ مكتوباً

مَضى معنٌ وخلاَّني ببثّي ... على مَعنِ بنِ زائدةَ السلامُ

فسأل عن قائله فاذا هو معهم فقال يا غلام أمعك شيء قال نعم الف دينار قال فادفعها اليه فخرج الرجل وهو يقول رحم الله أبا الوليد وصلني حياً وميتاً .. وحدثنا جعفر ابن منصور بن المهدي قال حدثني أبي قال حج المهدي فنزل زُبالةَ فدخل حسين بن مُطير الأسديّ عليه فقال

أضحتْ يَمينُكَ من جُودٍ مُصوَّرةً ... لا بَلْ يَمينُكَ منها صُورةُ الجودِ
من حُسنِ وجهِك تُضحي الأرضُ مشرقةً ... ومن بَنانِكَ يجري الماءُ في العودِ

فقال له المهديّ كذبتَ قال ولم ذاك يا أمير المؤمنين قل لقولك في معن بن زائدة

ألِمّا على مَعنٍ وقولا لقبرهِ ... سَقتكَ الغوادي مَربعاً ثُمَّ مَربعا
فيا قبرَ مَعنٍ كيف واريتَ جودَهُ ... وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترَعا
فلما مَضى مَعنٌ مَضى الجودُ وانقضى ... وأصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدعا
فكنتَ لدارِ الجودِ يا مَعنُ عامراً ... فقد أصبحتْ قفراً من الجودِ بَلقعا
أبَى ذكرُ معنٍ أن يُميتَ فعالَهُ ... وان كان قد لاقى حِماماً ومصرَعا
فتىً عيشَ في معروفه بعدَ موتهِ ... كما كان بعد السَّيلِ مجراهُ مَرتعا

فقال يا أمير المؤمنين انما معنٌ حسنة من حسناتك وفعلة من فعلاتك فأمر له بألف دينار ثم قال سل حاجتك .. فقال

بَيضاءُ تسحبُ من قيامٍ فرعَها ... وتغيبُ فيه وهو جَعدٌ أسحمُ
فكأنها فيه نهارٌ مشرقٌ ... وكأنه ليلٌ عليها مظلمُ

قال خذ بيدها لجارية كانت على رأسه فأولدها مطير بن الحسين بن مطير .. قال ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيي يسأله إيصاله الى الرشيد وانه قد مدحه بقصيدة ينشدها اياه وقد كان جعفر وصله بثلاثين الف درهم كتب له بها الى صالح الصَّيرفى وكانت فيها دراهم طبرية فقال

ثلاثون ألفاً كلها طبريةٌ ... دَعالى بها لما رأى الصَّكَّ صالحُ
دَعابالزُّيوفِ النَّاقِصاتِ وإنما ... عطاءُ أبى الفضلِ الجيادُ الرواجِحُ
فقلتُ له لما دَعا بزُيوفِهِ ... أَلجَدُّ هذا منكَ أم أنتَ مازحُ

فلما أنشد ذلك جعفراً ضحك وقال أنشدني مرثيتك فى معن بن زائدة فأنشده

كأنَّ الشمسَ يومَ أُصيبَ معنٌ ... من الظلماء مُلبسةً جِلالاَ
وكانَ النـاسُ كلهمُ لِمَعنٍ ... الى أن زارَ حُفرَتَهُ عِيـالاَ

فقال جعفر هل أنابك على هذه المرثية أحدٌ من ولده وأهله قال لا قال فلو كان حياً ثم سمعها منك بكم كان يثيبك قال باربعمائة دينار قال أظن انه كان لايرضاها لك قد أمرنا لك عن معن بأربعمائة كما ظننت وزدناك مثلها كما ظننناه به فيك فاغد على الخازن لقبضها منه .. قال ودخل أعرابى على داود بن يزيد بالسـند فقال أيها الأمير تأهب لمديحي فتأهب ثم قال لئن أحسنت لأحسننَّ اليك ولئن أسأت لأردنَّ شعرك فقال

أمنتُ بِداودٍ وجودِ يمينـهِ ... منَ الحدَثِ المَخشىِّ والبؤسِ والفقرِ
وأصبحتُ لاأخشى بداودَ نَبْوةً ... ولا حدَثاناً إذْ شَدَدْتُ به إزرى
فماطلحةُ الطلحاتِ ساواه فى الندى ... ولا حاتمُ الطائى ولا خالدُ القَسْرى
لهُ حكمُ لقمانٍ وصورةُ يُوسف ... ومُلكُ سُليمانٍ وصـدقُ أبي بكرِ
فتىً يَهرُبُ الأموالُ من طَلَّ كَفِّهِ ... كما يهرُبُ الشيطانُ من ليلةِ القدرِ

فقال يا اعرابي أحسنت فاحتكم وان شئت فاردد الحكم الىَّ فقال ما عند الأمير ما يسـعه حكمه فقال أنت فى هذا أشعر وأمر له بعشرة آلاف درهم .. قال ودخل محمد بن الجهم على المأمون فقال انشـدنى أحسن ما سمعته فى المديح فقال نعم يا أمير المؤمنين قوله

يجودُ بالنفسِ إذ ضَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ

فقال أنشدنى أخبث ماسمعته فى الهجو فقال قوله

قَبُحَتْ مَناظرُه فحينَ خبَرْتَهُ حَسُنتْ مناظرُه لقبحِ المَخْبَرِ

قال فأنشدني أحسن ما سمعته فى المراثي فقال قوله

أرادُوا ليُخفوا قبرَهُ عن عَدُوِّهِ فَطيبُ تُرابِ القبرِ دلّ على القبرِ

•• ومثله أيضاً

على قبرهِ بين القبورِ مهابَةٌ كما قبلهُ كانت على ساكنِ القبرِ

قال فأنشدني أحسن ما سمعته فى الغزَل قال قوله

حُبٌّ مُجِدٌّ وحبيبٌ يلعبُ وأنت مُلْقىً بينهم مُعذَّبُ

فاستحسن الأبيات ثم أمر بتقليدى الصَّيمرة والسِيروان ومِهرجانقذق والدينَوَرونهاوند فانصرفتُ من عنده بولاية الجبل

مساوى منع الشعراء والبخل

قيل كان أبو عطاء السنديّ بباب أمير المؤمنين أبى العباس وبنو هاشم يدخلون ويخرجون فقال

انّ الخيارَ من البريّة هاشمٌ وبَنو أميّةَ أرذلُ الأشرارِ

وبنو أُمية عودُهم من خروعٍ ولهاشمٍ في المجدِ عودُ نُضارِ

أما الدُّعاةُ الى الجنانِ فهاشمٌ وبنو أُميـة من دُعاة النارِ

وبهاشمٍ زكت البلادُ وأعشبت وبنو أمية كالسراب الجارِى

فلم يؤذن له فى الدخول على أبي العباس ولم يصله أحد من بني هاشم فولى وهو يقول

يا ليتَ جورَ بنى مَرْوانَ عادَلنا وانّ عدلَ بني العباسِ في النارِ

قال وقال المؤمل المحاربى شخصت الى المهـدى وهو بالريّ فامتدحته فأمر لى بعشرين

الف درهم فرُفع الخبر الى المنصور فبعث قائداً الي جسر النهروان يستبرى القوافل فلما وردت عليه قال من أنت قلت أنا المؤمل أقبلت من عند الأمير من الري فقال اياك أردت ثم أخذ بيدي فادخلني على المنصور وهو بباب الذهب فقال أتيتَ غلاما غرًّا فخدعته فقلت بل أتيت غلاما غِرًّا كريما فخدعته فانخدع فقال أنشدني ماقلته فيه فأنشدته

هو المهدىُّ الاّ أنّ فيه ... مَشابهَ صورةِ القمر المنير
تَشابهَ ذا وذا فَهُما اذا ما ... أنارا يُشكلانِ على البصير
فهذا فى الظلامِ سِراجُ نور ... وهذا بالنهارِ سِراجُ نور
ولكنْ فضّلَ الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابر والسريرِ
وبالملك العزيز فذا أميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقصُ الشهر يُخمِدُ ذا وهذا ... أميرٌ عند نقصانِ الشهور
فيابنَ خليفةِ الله المصفّى ... به تعلو مُفاخرةُ الفخور
لقد ملكَ الملوكَ أبوكَ حتي ... تراهُمْ بين كابٍ أوأسيرِ
وجئتَ وراءهُ تجرى حثيثاً ... ومابكَ حين تجرى من فُتورِ
فقال الناسُ ماهذانِ الاّ ... كابين الخليقِ الى الجديرِ
فانْ بلغَ الصغيرُ مدى كبيرٍ ... فقد خُلق الصغيرُ من الكبيرِ

فقال ما أحسن ماقلت ولكن لايساوى ماأخذت ياربيع خذ منه ستة عشر ألفاً وخلّه وما سواها قال فخطّ والله الربيع بغلى حتى أخذ منى ستة عشر ألفاً فما بقيت معى الا نُفيقة فآليتُ على نفسى أن لاأدخل العراق وللمنصور بها ولاية فلما بلغنى موت المنصور واستخلافُ المهدى قدمت بغداد وقد جعل المهدى على المظالم رجلا يقال له ثوبان فرفعت اليه قصة أذكر فيها خبرى فعرضها على المهدى فضحك حتى استلقى وقال هذه مظلمة أنا بها عارف رُدوا عليه ماله وزيدوا له عشرين الفاً فأخذتها وانصرفت .. قيل ودخل عونٌ على عمر بن عبد العزيز فقال ياأمير المؤمنين هذا جرير بالباب يريد الدخول عليك فقال عمر ماأدرى ان أحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يحجب عنى

قال انه يريد اذنا خاصا قال أدخله فخرج عون وأخذ بيده فأدخله فشكا اليه طول المُقام وشدّة الحال والحاح الزمان وجهد العيال وسأله ان يأذن له فى انشاده شعراً فقال انّ أمير المؤمنين لفى شُغل عن الشعر فقال انها رسالة من أهل الحجاز قال هاتها فقال

قدطالَ قولى اذا ما كنتُ مجتهداً ... يارب عافِ قَوامَ الدين والبشر
خليفةَ الله ثم الله يحفظهُ ... عند المُقامِ واتّما كان فى السفر
انا لنَرْجو اذا ماالغيثُ أخلفَنا ... منَ الخليفةِ مانرْجو منَ المطر
نالَ الخلافةَ اذْ كانتْ له قدَراً ... كما أتي ربَّهُ موسى على قدَر
مازلتُ بعدكَ فى دار تُؤَرّقنى ... قدطالَ فى الحيّ إصعادى ومنحدري
أأذْكُرُ الجهْدَ والبلوى التى نزلتْ ... أمْ قدكفانى الذى نبّئتُ من خبرى
كمْ بالمواسم منْ شعثاء أرْمَلةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوت والنظر
أمشي حزيناً يُبكّى فَقْدَ والده ... كالفرْخ فى العُشّ لم ينهضْ ولم يطِر
انْ تَنهُ عنه فمنْ يرْجو لفاقته ... أو تُنجِ منهافقد أنجيتَ منْ ضرر
أنتَ المباركُ والمهدىُّ سيرتُهُ ... تَعصى الهوى وتقومُ الليل بالسُّور
ماينفَعُ الحاضرُ المجهُودُ باديَنا ... ولا يعودُ لنا بادٍ على حضَر
هذى الأرامل قدقضّيتَ حاجتها ... فمنْ لحاجةِ هذا الأرْمل الذكَر
الخيرُ مادُمتَ حياً لايفارقنا ... بُوركتَ ياعُمرَ الخيرات من عُمَر

فبكي عمر ثم رفع رأسه وقال ماحاجتك ياجرير قال حاجتى ماعوّدتنى الخلفاء قبلك قال وما ذاك قال أربعمائة من الابل برعاتها وتوابعها من الحُملان والكُسى قال له عمر أمِنَ المهاجرين أنت قال لا قال فمن الانصار قال لا قال فممن أنت قال من التابعين باحسان قال اذاً نجرى عليك كما نجرى على مثلك قال فاني لاأريد ذاك قال فما أرى لك فى بيت المال غيره قال انما جئت أسألك من مالك قال فان لى كسوة ونفقة وأنا أقاسمكهما قال بل أؤثرك وأحمدك ياأمير المؤمنين فانصرف من عنده وهو يقول

وجدتُ رُقي الشيطانِ لاتستفزهُ ... وقد كان شيطاني من الجنّ راقيا

ولبعض الشعراء فى مثله

انّ حراماً قبولُ مَدْحتنا ومنعُ مانَرتجى من الصفَدِ
كما لدنانيرُ والدراهمُ فى الـــصرفِ حرامٌ الاّ يداً بيدِ

أبو نجدة فى مثله

فلما أنْ بلوناكَ ولم نَلقَكَ بالباشطْ
أطَعنا فيكَ ميموناً فصوَّرناكَ في الحائطْ
اذا لم تك نفّاعاً فأنتَ النازحُ الشاحطْ
سَواءٌ أنتَ فى عينى بحيٌّ كنتَ أم واسطْ

٠٠ وروى فى الحـديث قال لايجتمع الشحّ والايمانُ فى قلب عبد أبداً ٠٠ ويقولون الشحيح أعـذرُ من الظالم وأقسم الله جلّ وعزّ بعزّته لايساكنه بخيـلٌ ٠٠ وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزْه فانه لايدرى متى يغلق عليه وقال الشاعر فى ذلك

ليسَ في كلّ ساعةٍ وأوانٍ تَهيّأ صنائعُ الإحسان
فاذا أمكنتْ تقدّمتُ فيها حذراً من تعذر الإمكان

٠٠ وسئل بعض الحكماء من أكيس الناس في زماننا فقال ابن أبي داود حيث يقول فيه الشاعر

بدا حينَ أثرَى باخوانه ففلّلَ عنهمْ شباةَ العدَمْ
وحذّرهُ الحزمُ صَرْفَ الزمان فبادر قبل انتقالِ النعمْ
فليس وان بَخِلَ الباخلو نَ يقرَعُ سنّاً له من ندمْ
ولاينكُتُ الارض عندالسؤال ليمنعَ سوّاله عن نَعَمْ
ولكن ترى مُشرقاً وجهُهُ ليَرْتعَ فى ماله مَنْ عَدِمْ

وفصل لبعضهم في هذا المعنى ان لأيام القدرة على الخير غنائم فاصطنعها مادامت راهنة لديك وأنت منها متمكنٌ قبل ان تنقضى عنك ٠٠ وفى المثل السائر في البخل هو أبخلُ من قاذر وهو رجل من بني هلال بن عامر بلغ من بخله انه سقى إبله فبقى فى أسفل

الحوض ماء قليل فسلح فيه وقذر الحوض فسمّي قاذراً .. وذكروا ان بني فزارة وبني هلال تنافروا الى أنس بن مُدرك وتراضوا به فقالت بنو هلال يابني فزارة أكلتم أيرَ الحمار فقال بنو فزارة لم نعرفه وكان سبب ذلك ان ثلاثة أنفار اصطحبوا فزاريّ وثعلبيّ وكلابيّ فصادوا حمار وحش فمضى الفزارى فى بعض حوائجه فطبخاه وأكلاه وخبّئا للفزاريّ أير الحمار فلما رجع قالا له قد خبأنا لك فكل فأقبل يأكل ولا يسيغه فجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام اليهما فقال لهما ان أكلتماه والاقتلتكما فامتنعا فضرب أحدهما فأبان رأسه وتناوله الآخر فأكل منه فقال فيهم الشاعر

نَشَدْتُكَ يافزَارُ وأنتَ شيخٌ ... اذا خُيّرْتَ تخطيءُ فى الخيارِ
أصيحانيّةٌ أُدِمَتْ بسمنٍ ... أحبُّ اليكَ أمْ أيرُ الحمار
بَلى أيرُ الحمار وخُصيتاهُ ... أحبُّ الى فزَارةَ منْ فزَارِ

فقالت بنو فزارة منكم يابني هلال من سقى ابله فلما رويت سلح فى الحوض وقذره بخلا فقضى أنس بن مُدرك على الهلاليين وأخذ الفزاريّون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها .. وفى بني هلال يقول الشاعر

لقد جلّلتْ خزياً هلالُ بنُ عامرٍ ... بني عامرٍ طُرًّا بسَاحَةِ قاذِرِ
فُفّي لكُمْ لاتذكروا الفَخْرَ بعدها ... بني عامرٍ أنتم شِرارُ المعاشرِ

وفى المثل هو أبخل من نار الحُباحِب وهو رجل كان فى الجاهلية من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفأه فضرب به المثل .. ومنهم صاحب نجيح بن سُليف اليربوعي فانه ذكر ان نجيحاً خرج يوما الى الصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتي دفع الي أكَمَة فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد فى أطمار بين يديه ذهب وفضة ودرّ وياقوت فدنا منه نجيح فتناول منها بعضها فلم يستطع أن يحرّك يده حتى ألقاها فقال ياهذا ماالذى بين يديك وكيف تستطيع حمله ألك هو أم لغيرك فانى أعجب مما أرى أجوادٌ أنت فتجود لنا أم بخيلٌ فاعذرك فقال الأعمى كيف تطلب مال رجل قد غاب منذ سنتين وهو سعد بن خَشْرَم بن ثمّاس فاتنى بسعد يعطيك ماتشاء فانطلق نجيح مُسرعا قد استطير فؤاده حتي وصل الى محلّته ودخل خباءه فوضع رأسه

ونام لما به من الغم لايدرى من سعد فأتاه آتٍ فى منامه فقال يانجيح ان سعد بن خشرم فى حيّ محلّمٍ من ولد ذُهل بن شيبان فخرج وسأل عن بني محلّم ثم سأل عن خشرم فاذاهو بشيخ قاعدعلى باب خبائه فحيّاه نجيح فردّ عليه فقال له نجيح من أنت قال خشرم بن شمّاش قال وأين ابنك قال خرج فى طلب نجيح بن سُليف اليربوعي وذلك ان آتياً أتاه فى منامه فخبّره ان مالا له فى نواحي بني يربوع لايعلم به الا نجيح فضرب نجيح بطن فرسه وهو يقول

أيطلُبُنى من قد عنانى طلابُهُ ... فيالَيتنى ألقاكَ سعدَ بنَ خشرَمِ

أتيتَ بني يربوعَ تطلُبُنى بهِ ... وقد جئتُ كىْ ألقاكَ حىَّ محلّمِ

فلما دنا من محلته استقبل سعداً فقال له أيها الراكب هل لقيت سعداً في بني يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نجيح قال أنا نجيح وحدثه بالحديث ثم قال الدالّ على الخير كفاعله وهو أول من قاله فانطلقاحتي أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل حين أبصرهما وترك المال فأخذه سعد كله فقال له نجيح ياسعد قاسمنى فقال له اطوِ عن مالى كشحاً وأبَى أن يعطيه فانتضى نجيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحوّل الرجل الحافظ للمال سِعلاةً فأسرع فى أكل سعد وعاد المال الي مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولّي هاربا الى قومه .. قال وكان أبو عميس بخيلا فكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره بأصبعه ثم يقول له كم من مدينة قد دخلتها ويد قد وقعت فيها والآن استقرّ بك القرار واطمأنّت بك الدار ثم يرمي به فى صندوقه فيكون ذلك آخر العهد به .. قيل ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شقّ لا اله الا الله وفى شق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يكون هذا الا مَعاذة وقذفه فى صندوقه .. وذكروا انه كان بالرىّ عاملٌ على الخراج يقال له المسيَّب فأتاه شاعرٌ فامتدحه فسعل سَعلة فضرط فأنشأ الشاعر يقول

أتيتُ المُسَيَّبَ فى حاجةٍ ... فما زال يسعُلُ حتى ضرَط

فقال غَلَطنا حسابَ الخراجِ ... فقلتُ من الضرطِ جاء الغلطْ

فولعَ به الصبيان فكان كلما مرّ قالوا من الضرط جاء الغلط فما زالوا يقولون ذلك حتى

هرب منها من غير عزل .. وكان أبو الاسود الدؤلى بخيلا وهو القائل لبنيه لا تجاودوا الله فانه أجود وأمجد ولوشاء أن يوسع على الناس كلهم حتى لايكون فقير لفعل .. وسمع رجلا يقول من يعشي الجائع فعشاه ثم ذهب ليخرج فقال هيهات تخرج فتؤذى غيرى من المسلمين كما آذيتني ووضع رجله فى الأدهم حتى أصبح .. قال وكان رجل يأتي ابن المقفّع فيلحّ عليه ويسأله الغداء عنده فيقول لعلك تظن اني أتكلف لك شيئاً والله لا أقدّم اليك الا ما عندى فلما أتاه اذا ليس في بيته الا كسر يابسة وملحٌ جريشٌ وجاء سائل الى الباب فقال وسّع الله عليك فلم يذهب فقال والله لئن خرجت اليك لأدقن ساقك فقال ابن المقفع للسائل لو عرفتَ من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم تردد كلمة ولم تقم طرفة ببابه .. المدائنى عن خالد كيلويه قال كنت نجاراً حاذقاً فذهب بى الى المنصور فقال افتح لى باباً أنظر منه الي المسجد وعجل الفراغَ منه قال ففتحت الباب وعلقت عليه باباً وجصصته وفرغت منه قبل وقت الصلاة فلما نودى بالصلاة جاء فنظر اليه فأعجبه عملى وقال لى أحسنت بارك الله عليك وأمر لي بدرهمين .. قال وقال المنصور للمسيب بن زهير أحضرنى بَناءً حاذقاً الساعة فأحضره فأدخله الى بعض مجالسه وقال لي ابن لي بأزائه طاقاً يكون شبيهاً بالبيت فلم يزل يُوءتى بالجصّ والآجُرّ حتى بناه وجوّده ونظر اليه واستحسنه فقال للمسيب اعطه أجره فأعطاه خمسة دراهم فاستكثرها وقال لا أرضي بذلك فلم يزل حتى نقصه درهماً ففرح بذلك وابتهج كأنه أصاب مالا .. وحكي عن المنصور انه لُدغ فدعا مولى له يقال له أسلم رقّاءً فأمره أن يرقيه فرقاه فبرئ فأمر له برغيف فأخذ الرغيف فثقبه وصيره فى عنقه وجعل يقول رقيت مولاى فبرئ فأمر لى برغيف فبلغ المنصور ذلك فقال لم آمرك أن تشنع علىّ قال لم أشنع انما أخبرت بما أمرت فأمر أن يُصفع ثلاثة أيام فى كل يوم ثلاث صفعات .. وعن الأصمعيّ قال دخل أبو بكر الهجرىّ ذات يوم على المنصور فقال يا أمير المؤمنين أنتقض علىّ فمي وأنتم أهل بيت بركة فلو أذنت لى لقبلت رأسك لعل الله يشد فمي فقال المنصور اختر ذلك أو الجائزة فقال يا أمير المؤمنين أهون علىّ من ذهاب درهم الجائزة أن لا يبقى فى فمى حاكّة .. ومنه مكاتبات كتب ارسطاطاليس الى رجلٍ فى رجل يصله بشئ فلم يفعل

فكتب اليه ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت فلم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .. قيل وكتب ابراهيم بن سيّابة الى رجل صديق له كثير المال يستسلفه فكتب اليه العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب فكتب اليه ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله معذوراً .. قال وكتب بعضهم يصف رجلا أما بعد فانك كتبت تسأل عن فلان فكأنك هممت أو حدثت نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فان حسن الظن به لا يقع فى الوهم الا بخذلان الله وان الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله وان الرجاء لما فى يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الاقتار الذى نهى الله عنه هو التبذير الذى يعاقب الله عليه والاقتصاد الذى أمر الله عز وجلّ به هو الاسراف الذي يعذب الله عز وجل عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس بالمنّ والبصل بالسلوى الا لفضل أحلامهم وقديم علم توارثوه من آبائهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهمة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجل أخاه من الذنوب الموبقة وافضاله عليه من احدى الكبائر وان الله عز وجل لا يغفر أن يؤثر المرء فى خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضلّ ضلالا بعيداً وخسر خسراناً مبيناً كأنه لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى جل اسمه عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تأخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم وان الريح العقيم أهلكت عاداً وثمود لتوسع كان فيهم وهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعد نفسه العقوق ويأمرها بالبخل خيفة أن تمرّ به قوارع الدهور وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فأقم رحمك الله بمكانك واصبر على عسرك لعل الله أن يبدلنا واياك خيراً منه زكاة وأقرب رُحماً .. ومنه فنٌّ آخر وصف اعرابى رجلا فقال له بشرٌ مُطمع ومطل موئس فأنت منه أبداً بين اليأس والطمع لا منع مُريح ولا بذل سريح .. وقال اعرابى أنا من فلان فى أمانىّ تهبط العصم وخُلْف يذكر العدم ولست بالحريص الذى اذا وعده الكذوب أعلق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه .. وذكر اعرابى رجلا فقال له مواعيد

عواقبها المطل وثمارُها الخُلف ومحصولها اليأس ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ..
وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلّب وأمانيّ الكمون
ونار الحُباحِب وصَيِّفٌ تحته راعدة .. ولبعض الكتاب فصل في هذا المعنى أما بعد
فان كثرة المواعيد من غير نجح عارٌ على المطلوب وقلتها عند الحاجة مكرمةٌ من صاحبها
وقد رددتنا في حاجتنا هذه مع كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد رضينا
بالتعلل بها دون النجاح كقول الأول

لا تجعلنّا ككمُّون بمزرعةٍ إنْ فاته الماء أروته المواعيدُ

.. ولآخر منهم ما رأيت مثل طيب قولك أمره سوء فعلك ولا مثل بسط وجهك خالفه
ضيق تنكيدك ولا مثل قرب مواعيدك باعدها فرطُ مطلِكَ ولا مثل أنس بديهتك
أوحش منه قبيح عواقبك حتى كأن الدهر أودعك لطيف الحيلة بالمكر بأهل الخلة
وكأنه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة وقد قيل وعد الكريم نقد وتعجيل
ووعد اللئيم مطل وتأجيل .. وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نُعاس
الكلب وغررتنا غرور السراب ومَنيتنا أمانيّ الكمون .. ولبعضهم أما بعد فلا تدَعني
متعلقاً بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فأنجح
وان تعذرت الحاجة فأوضِح وأعلمني ذاك لأصرف وجهَ الطلب الى غيرك .. وذكروا
ان فتىً من مراد كان يختلف الي عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ألك امرأة قال لا
قال أفتتزوّج وعليّ المهر فرجع الى أمه فأخبرها فقالت

اذا حدّثتكَ النفسُ أنكَ قادرٌ على ماحوَت أيدى الرجالِ فكذّبِ

فتزوج ثم أتي عمرو بن العاص فاعتل عليه ولم ينجز له وعده فشكا ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على امرئ في مالِه وعلى كرائم مالِ نفسكَ فاغضبِ

ولبعض الشعراء في هذا المعنى

أروحُ وأغدُو نحوكم في حوائجي فأُصبحُ منها غَدْوة كالذي أُمسِي
وقد كنتُ أرضى للصديق شفاعتي فقد صرتُ أرضى أن أُشفّعَ في نفسي

ولأبي نُواس

وعدتنى وعدك حتى إذا أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بغسالة تغسل ما قلت بصابون

•• وأنشد لأبى تمام

يحتاج من يرتجي نوالكم الى ثلاث بغير تكذيب
فكنز قارون أن يكون له وعمر نوح وصبر أيوب

•• ولآخر

إنى لأعجب من قول غررت به حلو يلذ اليه السمع والبصر
لو تسمع العصم فى صم الجبال به ظلت من الراسيات العصم تحدر
كالخمر والشهد يجرى فوق ظاهره وما لباطنه طعم ولا خبر
وكالسراب شبيهاً بالغدير وإن تبغ السراب فلا عين ولا أثر
لا ينبت العشب عن برق وراعدة غراء ليس بها سيل ولا مطر

ومما قيل من الشعر فى البخل بالطعام لبعضهم

رأيت أبا عثمان يبذل عرضه وخبز أبي عثمان فى أكرم الخبز
يحن الى جاراته بعد شبعه وجاراته غرثى تحن الي الخبز

•• آخر

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة حتى نزلت على عوف بن خنزير
ألحابس الرون فى أعفاج بغلته بخلا على الحب من لقط العصافير

•• ولغيره

نوالك دونه خرط القتاد وخيرك كالثريا فى البعاد
ترى الإصلاح صومك لا لنسك وكسراً للرغيف من الفساد
أرى عمر الرغيف يطول جداً لديك كأنه من قوم عاد

•• ولآخر

اللؤم منك على الطعام طباع فعيال بيتك ما حييت جياع
وإذا يمر ببابك سائل هرت عليه نوابح وسباع

وعلى رغيفِكَ حيةٌ مسمومةٌ وعلى خُوانك عقربٌ وشُجاعُ

.. ولآخر

يا تاركَ البيتِ على الضيفِ وهارباً منهُ منَ الخوفِ
ضيفُكَ قد جاء بزادٍ لهُ فارجع فكن ضيفاً على الضيفِ
إذا اشتهى الضيفُ طبيخَ الشتا أتاهُ بالشهوةِ فى الصيفِ
وإنْ دنى المسكينُ من بابهِ شدَّ على المسكينِ بالسَّيفِ

.. ولآخر

يَكتُبُ بالحبرِ على خُبزِهِ واللهِ لا يأكلُهُ الجارُ
ويسألُ الخادمَ من بُخلهِ أىُّ رغيفٍ فيه آثارُ
ويَختمُ القِدرَ على أهلهِ ويَشعَبُ العظمَ بمسمارِ
والماء فى منزلهِ طُرفةٌ يشربُه الناسُ بمقدارِ

.. ولآخر

أرَي ضيفَكَ فى الدَّارِ وكربُ الموتُ يَغشاهُ
على خُبزِكَ مكتوبٌ سيكفيكَهُمُ الله

.. ولآخر

لأبى نوحٍ رغيفٌ أبداً فى حِجرِ دَايَه
أبداً يمسَحُهُ الدهـ.....رَ بكُمٍّ وَوِقَايَه
ولهُ كاتبُ سرٍّ خطَّ فيهِ بعِنايَه
فسيكفيكَهُمُ اللّـــهُ الى آخرِ آيَه

.. آخر

الخبزُ يُبطىء حينَ يدعوبه كأنه يَقدُمُ من قافِ
ويمدَحُ المِلحَ لأصحابهِ يقولُ هذا ملحُ سيرافِ
سِيَّانِ أكلُ الخبزِ فى دارهِ وقلعُ عينيهِ بخُطَّافِ

.. آخر

فتى لايَغارُ على عِرْسِهِ ولكنْ يَغارُ على خُبزِهِ
فمنهُ يدُ الجودِ مقبوضةٌ وكفُّ السماحةِ في عَجْزِهِ

.. آخر

يصونونَ أثوابهمْ في التخوتِ وأزواجُهم يخترقْنَ السِّكَكْ
يُنحونَ منْ رامَ رُغفانَهمْ ويُدنونَ من رامَ حلَّ التِّكَكْ

.. ولآخر

ولوْ أنَّ الذبابَ يراهُ يوماً عدَتْ غَرْثى لصحفتِهِ تَرُومُ
لنادَى فى العشيرَةِ أدركونى ألاَ أينَ القماقِمُ والفرُومُ
فياوَيْلَ الذُّباب إنَ أدركوهُ وفي الهيجا عدوّهمُ سليمُ

.. ولآخر

أمَّا الرغيفُ لدَى الخُوا نِ فمنْ كريماتِ الحرَمْ
ماإنْ يُجسُّ ولاَ يُمَـــــسُّ ولا يُذاقُ ولا يُشَمْ
فتراهُ أخضرَ يابساً بالى النقوشِ منَ الهرَمْ

.. ولآخر

أينا أبا طاهر مُفطرينَ الى رحله فرَجعنا صياما
وجاء بخبز لهُ حامضٍ فقلتُ دَعوهُ وموتوا كراما

.. وعن حذيفة بن محمد الطائى قال قال الرشيد لاأعرف لمولّدٍ أهجى من قول أبى نواس

وماروّحتنا لتذُبَّ عنّا ولكنْ خفتَ مَرْزِئَةَ الذباب
شرابُكَ كالسراب اذا التقينا وخبزُكَ عندَ مُنقطعِ التراب

.. ولآخر

خانَ عهدى عمرٌو وماخنتُ عهده وجفانى وما تغيَّرتُ بعدَه
ليسَ لي ماحبيتُ ذنبٌ اليه غير أنى يوماً تغدَّيتُ عندَه

الخليل بن أحمد

كَفّاهُ لَمْ تُخلَقا للندَى ولم يكُ بُخلُهما بدْعَه
فكفٌّ عن الخير مقبوضةٌ كما نقصتْ مائةٌ تسعهْ

.. ولآخر

أتيتُ أبا عمرو أُرَجّي نوالَهُ فزادَ أبو عمرو على حزَني حُزْنا
فكنتُ كباغي القَرنَ أسلم أُذْنَهُ فآبَ بلا أُذْنٍ ولم يستفدْ قَرْنا

مساوي من استدعي الهجاء ومن هجا نفسه

قال أبو العتاهية خرجت مع المهدي الى الصيد فتفرّق أصحابه وبقيت معه وقد أقبل علينا المطر فانتهينا الى ملاّح معه زَوْرق فقال لنا ادخلا من هذا المطر فدخلنا ووقعت الرعدة على المهدى من شدة البرد فقال له الملاّح هل لك ان ألقى عليك جُبتى فقال نعم فألقاها عليه فما زال يتقرقف حتى نام ثم أقبل الخدم والغلمان وألقوا عليه الخزّ والوشى فلما انتبه أمر بدفع ذلك الى الملاّح وقال يأبا العتاهية الا هجوتنى فقلت ياأمير المؤمنين وكيف تطيب نفسى بهجائك قال فانى أسألك بالله فقلت

يالابسَ الوَشْى على شيْبَهِ ماأقبحَ الأشيبَ فى الدّاحِ

فنقر نقرة ثم قال زدني فقلت

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامَةٍ وفي وِشاحَيْنِ وأوْضاحِ

فقال ويلك زدنى فقلت

كَمْ منْ عظيمِ الشأن فى نفسه قد باتَ فى جُبّةِ مَلاّحِ

.. قيل وشرب يزيد بن معاوية ذات يوم وعنده الأخطل فلما ثمل قال ياأخطل اهجنى ولا تفحشْ فأنشأ يقول

ألاَ أسْلَمْ سلمتَ أبا خالدٍ وحيّاكَ ربُّك بالعَنقَزِ
وروّى عظامَكَ بالخندَريـ ـسِ قبل الممات ولم تَعْجِزِ

أكلتَ الدّجاجَ فأفنيتها فهل في الخنانيص من مَغْمَزِ
ودينُكَ حقاً كدينِ الحما ربل أنتَ أكفرُ من هُرْمُز

فرفع يده ولطمه وقال يابن اللخناء مابكل هذا أمرتك .. قال ودخل أبو دلامة على المنصور وعنده المهدى وعيسى بن موسى فقال له المنصور أهج بعض من فى المجلس فقال فى نفسه من أهجو الخليفة أم ابن أخيه ماأحد أحق بالهجاء منّي فقال

ألا أبلغْ لديك أبا دُلامه فلستَ من الكرامِ ولا كرامه
جمعتَ دَمامة وجمعتَ لؤماً كذاكَ اللؤمُ تتبعُهُ الدّمامه
اذا لبسَ العِمامَةَ قلتُ قِرْدٌ وخنزيرٌ اذا وضعَ العِمامه

فضحك المنصور وأمر له بجائزة .. قيل وأتى اعرابى عبد الله بن طاهر فقال أيها الامير اسمع مديحتى فقال لست انحاش له قال فاسمع شعرى فى نفسي فقال هات فقال

ليسَ من بخلكَ أنى لم أجدْ عندكَ رزقا
ذا لجدّى ولشؤمي ولحُرْفيَ المُبقّي
فجزاكَ الله خيراً ثم بُعْداً لى وسُحْقا

فضحك ثم قال تلطّفتَ فى الطلب وأمر له بألف دينار

محاسن الرجال

مدح اعرابي رجلاً فقال فتى آتاه الله الخير ناشئاً فأحسن لبسه وزين نفسه .. ومدح اعرابي رجلا فقال كان والله للأخلاّء وصولاً وللمال بذولا وكان الوفاء بهما عليه كفيلا فمن فاضله كان مفضولا .. ومدح اعرابى رجلا فقال هو أكسبهم للمعدوم وآكلهم للمأدوم وأعطاهم للمحروم .. ومدح اعرابى رجلا فقال مازلتُ لأحسن مايرجي من الاخوان منك راجياً وما زلتَ لأكثر ماأرجو منك مصدقا .. ومدح اعرابى رجلا فقال كان والله تَعباً فى طلب المكارم وغيرُ ضالّ في مصالح

طرقها ولا متشاغل عنها بغيرها .. ومدح اعرابي رجلا فقال لسانه من الشهد وقلبه سجن للحقد .. ومدح اعرابي رجلا فقال ذاك صحيح النسب مستحكم الأدب من أيّ أقطاره أتيته قابلك بكرم فعال وحسن مقال .. ومدح اعرابي رجلا فقال اذا أنبتت الأصول فى القلوب نطقت الألسُن بالفروع والله يعلم انى لك شاكر ولساني بثنائك ذاكر وما يظهر الودّ السليمُ الا من القلب المستقيم .. ومدح اعرابي رجلا فقال كان اذا نزلت به النوائب قام اليها ثم قام بها ولم تقعده عِلاّت النفوس عنها .. ومدح اعرابي رجلا وفرساً فقال كان والله طويل العذار أمين العثار اذا رأيت صاحبه عليه حسبته بازياً على مرقب معه رمح يقبض به الآجال .. ومدح اعرابي رجلا فقال لا تراه الدهر الا كأنه لاغنى به عنك وان كنت اليه أحوج واذا أذنبت غفر وكأنه المذنب وان احتجت اليه أحسن وكأنه المسىء .. قال وقال اعرابي لرجل أما والله لقد كنت لجاما لأعدائك ماتفلّ شكيمته اذا كبح به الجموح أقمي على رجليه .. قال ولقي اعرابي اعرابياً فقال كيف وجدت فلاناً قال وجدته والله رزين الحلم واسع العلم خصيب الجفنة ان فاخرته لم يكذب وان مازحته لم يُحفظ .. ومدح اعرابي رجلا فقال كان يفتح من الرأى أبوابا منسدّة ويغسل من العار وجوهاً مسودّة .. ومدح اعرابي قوما فقال أولائك غيوث جدب وليوث حرب ان قاتلوا أبلوا وان أعطوا أغنوا .. ومدح اعرابي رجلا فقال ذاك من شجر لايجفّ ثمره وماء لايخاف كدره

مساوى الرجال

ذمّ اعرابي رجلا فقال يانطفة الخمار ونزيع الظؤرة وشبيه الاخوال .. وذم قوما فقال ان آل فلان قوم غدر شرّابون للخمر ثم هذا فى نفسه نطفة خمّار فى رحم صنّاجة .. وذمّ اعرابي رجلا فقال يقطع نهاره بالمنى ويتوسّد ذراع الهمّ اذا أمسى .. وذمّ اعرابي رجلا فقال ماقنّع كميّاً سيفاً ولا قرى يوما ضيفاً ولا حمدنا له شتاء ولا صيفاً

٠٠ وقال اعرابي لامرأته أقام الله ناعيك وأشمت أعاديك ٠٠ وذم اعرابى رجلا فقال عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بفسقه وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال ٠٠ وذم اعرابى رجلا فقال تسهر زوجته جوعا اذا نام شبعاً ولا يخاف عاجل عار ولا آجل نار كالبهيمة أكلت ماجمعت ونكحت ماوجدت ٠٠ وذمّ اعرابى رجلا فقال ذاك أعيي مايكون عند الناس أبلغ مايكون عند نفسه ٠٠ ولام اعرابى رجلا فقال تقطع أخاك لأبيك وأمك فقال انى لأقطع الفاسد من جسدى وهو أقرب اليّ من أخي وأعزّ فتداً منه ٠٠ وذمّ اعرابى قوما فقال ياقوم لاتسكنوا الى حلاوة مايجرى من القول على ألسنة بني فلان وأنتم ترون الدماء تسيل من أفعالهم قد جعلوا المعاذير ستوراً والعلل حجباً ٠٠ وذمّ اعرابى رجلا فقال اذا سأل ألحَف واذا سُئل سوّف يحسد أن يفضّل ويزهد أن يفضِل ٠٠ وذمّ اعرابي رجلا فقال يكاد ان يُعْدِى بلؤمه من تسمّى باسمه ٠٠ وذمّ اعرابى رجلا فقال تعدو اليه مواكب الضلالة وترجع من عنده بهلاك الأنام مُعْدِمٌ مما يحبّ مُثْرٍ مما يكره ٠٠ وقال اعرابى لرجل والله ما جفانكم بعظام ولا أجسامكم بوسام ولا بدت لكم نار ولا طلبتم بثار ٠٠ ورأى اعرابياً رجلا ظلوماً يدعو فقال ياهذا انما يستجاب لمظلوم أو مؤمن ولست أحداً منهما أراك تخف عليك الذنوب وتحسن عندك مقابح العيوب ٠٠ وذم اعرابى رجلا فقال فلان لا يستحي من الشر ولا يحب أنه أحب الخير ولا يكون فى موضع الا حرمت فيه الصلاة ولو قذف لؤمه على الليل طمس نجومه ولو أفلتت كلمة سوء لم تصل الا اليه ٠٠ وسأل اعرابى رجلا فقال لقد نزلت بواد غير ممطور وبرجل بك غير مسرور فارتحل بندم أو أقم بعدم ٠٠ وذم آخر رجلا فقال ما كان عنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل ولا إكرام الدخيل ٠٠ وقيل لاعرابى ما بلغ من سوء خلقك قال تبدو لى الحاجة الى الجار أو الصاحب فى بعض الليل فأصبح غضبان عليه أقول كيف لم يعلمها ٠٠ وذكر انه تنافر رجلان من بني أسد الى هَرِم بن سنان المرّى فى الشر وعنده الحطيئة فقال أحدهما انى بقيت زماناً وأنا أرى انى شر الناس وألأمهم حتى أتاني هذا فزعم انه شر مني فقال هرم أخبرانى عنكما فقال أحدهما لم يمر بي أحد قط الا اغتبته ولا أتمنى الا

خنته ولا سألني الا منعته وقال الآخر أما أنا فأبطرُ الناس فى الرخاء وأجبنهم فى اللقاء وأقلهم حياء وأمنعهم حباء فقال هرم وأبيكما لقد ترددتما فى الشر ولكن أُخبركما بمن هو شر منكما قالا ما ولدت ذاك النساء قال بلى هذا الحطيئةُ هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه ومن أحسن اليه فقال لأبيه

لحاكَ اللهُ ثمّ لحاكَ حقاً أباً ولحاكَ من عمٍّ وخالِ
فبئسَ الشيخُ أنت على النوادى وبئسَ الشيخُ أنت لدى المعالى
جمعتَ اللؤمَ لا حيّاك ربى وأبوابَ المخازى والضلالِ

٠٠ وقال لأمه

تنحَّىْ فاقعُدى منى بعيداً أراح اللهُ منكِ العالمينا
أغربالا اذا استودِعتِ سراً وكانوناً على المتحدثينا
ألم أُوضِحْ لكِ البغضاء منى ولكن لا أخالُكِ تعلمينا

٠٠ وقال لنفسه

أبَتْ شفتاى اليوم إلاّ تكلماً بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائله
أرى لىَ وجهاً شوّه اللهُ خَلقَهُ فقبحَ من وجهٍ وقبح حامله

٠٠ وقال لمن أعطاه

سألتُ فلم تبخلْ ولم تعطِ نائلاً فسيّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ

قيل ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له أوصِ فقال

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلّمُه إذا ارتقى فيهِ الذى لا يَعلمُه
زَلّتْ به الى الحضيضِ قدمُه والشعرُ لا يسطيعُهُ من يَظلمُه
يريد أن يُعربَهُ فيعجمُه

فقيل له أوص للمساكين بشئ فقال أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فانها تجارة لن تبور قيل أوص فقد حضرك أمرك فقال مالى للمذكور من ولدي دون الاناث قيل له ان الله عز وجل لم يأمر بهذا قال لكني آمر به فقيل له اعتق غلامك يساراً الأسود قال هو مملوك مادام على ظهر الأرض عبسيٌّ قيل له من أشعر الناس فقال هذا المحجن ماطمع

في خير وأومأ الى لسانه ثم جعل يبكى فقيل له ما يُبكيك أجزعاً من الموت يا أبا مُليكة قال لا ولكن ويل للشعر من راوية السوء ثم قال أبلغوا الشماخ انه أشعر غطفان على وجه الأرض وان متُّ فاحملونى على حمار فانه لم يمت عليه كريم قط وفى غير هذه الرواية أنه قال احملونى على حمار فانه لم يمت عليه كريم قط لعلى أن أنجو .. ثم أنشأ يقول

لكلّ جديدٍ لذةٌ غيرَ أنني رأيتُ جديدَ الموتِ غير لذيذِ

له نكهةٌ ليست بطعم سفرجل ولا طعم تفاحٍ ولا بنبيذِ

ثم خرجت روحه فلما مات قال فيه الشاعر

لا شاعرٌ ألأمُ من حُطيّه هجا بنيه وهجا المُريّه

من لؤمه مات على فُريّه

قال وقيل لمعاوية بن أبى سفيان من رأيت شر الناس فقال علقمة بن وائل الحضرمىّ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرنى أن أنطلق به الى رجل من الأنصار أنزله عليه فانطلقت معه وهو على ناقته وأنا أمشى فى ساعة حارة وليس علىّ حذاء فقلت احملنى يا عمّ من هذا الحر فانه ليس علىّ حذاء فقال لست من أرداف الملوك قلت أنا ابن أبى سفيان قال قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك قال فقلت الق الىّ نعليك قال لا تقلهما قدماك ولكن امش فى ظل ناقتى وكفى لك بذلك شرفاً وإن الظل لك لكثير فما مر بى مثل ذلك اليوم ثم أدرك سلطانى فلم أؤاخذه بذلك بل أجلسته على سريرى هذا وقضيت حوائجه .. ومنهم دريد بن الصمة بن غزيّة وكان من المعمّرين قال يا بني أوصيكم بالناس شرًّا لا تبغوا لهم خيراً كلموهم نزراً وآلحظوهم شزراً ولا تقبلوا لهم عُذراً ولا تقيلوهم عثرة ثم أنشأ يقول

يارُبّ نهبٍ صالحٍ حويتهُ ورُبّ غيلٍ حسنٍ لويتهُ

لو كان للدّهر بِلى أبليتهُ أو كان قِرنى واحداً كفيتهُ

اليوم يُبنى لدُريدٍ بيتهُ

محاسن ذكر التنعم

يضرب المثل بخريم الناعم وهو خريم بن عمرو من بني مرة بن عوف قيل له الناعم لأنه كان يلبس الخلق فى الصيف والجديد فى الشتاء وسأله الحجاج ما النعمة قال الأمن فانى رأيت الخائف لا ينتفع بنفسه ولا بعيشه قال زدنى قال الغنى فانى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش قال زدنى قال الصحة فانى رأيت السقيم لا ينتفع بعيش قال زدني قال لا أجد مزيداً .. قال وقال زياد لجلسائه من أنعم الناس عيشاً قالوا أمير المؤمنين قال هيهات فأين ما يلقى من الرعية قالوا فأنت أيها الأمير قال فأين ما يرد علىّ من الثغور والخراج بل أنعم الناس عيشاً شابٌّ له سدادٌ من عيش وحظ من دين وامرأة حسناء رضيها ورضيته لا يعرفنا ولا نعرفه . قال وقال عمرو بن العاص لمعاوية يا أمير المؤمنين ما بقي من شبابك وتلذذك قال والله ما بقى شئ يصيبه الناس من الدنيا الا وقد أصبته أما النساء فلا أرب لي فيهن ولا لهن فىّ وأما الطيب فقد شممته حتي ما أبالى به وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى ما أبالي ما ألبس فما شئ ألذ عندى من شربة باردة فى يوم صائف ونظرى الى بني وبني بنيّ يدرجون حولى فأنت يا عمرو ما بقى من لذتك قال أرض أغرسها فآكل من ثمرها وأنتفع بغلتها ثم التفت معاوية الى وردان فقال يا وُرَيد ما بقى من لذتك قال صنائع كريمة أعتقلها فى أعناق الرجال لا يكافئوني عليها تكون لأعقابى من بعدى فقال معاوية تباً لهذا المجلس يغلبنا عليه هذا العبد .. قال وقال قُتيبة بن مسلم لوكيع بن أبي سود ماالسرور قال لواء منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الأمير وقال لحصين بن المنذر ما السرور قال امرأة حسناء فى دار قوراء وفرس بالفناء .. وقيل لرجل من بني قشيرما السرور قال الأمن والعافية قيل صدقت وقد قيل العيش فى سَعة الرزق وصحة الجسم واقبال الزمان وعز السلطان ومعاشرة الاخوان .. وقيل نعيم المتوسطين لونٌ مشبع وكأس مُترَع وصديق ممتع وغنى مقنع .. وقيل راحة البدن النوم وراحة الدار أن تسكن .. وقال بعضهم ليس سرور النفس بالجدة انما سرورها بالأمل .. وقيل لبعضهم أى الأمور أمتع قال الأمانىّ وأنشد فى ذلك

اذا تمنيتُ بتُّ الليلَ مُغتبطاً إن المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ
لولا المنى مُتُّ من همٍّ ومن جزَعٍ اذا تذكرتُ مافى داخل الكيسِ

وقيل لعبد الله بن الأهتم ما السرور قال رفع الأولياء وحط الأعداء ٠٠ وقال بعضهم السرور توقيعٌ نافذ وأمر جائز ٠٠ وقال عبد الرحمن بن أبى بكر السرور ادراك الأماني ٠٠ وقال آخر السرور معانقة الأحبة والرجوع الى الكفاية ٠٠ وقال بعضهم العيش محادثة الاخوان والانتقال الى كفاية ٠٠ وقيل لطرفة ما السرور قال مطعمٌ شهي ومركبٌ وطي وملبس دفى ٠٠ وقيل للأعشى ما السرور فقال صهباء صافيةٌ تمزجها غانية بصوبٍ غادية ٠٠ وقيل لملك ما السرور فقال حميٌّ ترعاه وعدوٌ تنعاه ٠٠ وقيل لراهب ما السرور قال الأمان من الوَجَل اذا انقضت مدة الأجل ٠٠ وقيل لبعضهم ما السرور قال زوجة وسيمة ونعمة جسيمة ٠٠ وقيل لمغن ما السرور قال مجلس يقل هذره وعودٌ يصفو وتره وعقول تفهم ما أقول ٠٠ وقيل لمظلوم ما السرور قال كفاية ووطن وسلامة وسكن ٠٠ وقيل لوراق ما السرور قال جلود وأوراق وحبر برّاق وقلم مشقّ ٠٠ وقيل لبعضهم ما السرور قال بَنون أغيظ بهم أعدائي ولا نقرع معهم صفاتي ٠٠ وقيل لفتاة ما السرور فقالت زوجٌ يملأ قلبي جلالا وعيني جمالا وفنائي جمالا ٠٠ وقيل لطفيلى ما السرور فقال نَدامى تسكن صدورهم وتغلى قدورهم ولا تغلق دورهم ٠٠ وقيل لقانص ما السرور قال قوس مأطورة وشرعة مشزورة ونبال مطرورة ٠٠ وقيل لمحبوس ما السرور فقال فكاك يَفجأ واطلاق لايرزأ ٠٠ وقيل للوُطيّ ما السرور فقال شخصٌ ناضر ودرهم حاضر ٠٠ وقيل لعاشق ما السرور فقال لِقية تشفى من الفرقة واعتناق يداوى من الحُرقة ٠٠ وكان يقال انه حكي عن الحكماء ان لذة الثوب يوم ولذة المركب جمعة ولذة المرأة شهر ولذة الضيعة سنة ولذة الدار الأبد

محاسن الشعر فى هذا الفن

أطيبُ الطيباتِ قتلُ الأعادي واحتفالٌ على مُتونِ الجيادِ

وإيادٍ تحبو بهن كريما إن عند الكريم تزكو الأيادى
ورسولٌ يأتى بوعدِ حبيبٍ وحبيبٌ يأتي على ميعادِ

وللخليع

أطيبُ الطيباتِ أمرٌ ونهيٌ لا يُرَدَّانِ فى الأمورِ الجسامِ
وامتطاءُ الخيولِ فى كنفِ الأمـ ـنِ بغيرِ الإقدامِ والإحجامِ
وسَماعُ الصَّهيلِ فى لجَبِ المو كبِ تحت اللواءِ والأعلامِ

الموصلى

أطيبُ الطيباتِ طيبُ الزمانِ وندامُ المعمَّماتِ الغوانى
واحتساءُ العُقارِ في غُرَّةِ الصبـ ـحِ على شَدْوِ ماهراتِ القيانِ
وأمانٌ من الهمومِ ومالٌ ليسَ تُفنيهِ نائباتُ الزمانِ

محاسن الفقر

روى فى الحديث ان الفقير الصبور يدخل الجنة قبل الغنى بأربعين عاما .. وروى عن أبى الدرداء انه قال لأن أموت وعلىَّ أربعة آلاف درهم أنوى قضاءها أحب اليَّ من أن أترك مثلها حلالا .. وقال سلمان الفارسى قد خشيت أن أكون قد تركت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ولم ذاك قال لأنه قال من أراد أن يدخل الجنة فلا يكن زاده من الدنيا الا كزاد الراكب وأنا قد جمعت ماترون فقوَّموا ماعنده فبلغ ثمانية عشر درهما .. وكان يقال من أصبح آمناً فى سربه معافاً فى بدنه عنده قوت يومه فعلى الدنيا العفاء .. وروى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه اللهم احينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة الفقراء اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً فسئل بعضهم ماالكفاف فقال جوع يوم وشبع يوم .. وروى ان عيسى بن مريم عليه السلام كان لايأوى سقف بيت فألجأه المطر ذات ليلة الى غار فدخله فاذا سبُعٌ قد سبقه اليه فكأن صدره ضاق فأوحي الله عزّ وجل اليه ياعيسى ضاق صدرك

فوعزتي لأزوجنك أربعة آلاف حوراء ولأولمنّ عليك ألف عام .. قال وكان الفضيل بن عياض يقول فى دعائه اللهم أجعتنى وأجعت عيالي وتركتنا فى ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا بأوليائك فبأيّ منزلة نلتُ هذا منك يارب

مساوى الفقر

قيل أمر الله عزّ وجلّ موسي عليه السلام فقال ائت كورة كذا وكذا فقال يارب اني قتلت منهم نفساً وأنا خائف فقال الله جلّ وعزّ اني قد أمّت أقرباءه فصار اليها فأوّل ماستقبله قرابة للمقتول فقال يارب هذا أخوه قال ياموسى اني جعلته فقيراً والفقير ميت من العقل وعند الناس ميت وعند الحلال والحرام ميت والفقر الموت الأكبر .. وقيل انه اذا أيسر الفقير ابتلي به ثلاثة صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوّج عليها وداره يهدمها ويبنيها .. وكان فى الجاهلية رجل حسن الحال وكان بنو عمه وأخواله يختلفون اليه فيعطيهم ويمونهم ويقوم بأمورهم ثم اختلّ أمره فأتاهم فحرموه فأتى أهله كئيباً فقالت له امرأته ماحالك فقال دعيني عنك وأنشأ يقول

دَعِي عنكِ عَذْلي مامن العَذْل أعجبُ ... ولا بُدّ حالٌ بعدَ حالٍ تقلّبُ

وكانَ بنو عمي يقولون مرحباً ... فلما رأونى مُقتراً ماتَ مرحبُ

كأنّ مُقِلاً حينَ يغدو لحاجةٍ ... الى كلّ من يلقى من الناس مُذنبُ

.. وقال بعضهم رُبّ مغبوطٍ بميسرة هى داؤه ومرحوم من عدم هو شفاؤه والدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوّتك ومن عتب على الدهر طالت معتبته .. وقال الأضبط

إرْضَ من الدهرِ ماأتاكَ به ... مَنْ قَرَّ عيناً بعيشه نَفَعَهْ

قال وسمع سفيان الثوري قوما يقولون بعضهم لبعض كيف حالك فقال لقد بلغنى ان من كان قبلكم كان يكره ان يسأل أخاه عن حاله الا من يكون مجمعاً على تغيير سوء حاله اذا أخبره .. قال وقال أوس بن حارثة خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع .. قيل

ومرّ رجل من الأغنياء برجل من أهل العلم فتحرّك له وأكرمه فقيل له هل كانت لك اليه حاجة قال لا ولكن ذو المال مهيب وقال فيه الشاعر

أرَى كلّ ذى مال يُجلّ لماله ومن ليسَ ذامال يُهانُ ويحقَرُ
ويخذُلُهُ الاخوانُ ان قَلّ مالهُ وليسَ بمحبوب بَلَى هو يُهجرُ
وأقنعُ بالمال القليل تكرُّماً لأغني به عمّا لدَيكَ وأصبرُ

وذكروا ان زياد بن أبى سفيان أرِق ذات ليلة وهو بالبصرة فبعث الى غيلان بن خرَشة الضبّى وسوبد بن منجوف السدوسيّ والأحنف بن قيس السعدى فلما توافوا اليه قال أتدرون فيم بعثتُ اليكم انه كان عندى ثلاثة من دهاقين كسرى يحدّثون بما كانت الأكاسرة فيه من ملكها وعظيم شأنها فتقاصر اليّ مانحن فيه فبعثتُ اليكم لتصفوا لي ماكانت العرب فيه من البؤس وشدة الحال لنقنع بما نحن فيه فان الغنى القناعة قال غيلان ان اقتصرت علىّ دون أصحابى حدّثتك قال هات قال أخبرني عمٌّ لي صدوق انه خرج في سنة أصابت العرب فيها شدة حتى أكلوا القدّ من القحط واحمرّ أديم الارض وآفاق السماء قال فطفقت ثلاثا ماأطعم فيهنّ شيئاً الامايأكل بعيرى من حشرات الأرض حتى أصابني الميد فشددت على بطنى حجراً من الجوع فاني لكذلك فى جوف الليل اذ دفعت الى حيّ عظيم فسلمتُ فقالوا من هذا قلت طارق ليل يلتمس القرى فقالوا والله ماأبقت لنا هذه السنة قرى ولا فضلا فقالت امرأة كانت الى جانب القبة ياعبد الله دونك القبة العظيمة فان كان عند أحد خير فعندها فأمتها فلما دفعت اليها سلمتُ فقيل لى من هذا فقلت طارق ليل يلتمس قرى فقال رجل منهم يافلان هل عندك قرى قال نعم قد أبقيتُ فى ضرع فلانة رِسلا لطارق ليل ثم ثار اليها فناداها فانبعثت وتفاجّت عن مثل الظبى القنيص فضرب زَبونتها ثم حلب فى علبة معه حتى علتها رغوة اللبن وكل ذلك بمرأى منى ومسمعٍ فلقد سمعت الغناء الحذّاء فما سمعت شيئاً كان أحب الى مسامعى من صوت شخبها فى تلك العلبة ثم أقبل بها يريدنى فلما هويت لآخذها عثر فانكفأت العلبة وذهب مافيها فوالله لقد فقدت الأهل والمال فما أصبت بشر كان أفزع لقلبي ولا أعظم موقعاً عندى من انكفاء تلك العلبة على مثل

الحال التى كنتُ فيها فلما رآنى صاحب القبة ورأى مابي من شدة الجهد خرج حتى دخل فى ابله وهو يقول صدق أخو بني قيس فى قوله

هُمْ يطردون الفقرَ عنْ جارهمْ حتي يُرى كالغُصْنِ الناضِرِ

فأخذ ناقة كوماء فكشف عن عرقوبها ثم قال دونك السنام فلما وافى الودَكُ بطنى وحفوف الماء ولا عهد لى قبل ذلك بشيء منه خررتُ مغشياً علىّ فوالله ماأيقظنى الا برد السحر فقال زياد قطنى قد اكتفيت بهذا هذا والله غاية الجهد فالحمد لله الذى منّ علينا بمحمد صلي الله عليه وسلم وهدانا الى الاسلام وجعلنا ملوكا ثم قال لأب لشانئك فمن الرجل فقال عامر بن الطفيل فقال أبو على والله كان لها ولأمثالها .. قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد رأيتنى فى الجاهلية وأخيةٌ لى وانا لنرعى ناضحاً لأبوينا قد زوّدتنا أُمنا يمنتيها من الهبيد فاذا أسخنت علينا الشمس ألقيت الشملة على أختى وخرجت عُرْيانا أسعي فنظل نرعي ذلك الناضح فنرجع الى أمنا من الليل وقد صنعت لنا لفيتةً من ذلك الهبيد فنتعشي فواخصباه قال بعض جلسائه فوالله لقد حسدته على ذلك .. قال وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال قلة المال وكثرة العيال .. وكان الفُضيل يقول المال يسود غيرالسيد ويقوى غير الأيّد .. وفى كتاب كليلة ودمنة الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسناً وان أذنب غيره ظنوه به وان كان لسوء الظن والتهمة موضعاً حملوا على ذلك الذى يفعله غيره وأنشد فى ذلك

اذا قَلَّ مالُ المرءِ قلّ صديقُهُ وأوْمَتْ اليه بالعيوب الأصابعُ

.. ولآخر

اذا قلّ مالُ المرءِ قلّ حياؤُهُ وضاقتْ عليه أرضُهُ وسماؤُهُ
وحارَ ولايدرى وان كان حازماً أقُدّامهُ خيرٌ له أم وراؤُهُ
اذا قلّ مالُ المرءِ قلّ حياؤُهُ ولا خيرَ فى وجهٍ يقِلُّ حياؤُهُ

.. وقيل لأعرابيّ ماأشدّ الأشياء قال كبدٌ جائعةٌ تؤدّى الى أمعاء ضيقة .. وقيل لاعرابيّ لمَ يقول أهل الحضَر باعكَ الله فى الأعراب قال لأنا والله نعرى جلده

ونجيعُ كبدَه ونطيل كدّه ومما قيل فيه الشاعر

أعظمُ من فاقةٍ وجوعٍ مُقامُ حرّ على خضوع
فلا تُرِدْهُ ولا ترد ما أُنيلَ بالذلّ والخشوعِ
واطلبْ معاشاً بقدرِ قوتٍ وأنتَ في منزلٍ رَفيعِ
لعلّ دهراً غدا بنحسٍ يعودُ بالسعدِ في الرجوعِ

٠٠ آخرُ

الموتُ خيرٌ للفتى من أنْ يعيشَ بغير مال
والموتُ خيرٌ للكريم من الضراعةِ للرجال

٠٠ آخر

بخلتُ وليسَ البخلُ مني سجيةً ولكن رأيتُ الفقرَ شرَّ سبيلِ
لَموتُ الفتى خيرٌ من البخل للفتى وللبخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ
لَعَمْرُكَ ماشيءٌ لوجهكَ قيمةٌ فلا تَلقَ مخلوقا بوجهِ ذَليلِ
ولا تسألنّ من كان يسألُ مرةً فللموتُ خيرٌ من سؤالِ سَؤولِ

٠٠ آخر

لاتحسبَنَّ الموتَ موتَ البلَى فانما الموتُ سؤالُ الرجالْ
كِلاهما موتٌ ولكنّ ذا أشدُّ من هذا لذلّ السؤالْ

آخر في معناه

من كانَ في الدنيا أخا ثروةٍ فنحنُ من نُظّارة الدنيا
نَرْمُقُها من كثَبٍ هكذا كأننا لفظٌ بلا معنى

٠٠ ولآخر

قد أراحَ اللهُ منْ غـــمٍّ شديدٍ وعـذابْ
واسترَحنا منْ عيالٍ وعبيـدٍ ودوابْ
وضياعٍ ونخيـل وحَصادٍ وكِرابْ
واسترحنا من وقوف لبـني الدنيا ببابْ

وقنعنا وأقمنا وحططناعنْ ركابِ
حبّذَا الوحدَةُ انْ كا نَ بصيراً بالحسابِ

•• آخر

الحمدُ للهِ ليسَ لى مالُ ولا لخلقٍ علىَّ إفضالُ
الخانُ بيتي ومِشْجَبي بدني وخادمي والوكيلُ بقّالُ

•• ولآخر

بقيتُ ومركَبي البرذَوْنُ حتى أخفّ الكيسَ إغلاءُ الشعيرِ
وصرتُ الى البغال فأعجزَتْني وصرتُ من البغالِ الى الحمير
فعزّتني الحميرُ فصرتُ أمشي أُزَجّي الرجلَ تَزْجيةَ الكسير

•• ولآخر

أترانى أرَى منَ الدهرِ يوماً لىَ يوماً مطيّةٌ غيرُ رجلى
واذا كنتُ فى جميعٍ فقالوا قَرّبوا للرّحيل قَرّبتُ نَعْلى
حيثما كنتُ لاأخلّفُ رَحلاً منْ رآني فقد رآنى ورَحلي

أبو هفّان

ياموليَ الليل فى النهار صبراً على الذلّ والصّغار
كم منْ حِمارٍ له حمارٌ ومنْ جوادٍ بلا حمار

الحمدوني

تَسامي الرجالُ على خيلهم ورجلىَ منْ بينهم حافيهْ
فانْ كنتَ حاملَنا ربَّنا والا فأرْجلْ بني الزانيهْ

•• قال وكان اعرابي بالبصرة فى بيت فكان اذا خرج استوثق من غَلق بابه فيظن جيرانه أن له مالا فقال

ليسَ إغلاقى لبابي أنّ لى فيه ماأخشى عليه السّرقا
إنما أُغلقُهُ كيْ لايَرى سوءَ حالى منْ يمرُّ الطرُقا
ليسَ لى فيه سوى باريّةٍ وبلى أخلاقُ لبْداً خلَقا

منزلٌ داخلُهُ الفقرُ فلو دخل السارقُ فيه سُرقا

.. ولآخر

يبيتُ يراعي النجمَ من جوع بطنهِ ويُصبحُ يُلقي ضاحكا متبسما

.. ولآخر

وعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جميلةٌ وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ التفضُّلُ
ولاعار أنْ زالتْ عن المرءِ نعمةٌ ولكنَّ عاراً أن يزولَ التجمُّلُ

.. ولآخر

وكم من فقيرٍ بعد جَهْدٍ وحاجةٍ هوَ اليومَ محسودٌ وقد كان يُرْحمُ

.. ولآخر

قد يكثرُ المالُ يوماً بعدَ قلّتهِ ويكتسي الغُصْنُ بعدَ اليُبْسِ بالوَرَقِ

.. آخر

كم من غنيٍّ رأيتُ الفقرَ أدركهُ ومن فقيرٍ غنياً بعدَ إقلالِ

.. آخر

وكمْ من غنيٍّ كانَ بالمالِ مُثْرِياً هوَ اليومَ مرحومٌ وقد كان يُحسدُ

.. آخر

كمْ من فتىً كانَ ذا ثروةٍ رَمتْهُ الحوادثُ حتى افتقرْ

.. آخر

اذا كانَ جدُّ المرءِ في الشيءِ مقبلاً تأتّتْ لهُ الأشياءُ من كل جانبِ
وانْ أدبرَتْ دُنياهُ عنهُ توَعّرَتْ عليه وأعيتهُ وُجوهُ المطالبِ
وانْ قلَّ مالُ المرءِ أقصاهُ أهلُهُ وأعرَضَ عنه كلُّ إلْفٍ وصاحبِ
وكذّبهُ الأقوامُ في كلّ منطقٍ وانْ كانَ فيه صادِقاً غيرَ كاذِبِ

.. آخر

متى مايرَى الناسُ الفقيرَ وجارَهُ يقولونَ هذا عاجزٌ وجليدُ
وليسَ الغِنى والفقرُ من حيلَةِ الفتى ولكنْ أحاظٍ قُسّمتْ وجدُودُ

وقال عبد الاعلى القاضي الفقير مرقعته سلقة ورداؤه علقة وسمكته سلقة .. ولآخر

مَنْ كانَ ذَا مالٍ كثير فلَمْ يقنعْ فـذاكَ الموسِرُ المُقـترُ
الفقرُ فى النفس وفيها الغِنى وفى غِنى النفس الغنى الأكبرُ

وكتب بعضهم يستميح بعض الأغنياء

هذا كتابُ فتىً أزْرَى الزمانُ بهِ قد كادتْ تفطِرُ الأضلاعُ من همَمِهْ
شطّتْ منازلُه عنـهُ وضعضعهُ رَيبُ الزمانِ فأبدى الضعفَ فى كلِمِهْ
يُذْرى الدموعَ بعينٍ غيرِ جامدةٍ طَوْراً بدَمعٍ ويبكي تارةً بدَمِهْ
أضحى ببابِكَ محزوناً لهُ أملٌ يرجو بجودكَ أن يُفتكَّ من عدَمِهْ
يا ذا المقدَّمُ فى الأفعالِ من كرمٍ أنتَ المداوى صريعَ الدَّهرِ من سَقمِهْ

ولآخر

خُلُقٌ واسعٌ ومالٌ قليلُ واعتدالٌ من الزمانِ طويلُ
ما احتيالُ الفتى بدولةِ دهرٍ وعليه أللئيماتُ تدولُ
كلما رامَ نهضةً أقعدتهُ عائلاتٌ من الزمانِ تعولُ

فيمن أثري بعد الفقر أنشد لرجل من المحدثين

لئن كنتَ قد أعطيتَ خزاً مُجرَّدُهُ لتبدّلنّه من فروة وإهابِ
فلا تعجبنّ أن تملكَ الناسَ إنني أرى أمةً قد أدبرتْ لذهابِ

ولآخر

تاهَ على اخوانه بالغنى فصار لا يطرِفُ من كِبرِهِ
أعادَهُ اللهُ إلى حالهِ فإنه يحسُنُ فى فقرِهِ

لدِعبل الخزاعي

عَطاياه تغدو على سابحٍ وطَوْراً على بَغلةٍ تَذْبَه
فلو خصَّ بالرزقِ نَجلَ الكرا مِ ما نالَ خَيطاً ولا هُدْبَه
ولكنهُ الرزقُ ممن يعيـ ـش فى رزقهِ الكلبُ والكلبَه

ولآخر

كنتَ إذ كنتَ عديما لي خلاً ونديما
ثم أثريتَ فأعرضـ ـتَ ولم ترعَ قديما
صارَ ما نلت من المـا ـلِ لنا ذنباً عظيما
هكذا يفعلُ بالإخـ وان من كان كريما

ولآخر

صحبتُك إذ أنت لا تُصحبُ وإذ أنت لا غيرُك المَوكِبُ
وإذ أنت تفرحُ بالزّائرين ونفسُك نفسَك تستحجبُ
وإذ أنت تُكثرُ ذمَّ الزمانِ ومَشيُك أضعافُ ما تركبُ
فقلتُ كريمٌ له همّةٌ يَنالُ فأُدركُ ما أطلبُ
فنلتَ وأقصيتني جانباً كأني ذُو عُرّةٍ أجربُ

محاسن الثقة بالله عز وجل

قيل خطب سليمان بن عبد الملك فقال الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته .. وقال الوليد بن عبد الملك لأشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك .. وقال الحجاج يقولون مات الحجاج فمهْ ما أرجو الخير كله الا بعد الموت والله ما رضى الله البقاء الاّ لأهون خلقه عليه إبليس اذ قال ﴿ ربِّ أنظرني الى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ .. وقال أبو جعفر المنصور الحمد لله الذي أجارني بخلافته وأنقذني من النار بها .. وحدثنا ابراهيم بن عبد الله رُفع الحديث الى أنس بن مالك قال دخلنا على فتىً من الأنصار وهو ثقيل في مرضه فلم نخرج من عنده حتى قُضي عليه واذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم وقال استسلمي لأمر الله عز وجل واحتسبي قالت أمات ابني قال نعم قالت أحقٌّ ما تقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء ثم قالت اللهم انك تعلم اني أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم رجاء أن تعينني عند كل شدة اللهم فلا تحمّلني هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الثوب الذي سجّيناه به عن وجهه وما

برحنا حتى طعم وطعمنا معه .. قيل وبينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعرض الناس اذ هو برجل معه صبي له فقال له عمر رضى الله عنه ويحك ما رأيت غراباً أشبه بغرابك من هذا بك فقال يا أمير المؤمنين والله ماولدته أمه الاوهي ميتةٌ فاستوى عمر رحمه الله جالساً وقال ويحك حدثني قال خرجت في غزاةٍ وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة حاملا مثقلا فقلت أستودع الله ما فى بطنكِ فغبت ثم قدمت واذا بابى مغلق فقلت ما هذا وما فعلت فلانة قالوا ماتت فذهبتُ الى قبرها وكنت عنده فلما كان من الليل قعدتُ مع بني عمي أتحدث وليس يسترنا من البقيع شئ فرفعت لى نارٌ بين القبور فقلت لبنى عمى ما هذه النار قال أحدهم يا أبا فلان نرى على قبر فلانة كل ليلة ناراً فقلت انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كانت صوّامة قوّامة عفيفة والله لأنبشن قبرها ولأنظرنّ ما حالها فأخذتُ فأساً وأتيت القبر فاذا هو مفتوح والمرأة ميتة وهذا حيّ يدبّ حولها فنادى مناد أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك أمانك لواستودعته أُمه لوجدتها فأخذته وعاد القبر كما كان وهو والله يا أمير المؤمنين هذا

مساوي الثقة

قال قال عيسى بن مريمُ عليه السلام يامعشر الحواريين ان ابن آدم خلق فى الدنيا فى أربعة منازل هو في ثلاثة منها واثق بالله عز وجل وهو فى الرابع سيئ الظن يخاف خذلان الله عز وجل إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق فى بطن أمه خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاثٍ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة يُنزل الله جل وعز عليه رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا خرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيدٍ ولا ينهض قوة ويكره عليه اكراهاً ويوجره إيجاراً حتى ينبت عليه عظمه ودمُه ولحمه فاذا ارتفع من اللبن وقع فى المنزلة الثالثة فى الطعام بين أبويه يكتسبان عليه من حلال وحرام فان مات أبواه من غير شئ عطف عليه الناس هذا

يطعمه وهذا يسقيه وهـذا يُؤويه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتدّ واستوى وكان رجلا خشى أن لا يرزق يثب على الناس يخون أماناتهم ويسرق أمتعتهم ويكابرهم على أموالهم مخافة خذلان الله عز وجل إيّاه

محاسن طلب الرزق

بلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت عنـه غداً مسؤول واياك والفضول فان حسابها طويل .. وقال عمرو بن عتبة من لم يقدّمه الحزم أخره العجز .. وقال الله تبارك وتعالى يابن آدم احدث لى سفراً أُحدث لك رزقاً .. وفى بعض الحديث سافروا تغنموا .. وقال الكميت

ولَنْ يُريحَ هُمومَ النفسِ إذ حضرَتْ حاجاتُ مِثلِكَ إلا الرَّحلُ والجملُ

.. وقال الطائىّ

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحيِّ مُخلِقٌ لديباجَتيهِ فاغتربْ تتجدّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحبّةً إلى الناسِ اذ ليست عليهم بسرمَدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيـلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنىّ عيّال وقال

فسِرْ فى بلادِ اللهِ والتمسِ الغـنى تَعِش ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعذَرَا
ولا ترْضَ من عَيشٍ بدونٍ ولا تَنمْ وكيفَ يَنامُ الليلَ من كان مُعسِرَا

وتقول العرب كلب جوّال خير من أسد رابض .. وتقول أيضاً من غلى دماغه صائفاً غلت قِدره شاتياً .. ووقّع عبد الله بن طاهر من سعى رعي ومن لزم المنام رأى الاحلام .. وقال الكسروىّ اخذه من توقيع أنو شروان بالفارسية هركه روز خُرد هركه خُسپذخاف بيند وأنشد

كفى حزَناً أن النوى قذفَتْ بنا بعيداً وأن الرزقَ أعيَتْ مذاهبُهْ
ولو أننا إذْ فرّقَ الدّهر بيننـا غنِيَ واحـدٌ منا تموّلَ صاحبُهْ

ولكننا من دهرنا فى مؤونةٍ يُكالبنا طَوْراً وطوراً نُكالبُهْ

.. ولآخر

إذا المرء لم يَبْغِ المعاشَ لنفسهِ شكى الفقرَ أو لامَ الصديقَ فأكثرا
وصارَ على الأدنَين كلاًّ وأوشكتْ صِلاتُ ذوي القربى له أن تنكّرا

.. ولآخر

ومَنْ يكُ مِثلي ذا عيالٍ ومُقتراً من المالِ يطرحْ نفسهُ كلَّ مَطرحِ
ليبلُغَ عُذراً أو ينالَ غنيمةً ومُبلغُ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجحِ

.. ولآخر

وليسَ الرزقُ عنْ طلَبٍ حثيثٍ ولكنْ ألقِ دلْوكَ فى الدِّلاءِ
تجيءُ بملئها يوماً ويوماً تجيءُ بحمأةٍ وقليلِ ماءِ

.. ولآخر

وقد علمتُ وعلمُ المرءِ ينفعهُ أنّ الذى هُو رزقي سَوْفَ يأتينى
أسعى له فيُعنينى تطلُّبُهُ ولو قعدتُ أتانى لا يُعَنينى

.. ولآخر

لعمرُكَ ما كلُّ التبطلِ ضائرٌ ولا كلُّ شُغلٍ فيهِ للمرءِ منفعَهْ
إذا كانتِ الأرزاقُ فى القُربِ والنوى عَليكَ سواءً فاغتنم لذّةَ الدَّعَهْ
وإنْ ضِقتَ فاصبرْ يُفرِجِ اللهُ ما ترى ألا كلُّ ضيقٍ فى عواقبهِ سَعَهْ

.. ولآخر

سَهِّلْ عَليكَ فانّ الأمرَ مقدُورُ وكلُّ مُستأنَفٍ فى اللّوحِ مَسطورُ
يأتى القضاءُ بما فيه لمدّتهِ وكلُّ مالم يكنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذِبَنَّ وخيرُ القولِ أصدقُهُ إنّ الحريصَ على الدنيا لمغرورُ

.. آخر

لا يُتعِبنّكَ شيءٌ أنتَ تطلبُهُ وقد تقدّمكَ المقدُورُ والقلمُ

.. ولآخر

لا تعتبنّ على العبادِ فانما يأتيكَ رِزقُكَ حين يُؤذنُ فيهِ

ولآخر

هيَ المقاديرُ تجرى فى أعنتها فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يوماً تريشُ خسيسَ القومِ ترفعهُ دونَ السماءِ ويوماً تخفضُ العالى

ولاخر

إصبرْ على زمنٍ جمٍّ تلوّنهُ فليسَ من شدّةٍ الا لها فرجُ
تلقاهُ بالأمسِ فى عمياءَ مظلمةٍ ويُصبحُ اليومَ قدلاحتْ لهُ السُّرجُ

ولآخر

ألا ربّ راجٍ حاجةٍ لا ينالُها وآخرُ قدْ تُقضى لهُ وهوآيسُ
يجولُ لها هذا وتُقضى لغيرهِ فتأتى التى تُقضى لهُ وهوَ جالسُ

ولآخر

أتطلبُ رِزقَ اللهِ من عندِ غيرهِ وتُصبحُ من خوفِ العواقبِ آمِنا
وترضى بصرّافٍ وان كانَ مُشركاً ضَميناً ولا ترضى بربّكَ ضامِنا
كأنكَ لم تقنع بما فى كتابهِ فأصبحتَ مَدخولَ اليقينِ مُباينا

ولآخر

إنّى لأُكرِمُ نفسي أنْ أُدَنّسها بشَينِ عِرضى وبَذلِ الوجهِ للناسِ
واللهُ ضامنُ رزقي ما حييتُ وما فى ضَمْنِ ذي العرشِ من شكٍّ ولاباس
إنّى رأيتُ سؤالَ اللهِ مَكرُمَةً وفى سؤالِ سواهُ أعظمُ الياسِ

قيل ووجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة فيه مكتوب كُنْ لما لاترجو أرجَى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج يقتبس ناراً فنودى بالنبوة وأنشد

ولما أنْ عَييتُ بما ألاقى وأعيتنى المسائلُ فى القُروضِ
ذكرتُ اللهَ لا أرجو سواهُ وربُّ العرشِ ذُو فرجٍ عريضِ

ولآخر

يا صاحبَ الغمّ إنّ الغمّ منقطعٌ أبشِرْ بخيرٍ كأنْ قد فرّجَ اللهُ

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصاحبهِ لا تيأسنّ فإن الصانعَ اللهُ
إذا ابتُليتَ فثقْ بالله وارضَ بهِ فكاشفُ الضرّ والبلوى هو اللهُ

ولآخر

كمْ رأينا من صحيحٍ قد هوَى وأخي سُقْمٍ من السقمِ خرجْ
لا تكنْ إنْ رابَ أمرٌ آيساً فلعند اليأسِ يأتيكَ الفرجْ

ولآخر

وإذا تُصبكَ من الحوادثِ نكبةٌ فاصبر فكلُّ ضبابةٍ تتكشفُ

مساوي طلب الرزق

لديك الجنّ

أُحلُ وامرُرْ معَاولنْ نارةواخشُنْ ورِشْ أنتَ وآنتدِبْ للمعالِي
وأغِثْ واستغثْ بربّكَ فى الأزْ لِ إذا جلّحتْ صُروفُ الليالِي
لا تقِفْ للزّمان فى منزلِ الضيـ ـمِ ولا تستكنْ لرِقّةِ حالِ
وأهِنْ نفسكَ الكريمةَ للموْ تِ وقحّم بها على الأهوالِ
فلعمرى للموْتُ أزينُ للحـ ـرّ من الذلّ ضارعاً للرجالِ
أي ماءٍ يدورُ في وجهكَ الحـ ـرّ إذا ما امتهنتَهُ بالسؤالِ
ثمّ لا سيما إذا عَصَفَ الدّهـ ـرُ بأهل النّدَى وأهل النوالِ
غاضتِ المكرُماتُ وانقرضَ النا سُ وبادَت سحائبُ الافضالِ
فقليلٌ من الورى من تراهُ يُرتجَى أو يصونُ عرضاً بمالِ
وكذاكَ الهلالُ أوّلَ مايَبْـ ـدُو نحيلاً فى دقّةِ الخلخالِ
ثم يزدادُ ضوءه فتراهُ قمراً فى السماءِ غيرَ هلالِ
عادِ تدميثَكَ المضاجعَ للجنـ ـبِ فعالَ الخريدةِ المكسالِ
وادّرِعْ يلمَقَ اجتيابِ دُجى الليـ ـلِ بِطِرْفٍ مُضبَّرِ الأوصالِ

عاملي النتاجِ تُطْوَى له الأر ... ضُ اذا ما استُعِدَّ للأنقالِ
جُرْشُعٍ لاحقِ الأياطلِ كالأ ... فَرِ ضافي السبيبِ غيرِ مُذَالِ
واتخذْ ظهرهُ من الذلِّ حصناً ... نِعْمَ حصنُ الكريمِ في الزَّلزالِ
لا أحبُّ الفتى أراهُ اذا ما ... عضَّهُ الدهرُ جاثماً في الضلال
مُستكيناً لذي الغنى خاشعَ الطر ... ف ذليلَ الادبارِ والاقبال
أينَ جوبُ البلادِ شرقاً وغرباً ... واعتسافُ السهولِ والأجبالِ
واعتراضُ الرِّقاقِ يوضعُ فيها ... بظِباءِ النجادِ والعسّالِ
ذهبَ الناسُ فاطلبِ الرزقَ بالسيـ ... ـفِ والافمُتْ شديدَ الهُزال

محاسن استصلاح المال

روى عن عبد الله بن جعفر قال بعثني عليّ بن أبي طالب الى حكيم بن حزام يسأله سَلف ثلاثين الف درهم فأتيته فانطلق بي الى منزله فوجد في الطريق صوفاً فأخذه ومرَّ بقطعة كساء فأخذها فلما صار الى منزله أعطاني طرف الصوف فجعلت أفتله ويرسل حتى فتلته ثم دعا بغرارة مخرَّقة فرقعها بالكساء وخاطها بالخيط وصيَّر فيها ثلاثين الف درهم وحملت معي .. قال وأتي قومٌ قيس بن سعد بن عُبادة يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتتبع مايسقط من الثمر فيعزل جيده عن رديّه ويجعل كل صنف منها على حدَّته فهموا ان يرجعوا عنه وقالوا مانظن عند هذا خيراً ثم عزموا على لقائه فأقاموا حتى فرغ من حائطه فكلموه فأعطاهم فقال رجل من القوم له لقد رأيناك تصنع شيئاً لايشبه فعالك وأخبروه فقال ان الذي رأيتم من صنيعي قُضيت به حاجتكم .. عبد العزيز بن أبان عن هشام الثقفي عن رجل أتى طلحة بن عبيد الله يسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال ياغلام أخرج له بدرةً فقبضها ثم قال أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال انا لانضيع الصغير ولايتعاظمنا الكبير .. وكان يقال من أنفق ولم يحسب عطِب ولم يشعر .. وقيل الافلاس سوء التدبير .. الأصمعي

قال سمعت بعض الهالبيّين يقول لبنيه لاتشتروا الغنم فانها مال الرقة ولا تشتروا البقر فانها مال الذلة واشتروا الابل واقتنوها فانها رُقوءُ الدم وصدقات الحرائر وسفن البر وفيها قضاء الحقوق ولا تتزوّجوا المميتات فانهن يضربن على رؤسكم من كان قبلكم وتزوّجوا المطلقات فانهن أضعف نفساً وانكم تضربون على رؤسهن من كان قبلكم .. وقال بعضهم في جمع القليل الى القليل

رُبَّ كبير هاجهُ صغيرُ وفي البحور تُغرَقُ البحورُ

.. وقال آخر

قد يلحقُ الصغيرُ بالجليل وانما القَرْمُ من الأفيل

* وسُحُقُ النخل منَ الفسيلِ *

محاسن الدين

قيل قدمَ رجل مع اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وهو على قضاء البصرة فأقام أكثر من سنة متعطلاً فكثر عليه الدينُ لرجل من أهل البصرة فتوعّدَه أن يقدّمه الى القاضي فأتى الرجل اسماعيل فأخبره بما تخوّفه من حبس الرجل إياه فقال اذا قدّمك فأقرّ له بحقه ثم قل أبيع داري وأقضيه فانه سيقول لادار لك قل فأبيع دابتي وضيعتي فانه سينكر أن يكون لك شيء ففعل فجرى بينهما ماقاله القاضي فقال القاضي قد أقررت انه لاشيء له فكيف أحبسه فخلّ سبيله .. قال وكان لرجل من التجار صاحب عينةٍ على رجل من الجند مالٌ فخرج عطاء الجندي ولم يقض صاحبه فأرسل اليه التاجر غلاماً يلزمه وعلى الغلام كساءٌ أحمر فلزمه فجعل الرجل يتلو ﴿ وان كان ذو عُسرَةٍ فنَظِرَةٌ الى ميْسَرَةٍ ﴾ والغلام يتلو ﴿ إنّ الله يأمرُكم أنْ تُؤدوا الأماناتِ إلى أهلها ﴾ فلما طال ذلك على الرجل واشتدّ إلحاح الغلام عليه أتى صاحبه فقال

مُنِعَ الرُّقادُ فما أغَمّضُ ساعةً من غم تعذيبِ الكِساء الأحمر

يتلو التي فيها الأمانةُ منهما لؤماً وأتلو آيةَ المتيسر

فضحك الرجل ووهب له ما كان عليه من دينه

مساوى الدين

قال أبو اليقظان كان الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يسلّف الناس فاذا حلّ ماله ركب حماراً اسمه شارب الريح فيقف على غرمائه ويقول

بني عمنا رُدوا الدراهمَ إنما يُفرّقُ بين الناس حُبُّ الدراهمِ

وكان رجل من بني الدئل عَسِرَ القضاء فاذا تعلق به غرماؤه فرّ منهم وقال

فلو كنتُ الحديدَ لكسّروني ولكنى أشد منَ الحديدِ

فأقرضه الفضل بن العباس فلما كان قبل المَحِلّ جاء فبنى معلفاً على باب داره وكان يقال له عقرب فلقي كل واحد منهما من صاحبه شدة فهجاه فقال

قد تجرّتْ فى سوقنا عقربٌ يا عجباً للعقربِ التاجرَهْ
قد ضاقت العقربُ واستيقنتْ ليسَ لها دُنيا ولا آخرهْ
فانْ تَعُدْ ترجعْ بما ساءها وكانت النعلُ لها حاضرَهْ
كلُّ عدُوٍّ يُتّقي مُقبلاً وتتّقى شرَّها دابرَهْ
إنّ عدُوًّا كيدُهُ في استه لَغيرُ ذى كيدٍ ولا بادِرَهْ

قال وقدّم اعرابيّان غريما لهما الى قاض فحلف ثم قال

ألم تعلَما أنى طَموحٌ عِنانُهُ وأنيَ لايقضى علىّ أميرُ
طمستُ الذى فى الصكّ منى بحَلْفَةٍ سيغفرُها الرحمنُ وهو غفورُ

.. ولآخر

أرى الغُرماء قد كثروا وضَجّوا الى السلطان غيرَ مُقصّرينا
فانْ سألوا اليمينَ فقدْ رَبحنا وانْ سألوا الشهودَ فقد خُزِينا

.. ولآخر

الدينُ حقاً كاسمه دويٌّ قد يخضعُ المرءُ له القويُّ

* كم من شريفٍ غاظهُ غبيُّ *

محاسن اصلاح البدن

قال جمع الرشيد أربعة من الأطبّاء عراقياً ورومياً وهندياً وسواديا فقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه .. فقال الرومي الدواء الذى لاداء فيه حَبّ الرشاد الأبيض .. وقال الهندى الماء الحارّ .. وقال العراقي الإهليلَج الاسود .. وكان السوادى أبصرهم فقال له تكلم فقال حب الرشاد يولّد الرطوبة والماء الحار يرخى المعدة والاهليلج يُرقّ المعدة قال فأنت ماتقول قال الدواء الذى لاداء فيه ان تقعد على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه .. وقال بعضهم سألت أسقف فارس فقلت إنا قوم نغترب وتتغير علينا المياه فصف لنا مانتعالج به فقال دعوا الأدوية وعليكم بالأغذية وما يخرج من الضرع والنحل وعليكم بأكل اللحم وشرب ماء الكرْم ودخول الحمّام ولبس الكتان .. وعن الهيثم بن عدى قال قلت لتياذوق وكان متطبب الحجاج أوصنى بشىء أحفظه عنك فانى مسافر فقال لاتنامن حتى تعرض نفسك على الخلاء ولا تذوقن طعاماً وفى معدتك طعام واتق ماتخرجه النعجة والنحلة فان اعتللت فأنا الضمين الا علة الموت .. وقال سُوادة سألت بختيشوع مامعنى البلغم فقال تفسيره بلاء وغم .. وقال بعض الفلاسفة ينبغي للعاقل ان يتقى البرد فى أول الشتاء وفى آخره فقيل له فنى وسطه قال ذاك يتقيه العاقل والأحمق .. قيل وأوصى بعض الحكماء ولده فقال له اياك ان تسير شبراً من الأرض وأنت حافٍ ولا تذوقنّ نبتةً ولا تشمّنها حتى تعرفها واياك وان تبول فى شقّ الأرض فتخرج منه عليك داهية ولا تشرب من فم قربة ولا إداوة حتى يكون الماء مَعيناً واحذر مرافقة المعرفة ومن لاتعرف فلا تصاحبه واياك والسجود على بارية جديدة حتى تمسحها بكمك فربّ شظيّة حقيرة فقأت عيناً خطيرة ولا تنظرنّ فى بئر عاديّة ولا تشهدَنّ من الحيوان الكبار ماهو فى النزع واقبل وصيّتى ترشد ولا يدَعها فتندم .. قيل ودخل اعرابيٌّ ذو كدْنةٍ على معاوية بن أبى سفيان فأعجبه فقال

ياعرابى م هذا السمن قال لا آكل حتى أجوع وأستوثق من أطرافى فى الشتاء وأغفل غاشية الهجر .. وقال بعض الفلاسفة اخضع للريح خضوعك للملك وجاهد للبلغم مجاهدة عدوك ودار المرة مدارانك صديقك وأنزل دمك فى السنة مرة أو مرتين وروّ مشاشك من ماء لحوم الطير وعليك بالشراب الأصفر فانه حليف الروح .. وذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل عن أحمد بن أبي الأصبغ وكان كاتباً لأحمد عن يحيى بن ماسويه قال أكل الفالوذ لصاحب النبيذ عندنا من شر الطب .. وقيل مامن أحد الا وفيه أربعة عروق عرق الجذام وعرق البرص وعرق العمى وعرق الجنون فاذا تحرك عرق الجذام قمعه الله بالزكام فاذهبه واذا تحرك عرق البرص سلط الله جل وعز عليه الدماميل فأذهبته واذا تحرك عرق الجنون سلط الله عليه البلغم فقطعه واذا تحرك عرق العمى سلط الله عليه الرمد فأذهبه .. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لاتكرهوا أربعاً لأربع لاتكرهوا الزكام فانه يقطع عرق الجذام ولا تكرهوا السعال فانه يقطع عرق الفالج ولا تكرهوا الرمد فانه يقطع عرق العمى ولا تكرهوا الدماميل فانها تقطع عرق البرص .. وروى عن على رضى الله عنه انه قال من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من السوء ومن أكل واحداً وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئاً يكرهه ومن أكل سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسواك وقراءة القرآن يذهبان بالبلغم والبقر لحومها داء وألبانها دواء وسمنها شفاء والسمك يذيب الجسد والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس بمثل السمن ولن تستشفى النفساء بمثل الرطب والمرء يسعى بجدّه والسيف يقطع بحده ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقلّل من غشيان النساء وخفةُ الرداء قلة الدّين .. قيل من بات والهندباء في جوفه بات آمناً من الدُبيلة ومن بات والفجل فى جوفه بات آمناً من البشم ومن بات والكرفس فى جوفه بات آمناً من وجع الأضراس ومن بات والجرجير فى جوفه بات وعروق الجذام تتردد فى صدره ومن بات والكراث فى جوفه بات آمناً من البواسير .. وقال بعض الفلاسفة لا ينبغي للعاقل أن يستخف بالقليل من ثلاثة أشياء بالقليل من النار

والقليل من السلطان والقليل من السقم .. وقال أبو هِفان حدثني العباس بن المأمون قال كنت عند المأمون ذات يوم وعنده الموبذ فسأله ماأنفع الاشياء فقال الاقتصاد فى العلم والشرب فان كثيره ينقّل الجسم ويوهّن العلم والفهم ويكدر صفاء البشرة ويفتح الأدواء ويُخمد نار المعدة ويمحق شرف صاحبه فقال المأمون لو أسلمت يا موبذ ولم أستقضك كنت قد ضيّعت حجة الله فى أرضه .. الحسن بن على بن زيد قال سمعت على ابن الجعد يقول لما قدم بختيشوع الأكبر على أبي جعفر من السوس أمر له بالطعام فلما وُضع بين يديه الخوان قال الشربَ قيل له لا يشرب على مائدة أمير المؤمنين قال لا آكل طعاماً ليس معه شراب فأُخبر أمير المؤمنين بذلك فقال دعوه فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك فطلب الشراب فقيل له لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين فتعشى وشرب ماء دجلة فلما كان الغد نظر الى مائه فقال ما كنت أحسب شيئاً يجري مجرى الشراب فهذا ماء دجلة يجري مجرى الشراب يريد فى المنفعة انه مثله

مساوى ما يفسد البدن

قال وقال رجل لعبد الملك بن أبجر اشتهي أن أمرض فقال له كل سمكاً مالحاً واشرب نبيذاً حُلواً واقعد فى الشمس واستمرض الله عز وجل فان لم تمرض فأنت حمار

محاسن الندامة

روى عن عائشة رضي الله عنها انها دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً من أجل مسيرها الى محاربة علىّ بن أبى طالب فقالت عائشة السلام عليك يا أم المؤمنين فقالت يا حائط ألم أنهك ألم أقل لك قالت عائشة فانى أستغفر الله وأتوب اليه كلمينى يا أم المؤمنين قالت يا حائط ألم أقل لك ألم أنهك فلم تكلمها حتى ماتت وقامت عائشة وهى تبكي وتقول وا أسفاه على ما فرط منى

قيل وسُئلت عائشة رضى الله عنها عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه فقالت وما عسيت أن أقول فيه وهو أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع شملته على علىّ وفاطمة والحسن والحسين وقال هؤلاء أهل بيتى اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قيل لها فكيف سرتِ اليه قالت أنا نادمة وكان ذلك قدراً مقدوراً .. وعن جميع بن عُمير قال قلت لعائشة حدثينى عن على رضى الله عنه فقالت تسألنى عن رجل سالتْ نفسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده وولى غسله وتغميضه وإدخاله قبره قلت فما حملك على ما كان منك فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر كان قضىَ علىّ .. قال وقال ابن المعافا لأبى مسلم صاحب الدولة أيها الأمير لقد قمت بأمر لا يقصر بك ثوابه عن الجنة في اقامة دولة بني العباس فقال خوفى من النار والله أولى من الطمع فى الجنة إنى أطفيت من أمية جمرة وألهبت من بني العباس نيرانا فان أفرح بالاطفاء فوا حزناً من الالهاب .. وحدث أبو نملة عن أبيه قال سمعت أبا مسلم بعرفات فى الموقف يقول باكياً اللهم إنى تائب اليك مما لا أظن أن تغفره لي فقلت أيها الأمير أيعظم على الله عز وجل غفران ذنبٍ فقال اني نسجت ثوباً من الظلم لا يبلى ما دامت الدولة لبنى العباس فكم من صارخ وصارخة تلعنني عند تفاقم هذا الأمر فكيف يغفر الله عز وجل لمن هذا الخلق خصماؤه .. قيل ولما سخط عليه المنصور ووكل به شهرام المَرْوزى قال له يوماً الويل لك من الخليفة المنصور فقال الويل لي من ربى وأين يقع ويل ساعة من عذاب الأبد

مساوي الندامة

قال والى الكُسَعيّ يضرب المثل فى الندامة وذلك انه كان يرعي إبلاً له بوادٍ كثير العشب فبينا هو كذلك اذ بصر بنبعةٍ في صخرة فأعجبته فقال ينبغي أن تكون هذه قوساً فجعل يتعهدها حتى إذا أدركت قطعها وجفّفها واتخذ منها قوساً فأنشأ يقول

يارب وفّقنى لنحتِ قَوْسى فانها من لذّتى لنفسى

وانفع بقوسى ولدى وعرسي أنحتُها صفراء مثل الورْسِ

* صلباء ليست كقسيّ النكْسِ *

ثم دهنها وخطمها بوتر ثم عمد الى ماكان من بُرايتها فجعل منه خمسة أسهم فجعل يقلبها فى كفه ويقول

هُنَّ وربى أسهُمٌ حسانُ يَلَذُّ للرّامي بها البنانُ

كأنها قوّمها الميزانُ فأبشروا بالخِصْبِ يا صبيانُ

* ان لم يعُقْني الشؤمُ والحرمانُ *

ثم خرج حتى أتى مواردَ حمرُ الوحش فكمن فيها فمرّ قطيع منها فرمي عَيْرا فاخطه السهم حتى جازه وأصاب الجبل فأورى ناراً فظنّ انه أخطأ فقال

أعوذُ بالله العزيز الرحمنْ من نكَدِ الجدّ معاً والحِرمانْ

مالى رأيتُ السهمَ بَيْنَ الصوّانْ يُورى شراراً مثلَ لونِ العِقيانْ

* فأخلفَ اليومَ رجاءَ الصّبيانْ *

ثم مكث على حاله فمرّ به قطيع آخر فرمي عَيْرا منها فأخطه السهم فصنع صنيع الأوّل فقال

لابارَكَ الرحمنُ فى رَمي القَتَرْ أعوذُ بالرحمن من سوءِ القدرْ

أأخطأَ السهمُ لإرْهاقِ الضررْ أمْ ذاكَ من سوءِ احتيالٍ ونظرْ

ثم مكث على حاله فمرّ به قطيع آخر فرمي عيراً منها فأخطه السهم فقال

مالِيَ سهمي يوقدُ الحُباحِبا قد كنتُ أرجو أنْ يكونَ صائبا

وأمكنَ العيرُ وأبدَى جانِبا فصارَ رأيي فيه رأياً خائبا

ومكث مكانه فمرّ به قطيع آخر فرمي عيراً منها فأصرد السهم فصنع صنيع الأول فقال

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدّها أحملُ قوسي وأريدُ ردّها

أخزَى الالهُ لينها وشدّها والله لاتسلمُ عندي بعدَها

* ولا ارجّى ماحييتُ رِفدَها *

ثم عمد الى القوس فضرب بها حجراً فكسرها ثم بات فلما أصبح اذا الخمر مطرّحة حوله وأسهمه مضرّجةٌ بالدم فندم على كسر قوسه وشدّ على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول

ندِمتُ ندامةً لو أنّ نفسى تُطاوعُنى اذاً لقَطَعتُ خَمْسي
ـ تبيّنَ لى سفاهُ الرأي منى لَعَمْرُأبيكَ حينَ كسرتُ قوسى

٠٠ وقال الفرزدق

ندِمتُ ندامةَ الكُسَعيّ لما غدَتْ منى مطلّقةً نَوَارُ
وكانتْ جَنتى فخرجتُ منها كآدَمَ حينَ لجّ به الضِّرارُ

٠٠ومنه ماقيل فى خُفّي حُنين وكان حُنين إسكافاً من الحيرة فساومه اعرابى بخفيه واختلفا فى ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الاعرابى فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر فى موضع آخر من طريقه فلما مرّ الاعرابى رأى أحدهما فقال ماأشبه هذا بخفّ حُنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته ومضى فلما انتهى الى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع الى الاول وقد كمن له حُنين فعمد الى راحلته فذهب بها وما عليها وأقبل الاعرابى وليس معه الا الخفان فقال له قومه ما الذى أتيت به قال أتيت بخفي حنين فضربته العرب مثلا وقال الشاعر فى مثله

لتَقْرَعنّ علىّ السِّنّ من نَدَمٍ اذا تذكّرْتَ يوماً بعض أخلاقي

محاسن الحنين الى الوطن

قال الله تبارك وتعالى ﴿ ولو أنا كتبنا عليهمْ أنِ اقتُلُوا أنفسكُمْ أو اخرُجوا من دياركم مافعلوهُ إلاّ قليلٌ منهمْ ﴾ فقرن جلّ ذكره الجلاءَ عن الوطن بالقتل وقال جل وتعالي ﴿ وَما لنا ألاّ نُقاتِلَ فى سبيل الله وقدْ أُخرِجنا منْ ديارنا وأبنائنا ﴾ فجعل القتال ثاراً للجلاء٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة٠٠ وقال

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا حبّ الوطن لخرب بلد السوء .. وكان يقال بحب الأوطان عُمرت البلدان .. وقال جالينوس يتروّح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر .. وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها .. ومما يؤكد ذلك قولُ اعرابى وقد مرض بالحضرة فقال له قائل ماتشتهي قال محضاً رويّاً وضباً مشوياً .. وحدّث عن بعض بني هاشم قال قلت لاعرابي من أين أقبلت قال من هذه البادية قلت وأين تسكن منها فقال مساقط الحمى حمى ضرية ها لعمر الله مانريد بها بدلاً ولا نبغي عنها حِولا نفحتها الغدوات وحفتها الفلوات فلا يعلوج ترابُها ولا يتمعّر جنابها ولا يملوح ماؤها ليس بها أذى ولا قذى ولا موم فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة قلت فما طعامكم قال نَخْ نَخْ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنؤه وأمرؤه القت والهبيد والصليب والعنكث والعِلهِز والذآنين واليَنمة والعراجين والحسلة والضباب واليرابيع والقنافذ والحيّات وربّما والله أكلنا القدّ واشتوينا الجلد فما نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ولا أرخي بالاً ولا أعمر حالاً أوماسمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه قلت وما قال قال قوله

اذا ماأصبنا كلّ يومٍ مُذَيقَةً ... وخمسَ تُميراتٍ صغارٍ كوانزِ

فنحنُ مُلوكُ الناسِ خِصباً ونعمةً ... ونحنُ أسودُ الناس عند الهزاهزِ

وكمْ مُتمنّ عيشنا لاينالهُ ... ولو نالهُ أضحى به حقّ فائزِ

فالحمد لله على مابسط من حسن الدعة ورزق من السعة واياه نسأل تمام النعمة .. وقيل لاعرابى كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شئ ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجُمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه فى إيوان كسرى .. ذكر من اختار الوطن على الثروة .. قال بعض الأدباء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك .. وقيل لاعرابي ماالغبطة قال الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الاخوان قيل فما الذلة قال التنقل فى البلدان والتنحي عن الأوطان .. وقال بعض الأدباء الغربة ذُلة فان ردفتها علة

وأعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة .. وقالت العرب الغربة ذلة والذلة قلة .. وقال آخر لاتنهض عن وكرك فتنقصك الغربة وتضيمك الوحدة .. وشبهت العرب والحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أمٌ تزأم له ولا أب يحدب عليه .. وكان يقال الجالي عن مسقط رأسه كالعير النافر عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رامٍ رميّة .. وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وقد شربه فهو ذاوٍ لايثمر وذابل لاينضر وأنشد

وُمغتربٍ بالمرج يبكي لشَجوهِ ... وقد غابَ عنه المسعدُون على الحبّ
اذا ما أتاهُ الركبُ من نحو أرضهِ ... تنفّسَ يستشفي برائحةِ الركبِ

.. آخر

اذا ماذكرتُ الثّغر فاضت مدامعي ... وأضحى فؤادى نُهبةً للهمائمِ
حنيناً الى أرض بها اخضرّ شاربي ... وحلّتْ بها عنى عقودُ التمائمِ
وألطفُ قوم بالفتى أهلُ أرضهِ ... وأرعاهمُ للمرء حقّ التقادُمِ

.. ولآخر

أحنّ الى أرض الحجاز وحاجتي ... خيامٌ بنجدٍ دونها الطرفُ يقصرُ
وما نظرى من نحو نجدٍ بنافعي ... أجلْ لا ولكني على ذاكَ أنظرُ
أفي كلّ يومٍ نظرةٌ ثم عبرةٌ ... لعينيكَ يجري ماؤُها يتحدّرُ
متى يستريحُ القلبُ إمّا مجاورٌ ... حزينٌ وإمّا نازحٌ يتذكّرُ

.. الطائى

نقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ
كم منزلٍ فى الأرض يألفهُ الفتى ... وحنينهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني وأوله مساوى من كره الوطن

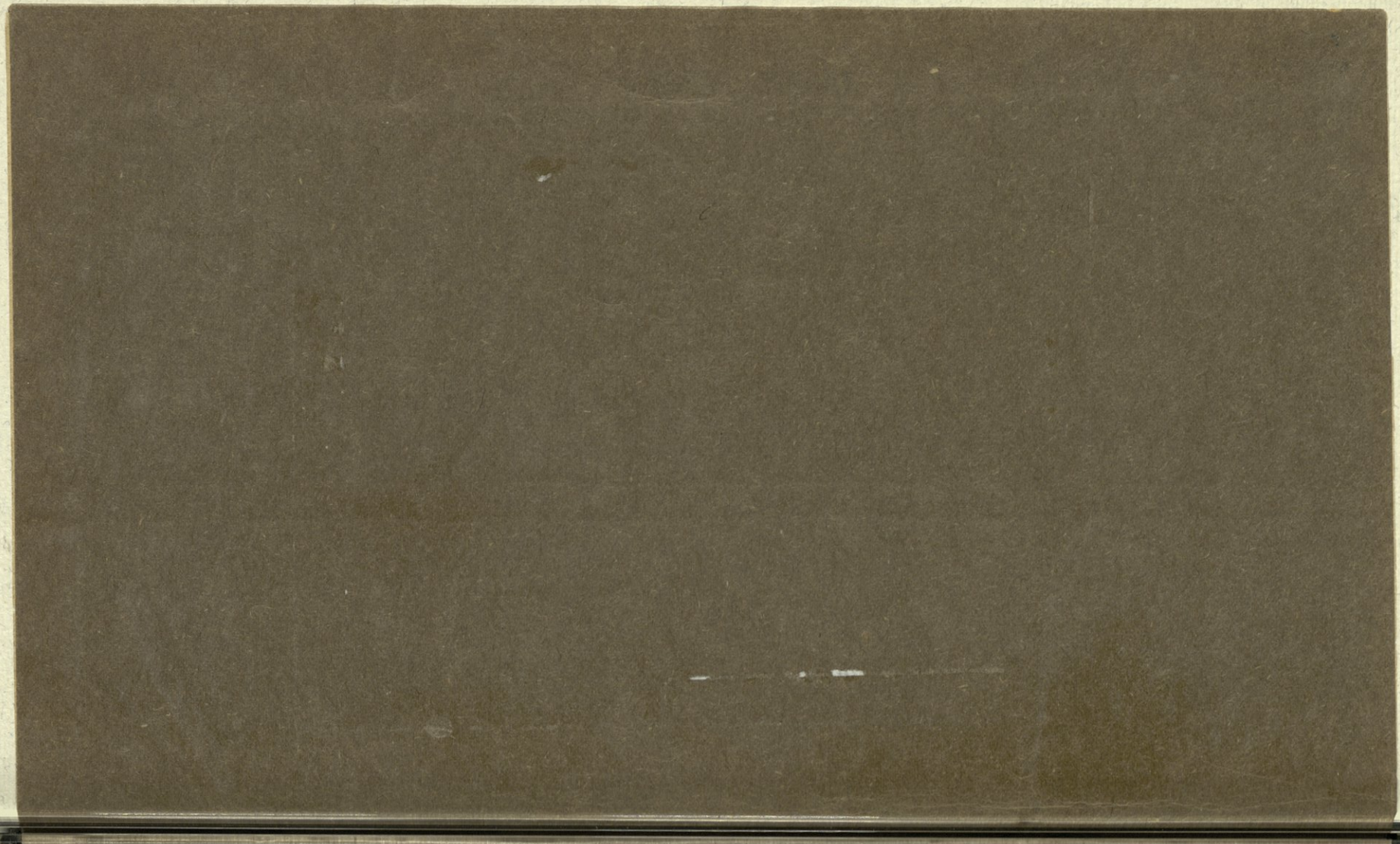

892.78:B35maA:v.1:c.1
النعسانى ،محمد بدر الدين
المحاسن والمساوئ
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01040424

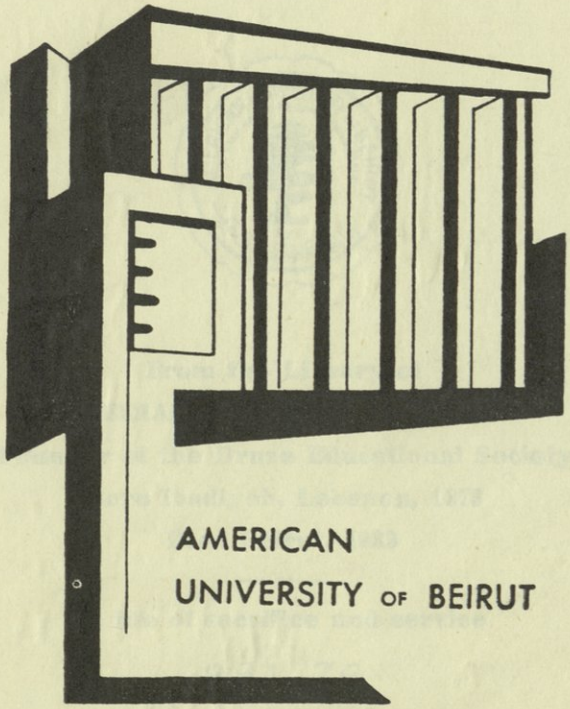

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT